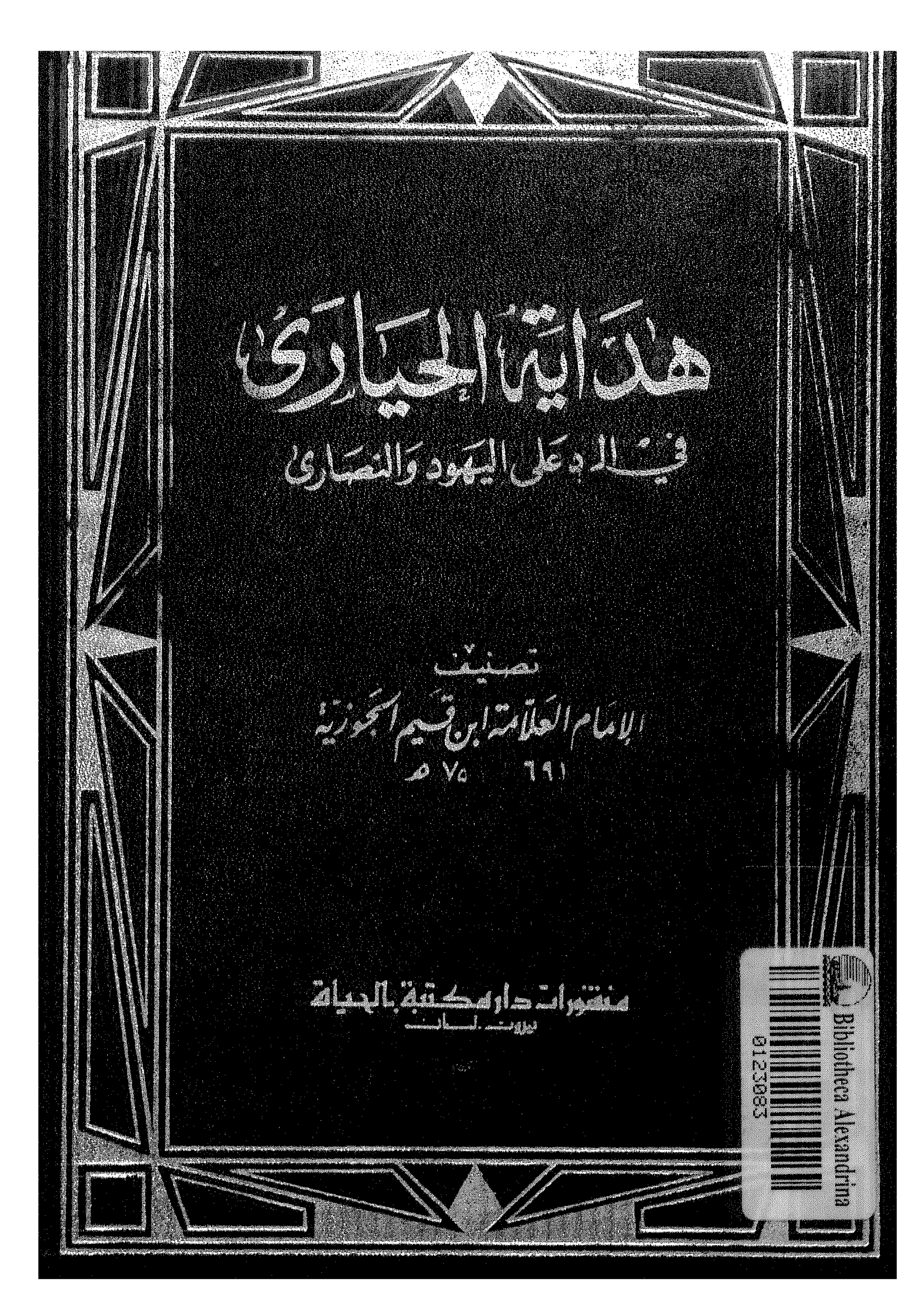

هداية الحيارى
في الرد على اليهود والنصارى
تصنيف
الإمام العلامة ابن قيم الجوزية
٦٩١ ٧٥
منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0123083












Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



هداية الحيارى

في الرد على اليهود والنصارى



هداية الحيارى

في الرد على اليهود والنصارى

تصنيف

الإمام العلامة ابن قيم الجوزية

٦٩١ - ٧٥١ هـ

راجعه وعلق حواشيه

سيف الدين الكاتب

مجاز من جامعة الأزهر

منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان

«ما بأيـدي النصارى من
الدين باطله أضعاف أضعاف
حقه وحقه منسوخ . .».
ـالمؤلفـ

مقدمة الناشر

قال تعالى:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾

[سورة الصف/ ٩]

وقد أظهر الله دينه الحنيف على كل دين كما أظهر تشريعه على كل تشريع . . . لأنه الدين الذي ارتضاه الله تعالى للبشرية جميعاً من لدن بعثة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم به . . . والى أن يرث الله الارض ومن عليها.

ولقد بعث الله نبيه الكريم (ﷺ)والارض تعج بالاباطيل والضلال، وتنوء بالفساد . . . فبدد بنور التوحيد ظلمات الوثنية والشرك . . . ونفى الخبث الذي شاب كل دين سبقه . . وحاكم أهل الكتاب الى كتابهم . . وأقام الحجة على ضلالهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه فهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه . . وطمس على قلوب العمي الذين آثروا الرياسة ومتاع الدنيا على ما عند الله من الخير . . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً . . .

ونحن اليوم نقدم لقرائنا الكرام هذا الكتاب القيم من كتب ابن القيم رحمه الله . . وفاء بالعهد الذي قطعناه على أنفسنا في إحياء تراث هذه الأمة التي اختارها الله تعالى لقيادة البشرية بدينه وشريعته . . وجعلها خير أمة أخرجت للناس آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر . . . ملتزمة بالإيمان والعمل الصالح . .

وكتاب «هداية الحيارى» الذي انصرم على تصنيفه ما يزيد على ستة قرون . . . يظل جديداً، لأنه يكشف بنور القرآن والإيمان أباطيل الوثنية والضلال،

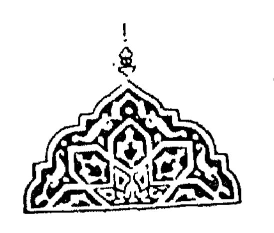
ويقوض أوثان الشرك بالحجة البالغة والحقيقة الدامغة.. ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض﴾

ثم لا يكون بعد ذلك إلا اخيار بين طريقين.. فأما من هدى الله قلبه ونوّر بصيرته.. فيلتزم طريق الحق لا يحيد عنه.. وأما الشقي الذي أصمه الله وأعمى قلبه وبصيرته.. فإنه إذا قيل له اتق الله.. أخذته العزة بالإثم.. فحسبه جهنم ولبئس المصير... ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بيروت ١٤٠٠ هـ
١٩٨٠ م

الناشر



ترجمة ابن قيم الجوزية

رحمه الله تعالى

٦٩١- ٧٥١ هـ= ١٢٩٢- ١٣٥٠م

هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الاصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الاسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين، وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً. وألف تصانيف كثيرة منها.

-إعلام الموقعين- ط-

-الطرق الحكمية في السياسة الشرعية- ط-

-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- ط-

-مفتاح دار السعادة- ط-

-زاد المعاد في هدي خير العباد- ط-

-الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة- خ وطبع مختصره لمحمد الموصلي.

-الكافية الشافية- ط- (منظومة في القصائد) شرحها أحمد بن عيسى النجدي في كتاب مطبوع باسم شرح نونية ابن القيم

-أخبار النساء- خ

-رسالة في اختيارات ابن تيمية- خ

-كتاب الفروسية- خ

-تفسير المعوذتين-ط-

-طب القلوب- خ

- الوابل الصيب - ط
- الروح - ط
- حادي الارواح - ط
- الفوائد - ط
- بدائع الفوائد - ط
- روضة المحبين - ط
- اغاثة اللهفان - ط.
- اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية - ط
- التبيان في أقسام القرآن - ط
- الجواب الكافي - ط
طريق الهجرتين - ط
- عدة الصابرين - ط
- الداء والدواء - خ
- ولمحمد بن أويس الندوي كتاب «التفسير القيم» للإمام ابن القيم - ط استخرجه من مؤلفاته[1].

[عن الزركلي في الاعلام ٦/ ٢٨١]

(١) الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠ - بغية الوعاة/ ٢٥ - البداية والنهاية ١٤/ ٢٣٤. فهرس المؤلفين/ ٢٣٤ و ٢٣٥.



بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي رضي لنا الاسلام دينا، ونصب لنا الدلالة على صحته برهاناً مبيناً، وأوضح السبيل الى معرفته واعتقاده حقاً يقيناً، ووعد من قام باحكامه وحفظ حدوده أجراً جسيمًا[١]، وذخر[٢] لمن وافاه به ثواباً وفوزاً عظيمًا، وفرض علينا الانقياد له ولاحكامه، والتمسك بدعائه وأركانه، والاعتصام بعراه[٣] وأسبابه، فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه ولانبيائه ورسله وملائكة قدسه[٤]، فيه اهتدى المهتدون واليه دعا الانبياء والمرسلون. (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون[٥]) فلا يقبل من أحد ديناً سواه من الاولين والآخرين (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين[٦]) شهد بأنه دينه قبل شهادة الأنام، واشاد به ورفع ذكره وسمى به أهله وما اشتملت عليه الارحام، فقال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. إن الدين عند الله الاسلام[٧]) وجعل أهله هم الشهداء على الناس يوم يقوم الاشهاد[٨]، لما فضلهم به من الاصابة في القول والعمل والهدى

---

(١) يقال: جسُم جسامةً: عظُم، فهو جسيم وجُسام.

(٢) ذَخَر الشيء: ادّخره وخبأه لوقت الحاجة.

(٣) العرى: جمع مفرده: عروة، ما يوثق به، ومنه العروة من الثوب وهي ما يدخل فيه الزر عند شدّه. وكذلك العروة من الإبريق ونحوه: مقبضه. والشجر الملتف يطلق عليه ذلك. والعرى هنا: المواثيق والعهود.

(٤) قيل: أطلق على الملائكة ذلك لأنهم يقدسون الله تعالى، وسمي جبريل: روح القدس، والمراد: الروح المقدسة من حيث إنه ينزل بالقدس من الله، أي بما يطهر نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي. وقيل سمي الملائكة بذلك لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

(٥) آل عمران/٨٣

(٦) آل عمران/٨٥

(٧) آل عمران/١٩

(٨) الأشهاد: جمع شاهد. وعلى رؤوس الأشهاد: أي علانيةً.

والنية والاعتقاد، اذ كانوا أحق بذلك وأهلَه في سابق التقدير، فقال (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا، ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتو الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير[٩]) وحكم سبحانه بانه أحسن الاديان، ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قيلا فقال: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلا)[١٠].

وكيف لا يميز من له أدنى عقل يرجع اليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن، والعمل بما يحبه ويرضاه مع الاخلاص في السر والاعلان، ومعاملة خلقه بما أمر به من العدل والاحسان، مع إيثار طاعته على طاعة الشيطان، وبين دين أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار[١١]، اسس على عبادةالنيران، وعـقد الشركة بين الرحمن والشيطان، وبينه وبين الاوثان، أو دين أسس بنيانه على عبادة الصلبان[١٢] والصور المدهونة في السقوف والحيطان، وأن رب العالمين نزل عن كرسي عظمته فالتحم ببطن انثى وأقام هناك مدة من الزمان، بين دم الطمث في ظلمات الاحشاء تحت ملتقى الاعكان، ثم خرج صبياً رضيعاً يشب شيئاً فشيئاً ويبكي ويأكل ويشرب ويبول وينام ويتقلب مع الصبيان، ثم أودع في المكتب بين صبيان اليهود يتعلم ما ينبغي للانسان، هذا وقد قطعت منه القلفة حين الختان، ثم جعل اليهود يطردونه ويشردونه من مكان الى مكان، ثم قبضوا عليه وأحلوه أصناف الذل والهوان، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجاً من أقبح التيجان، وأركبوه قصبة ليس لها لجام ولا عنان، ثم ساقوه الى خشبة الصلب مصفوعاً مبصوقاً في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الايمان، ثم أركبوه ذلك المركب الذي تقشعر منه

---

(٩) الحج/٧٨

(١٠) النساء/١٢٥. وإسلام الوجه لله: إسلام الذات لله بالكلية؛ لأن العرب تعبر بالوجه عن الذات لأنه أكرم ما في الإنسان، فيكون ما دونه تبعاً له بداهة.

(١١) يقصد المجوسية واليهودية.

(١٢) يقصد دين النصاري الذي ضلوا عن دين المسيح عليه السلام.

القلوب مع الابدان، ثم شدت بالحبال يداه ومع الرجلان[١٣]، ثم خالطهما تلك المسامير التي تكسر العظام وتمزق اللُّحمان وهو يستغيث: يا قوم أرحموني! فلا يرحمه منهم انسان. هذا وهو مدبّر العالم العلوي والسفلي[١٤] الذي يسأله من في السموات والارض. كل يوم هو في شأن، ثم مات ودفن في التراب تحت صم الجنادل والصوَّان، ثم قام من القبر وصعد الى عرشه وملكه بعد أن كان ما كان؛ فما ظنك بفروع هذا أصلها الذي قام عليه البنيان، أو دين أسس بنيانه على عبادة الاله المنحوت بالايدي بعد نحت الافكار من سائر اجناس الارض على اختلاف الانواع والاصناف والالوان، والخضوع له والتذلل والخرور[١٥] سجوداً على الاذقان، لا يؤمن من يدين به بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه يوم يجزى المسيء بإساءته والمحسن بالاحسان. او دين الامة الغضبية[١٧] الذين انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحية من قشرها، وباؤا بالغضب والخزي والهوان، وفارقوا احكام التوراة ونبذوها وراء ظهورهم واشتروا بها القليل من الاثمان، فترحل عنهم التوفيق وقارنهم الخذلان واستبدلوا بولاية الله وملائكته ورسله واوليائه ولاية الشيطان. أو دين اسس بنيانه على ان رب العالمين وجود مطلق في الاذهان[١٧]، لا حقيقة له في الاعيان، ليس بداخل في العالم ولا خارج عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا محايث ولا مباين له، لا يسمع، ولا يرى، ولا يعلم شيئاً من الموجودات ولا يفعل ما يشاء، لا حياة له، ولا قدرة، ولا ارادة، ولا اختيار، ولم يخلق السموات والارض في ستة أيام بل لم تـزل السموات والارض معه وجودها مقارن لوجوده، لم يحدثها بعد عدمها ولا له قدرة على إفنائها بعد وجودها؛ ما أنزل على بشر كتاباً، ولا أرسل الى الناس

---

(١٣) كذا ورد بالأصل الذي بين أيدينا. والصواب حذف (مع).

(١٤) يورد المصنف الكلام تهكمًا، نظراً إلى مقالة النصارى الذين وصفهم القرآن بقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم. .﴾ [المائدة: ١٧].

(١٥) يقال: خَرّ لله ساجداً، يخر خُروراً أي سقط. والكلام هنا يراد به المشركون عباد الأوثان.

(١٦) يطلق المصنف رحمه الله هذا الاصطلاح على اليهود وسيرد في الكتاب بعد هذا غير مرة. وقد أطلق عليهم هذه التسمية اشتقاقاً من وصف القرآن لهم في سورة الفاتحة بـ (المغضوب عليهم) كما سمى النصارى بـ (الضالين)، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسير الآية بذلك فلا نتجاوز تفسير رسول الله لكتاب الله تعالى.

(١٧) يعرض المصنف هنا بالصابئة وملاحدة الفلاسفة.

رسولا ، فلا شرع يتبع ، ولا رسول يطاع، ولا دار بعد هذه الدار، ولا مبدأ للعالم ولا معاد، ولا بعث ولا نشور، ولا جنة ولا نار؛ إن هي الا تسعة افلاك وعشرة عقول، وأربعة أركان وأفلاك تدور، ونجوم تسير ، وأرحام تدفع ، وأرض تبلع و (ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون)[١٨].

واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ندّ له ، ولا صاحبة له ولا ولد له ، ولا كفؤ له ، تعالى عن إفك المبطلين، وخرص الكاذبين، وتقدس عن شرك المشركين، وأباطيل الملحدين. كذب العادلون[١٩] به سواه وضلوا ضلالا بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون. عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)[٢٠] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده . إبتعثه بخير ملة وأحسن شرعة ، وأظهر دلالة وأوضح حجة ، وأبين برهان الى جميع العالمين إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم حاضرهم وباديهم ؛ الذي بشرت به الكتب السالفة ، وأخبرت به الرسل الماضية ، وجرى ذكره في الاعصار في القرى والامصار والامم الخالية ، ضربت لنبوته البشائر من عهد آدم أبي البشر، الى عهد المسيح ابن البشر، كلما قام رسول أخذ عليه الميثاق بالايمان بـه والبشارة بنبوته حتى انتهت النبوة الى كليم الرحمن، موسى بن عمران فأذّن بنبوته على رؤوس الاشهاد بين بني اسرائيل معلناً بالاذان «جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» الى أن ظهر المسيح ابن مريم عبدالله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها الى مريم فأذن بنبوته أذاناً لم يؤذنه أحد مثله قبله ، فقام في بني اسرائيل مقام الصادق الناصح وكانوا لا يحبون الناصحين فقال: (إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من

(١٨) الجاثية/٢٤

(١٩) يشير المصنف إلى قوله تعالى في فاتحة سورة الأنعام: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ أي يعدلون به سواه. قال الراغب الأصفهاني: أي يجعلون له عديلاً فصار كقوله تعالى: ﴿هم به مشركون﴾.

(٢٠) المؤمنون/٩١- ٩٢

بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)[٢١] تالله لقد اذن المسيح أذاناً أسمعه البادي والحاضر، فاجابه المؤمن المصدق وقامت حجة الله على الجاحد الكافر، الله أكبر الله أكبر عما يقول فيه المبطلون ويصفه به الكاذبون. وينسبه اليه اليه المفترون والجاحدون ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، ولا ند له ولا كفؤ له، ولا صاحبه له ولا ولد له، بل هو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم رفع صوته بالشهادة لاخيه وأولى الناس به بانه عبدالله ورسوله، وأنه أركون[٢٢] العالم، وانه روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول ما يقال له وانه يخبر الناس بكل ما أعد الله لهم، ويسوسهم بالحق، ويخبرهم بالغيوب ويجيئهم بالتأويل، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويخلصهم من يد الشيطان، وتستمر شريعته وسلطانه الى آخر الدهر وصرح في أذانه باسمه ونعته وصفته وسيرته حتى كأنهم ينظرون إليه عياناً، ثم قال حي على الصلاة خلف إمام المرسلين وسيد ولد آدم اجمعين، حي على الفَلاح باتباع من السعادة في اتباعه، والفلاح في الدخول في زمرة أشياعه، فأذن وأقام وتولى وقال: «لست أدعكم كالايتام، وساعود واصلي وراء هذا الامام، هذا عهدي إليكم ان حفظتموه دام لكم الملك الى آخر الايام» فصلى الله عليه من ناصح بشّر برسالة أخيه عليهما أفضل الصلاة والسلام، وصدق به أخوه ونزهه عما قال فيه وفي أمه اعداؤه المغضوب عليهم من الافك والباطل وزور الكلام، كما نزه ربه وخالقه ومرسله عما قال فيه المثلثة عباد الصليب، ونسبوه اليه من النقص والعيب والذم،

(أما بعد): فان الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره جعل الاسلام عصمة لمن لجأ اليه، وجنة لمن استمسك به وعض بالنواجذ[٢٣] عليه، فهو حرمة الذي من دخله كان من الآمنين، وحصنه الذي من

---

(٢١) الصف/٦

(٢٢) كلمة يونانية تعني: الرئيس والمقدّم.

(٢٣) الناجذ: آخر الأضراس، وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان بعد الأرحاء ويسمّى ضِرسّ الحُلم لأنه ينبت بعد البلوغ. والعض بالنواجذ على شيء: كناية عن التمسك به، والحرص عليه.

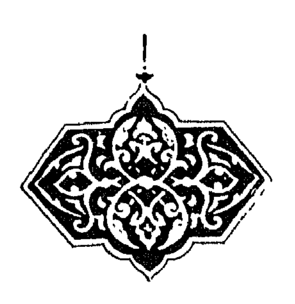
لجأ إليه كان من الفائزين، ومن انقطع دونه كان من الهالكين وأبى ان يقبل من أحد ديناً سواه، ولو بذل في المسير اليه جهده واستفرغ قواه، فأظهره على الدين كله حتى طبق مشارق الارض ومغاربها، وسار مسير الشمس في الاقطار، وبلغ الى حيث انتهى الليل والنهار، وعلت الدعوة الاسلامية وارتفعت غاية الارتفاع والاعتلاء، بحيث صار أصلها ثابتاً وفرعها في السماء فتضاءلت لها جميع الاديان، وجرت تحتها الامم منقادة بالخضوع والذل والاذعان، ونادى المنادي بشعارها في جو السماء بين الخافقين: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صارخا بالشهادتين، حتى بطلت دعوة الشيطان، وتلاشت عبادة الاوثان، واضمحلت عبادة النيران، وذل المثلثة عباد الصلبان، وتقطعت الامة الغضبية في الارض كتقطع السراب في القيعان، وصارت كلمة الاسلام العليا، وصار له في قلوب الخلائق المثل الاعلى، وقامت براهينه وحججه على سائر الامم في الآخرة والاولى، وبلغت منزلته في العلى والرفعة الغاية القصوى وأقام لدولته ومصطفيه أعواناً وأنصاراً نشروا ألويته وأعلامه، وحفظوا من التغيير والتبديل حدوده واحكامه،

وبلّغوا الى نظرائهم كما بلّغ اليهم من قبلهم، حلاله وحرامه، فعظموا شعائره، وعلموا شرائعه، وجاهدوا أعداءه بالحجة والبيان حتى (استغلظ على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار)[24] وعلا بنيانه المؤسس على تقوى من الله ورضوان اذ كان بنا غيره مؤسساً على شفا جرف هار، فتبارك الذي رفع منزلته واعلى كلمته وفخم شأنه واشاد بنيانه وأذل مخالفيه ومعانديه، وكبت[25] من يبغضه ويعاديه، ووسمهم بانهم شر الدواب وأعد لهم إذا قدموا عليه اليم العقاب، وحكم لهم بانهم أضل سبيلاً من الانعام، اذ استبدلوا الشرك بالتوحيد والضلال بالهدى والكفر بالاسلام، وحكم سبحانه لعلماء الكفر وعباده حكماً يشهد ذوو العقول بصحته ويرونه شيئاً حسناً، فقال تعالى: (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالاً الذين ضل

(٢٤) الفتح/٢٩

(٢٥) الكَبْت: الصرف والإذلال. يقال: كبت الله العدو، أي صرفه وأذله.

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً. أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً، ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً)[٢٦].



(٢٦) الكهف/١٠٤ـ ١٠٦



الفصل الأول
[تمهيد]

اين يذهب من تولى عن توحيد ربه وطاعته، ولم يرفع رأساً بأمره ودعوته، وكذب رسوله وأعرض عن متابعته، وحاد عن شريعته، ورغب عن ملته واتبع غير سنته، ولم يستمسك بعهده. ومكّن الجهل من نفسه، والهوى والعناد من قلبه، والجحود والكفر من صدره، والعصيان والمخالفة من جوارحه، فقد قابل خبر الله بالتكذيب، وأمره بالعصيان، ونهيه بالارتكاب، يغضب الرب وهو راض، ويرضى وهو غضبان، يحب ما يبغض، ويبغض ما يحب، ويوالي من يعاديه، ويعادي من يواليه، يدعو الى خلاف ما يرضى، وينهى عبداً إذا صلى قد (اتخذ إلّهه هواه، وأضله الله على علم[1]) فأصمه وأبكمه وأعماه، فهو ميت الدارين، فاقد السعادتين، قد رضي بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وباع التجارة الرابحة بالصفقة الخاسرة فقلبه عن ربه مصدود، وسبيل الوصول الى جنته ورضاه وقربه عنه مسدود، فهو ولي الشيطان وعدو الرحمن، وحليف الكفر والفسوق والعصيان، رضي المسلمون بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا، ورضي المخذول بالصليب والوثن إلّهاً، وبالتثليث والكفر ديناً، وبسبيل الضلال والغضب سبيلا، أعصى الناس للخالق الذي لا سعادة له إلا في طاعته، وأطوعهم للمخلوق الذي ذهاب دنياه وأخراه في طاعته، فاذا سئل في قبره: «من ربك وما دينك ومن نبيك؟ قال: هاه هاه، لا أدري. فيقال: لا دريت، ولا تليت، وعلى ذلك حييت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يضرم عليه قبره ناراً، ويضيق عليه كالزج في الرمح الى قيام الساعة». و (اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور[2])، وقام الناس لرب

---

(١) الجاثية/٢٣.

(٢) العاديات/٩- ١٠

العالمين ونادى المنادى (وأمتازوا اليوم أيها المجرمون[٣]) ثم رفع لكل عابد معبوده الذي كان يعبده ويهواه، وقال الرب تعالى وقد أنصت له الخلائق: «أليس عدلا مني أن أولي كل انسان منكم ما كان في الدنيا يتولاه»؟ فهناك يعلم المشرك حقيقة ما كان عليه، ويتبين له سوء منقلبه وما صار اليه، ويعلم الكفار انهم لم يكونوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)[٤].

[أهل الأرض قبل الاسلام]

(فصل) ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان أهل الارض صنفين: اهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين، وهم نوعان: مغضوب عليهم وضالون.

فالأمة الغضبية هم «اليهود» أهل الكذب والبهت[٥] والغدر والمكر والحيل، قتلة الانبياء وأكلة السحت- وهو الربا والرشا- أخبث الأمم طوية، واردأهم سجية وابعدهم من الرحمة، واقربهم من النقمة عادتهم البغضاء، ودينهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الانبياء حرمة، و(لا يرقُبونَ في مؤمن إلاَّ ولا ذمة[٦])، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نَصفَة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة؛ بل أخبثهم اعقلهم، وأحذقهم أغشهم، وسليم الناصية[٧]- وحاشاه أن يوجد بينهم- ليس بيهودى على الحقيقة، أضيق الخلق صدوراً، وأظلمهم بيوتاً، وأنتنهم أفنية، وأوحشهم سجية، تحيتهم لعنة ولقاؤهم طيرة، شعارهم الغضب ودثارهم المقت.

---

(٣) يس/٥٩

(٤) التوبة/١٠٥

(٥) يقال: بهتَه بهْتاً وبهُتاناً: إذا قال عليه ما لم يفعله.

(٦) ﴿لايرقبون في مؤمن إلاَّ ولا ذمة﴾ [التوبة:١٠] والإلّ: العهد،أي لا يرعون عهودهم مع المؤمنين ومواثيقهم لهم.

(٧) المراد: سليم التفكير.

(**فصل**) والصنف الثاني «المثلثة» امة الضلال وعباد الصليب الذين سبوا الله الخالق مسبة ما سبه إياها أحد من البشر، ولم يقروا بأنه الواحد الاحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولم يجعلوه أكبر من كل شيء؛ بل قالوا فيه ما (تكادُ السَّموات يتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، وَتنشَقُّ الأرضُ، وتِخرُّ الجبالُ هدّاً)، فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها ان الله ثالث ثلاثة، وان مريم صاحبته وان المسيح ابنه، وانه نزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ما جرى الى أن قتل ومات ودفن، فدينها عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالاحمر والاصفر في الحيطان، يقولون في دعائهم: يا والدة الالّه ارزقينا، واغفرى لنا وارحمينا! فدينهم شرب الخمور وأكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث من الفيل الى البعوضة، والحلال ما حلله القس والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، وينجيهم من عذاب السعير.

(**فصل**) فهذا حال من له كتاب وأما من لا كتاب له: فهو بين عابد اوثان، وعابد نيران وعابد الشيطان، وصابيء حيران يجمعهم الشرك، وتكذيب الرسل، وتعطيل الشرائع، وانكار المعاد وحشر الاجساد، لا يدينون للخالق بدين، ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحدونه مع الموحدين. وأمة «المجوس» منهم تستفرش الامهات والبنات والاخوات؛ دع العمات والخالات، دينهم الزمر[٩]، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمر، ومعبودهم النار، ووليهم الشيطان، فهم أخبث بني آدم نحلة[١٠]، وارداهم مذهباً، وأسوأهم اعتقاداً.

(وأما) «زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة» فلا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقائه، ولا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شيء، عالم بكل شيء: آمر، ناهٍ، مرسل الرسل، ومنزل الكتب، ومثيب المحسن، ومعاقب المسيء، وليس عند نظارهم الا تسعة

---

(٨) مريم/٩٠

(٩) يعني به الغناء واتخاذ المعازف.

(١٠) النحلة: بكسر أولها: الدعوى. يريد بها الأباطيل التي يتخذها الضالون أساس دعاواهم ومذاهبهم.

أفلاك وعشرة عقول وأربعة أركان، وسلسلة ترتبت فيها الموجودات هي بسلسلة المجانين أشبه منها بجوزات العقول. (وبالجملة) فدين الحنيفية الذي لا دين لله غيره بين هذه الاديان الباطلة التي لا دين في الارض غيرها أخفى من السها تحت السحاب[١١]، وقد نظر الله الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب، فاطلع الله شمس الرسالة في حنادس[١٢] تلك الظلم سراجاً منيراً، وأنعم بها على أهل الارض نعمة لا يستطيعون لها شكورا، واشرقت الارض بنورها أكمل الاشراق، وفاض ذلك النور حتى عم النواحي والآفاق واتسق قمر الهدى اتم الاتساق[١٣]، وقام دين الله الحنيف على ساق، فلله الحمد الذي انقذنا بمحمد صلى الله عليه وسلم من تلك الظلمات، وفتح لنا به باب الهدى فلا يغلق الى يوم الميقات، وأرانا في نوره أهل الضلال في ضلالهم يتخبطون، وفي سكرتهم يعمهون وفي جهالتهم يتقلبون، وفي ريبهم يترددون، يؤمنون ولكن بالجبت[١٤] والطاغوت، يؤمنون ولكن بربهم يعدلون، ويعلمون ولكن (ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)[١٥] ويسجدون ولكن للصليب والوثن والشمس يسجدون، ويمكرون وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[١٦] (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون)[١٧].

---

(١١) السُّها: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم. ويريد المؤلف بما ضرب من مثل على الأديان الباطلة أن يشير إلى الضلال الذي اكتنفها حتى كتم حقها بالأباطيل المتراكمة.

(١٢) حنادس: جمع مفرده حِندِس، يطلق على الظلمة، كما يطلق على الليل الشديد الظلمة. ويقال: حندس الليل: أظلم.

(١٣) الاتساق: الانتظام والاجتماع والاطّراد.

(١٤) الجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك. قال الراغب الأصفهاني: ويقال لكل ما عُبد من دون الله جبت. قال: والطاغوت عبارة عن كل متعدٍّ وكل معبود من دون الله ويستعمل في الواحد والجمع.

(١٥) طرف من الآية رقم (٧) من سورة الروم.

(١٦) آل عمران/١٦٤

(١٧) البقرة/١٥١- ١٥٢

الحمد الله الذي أغنانا بشريعته التي تدعو الى الحكمة والموعظة الحسنة ، وتتضمن الامر بالعدل والاحسان ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا وآثرنا به على سائر الامم ، واليه الرغبة أن يوزعنا[١٨] شكر هذه النعمة ، وان يفتح لنا ابواب التوبة والمغفرة والرحمة ، فأحب الوسائل الى المحسن التوسل اليه باحسانه والاعتراف له بان الامر كله محض فضله وامتنانه ، فله علينا النعمة السابغة كما له علينا الحجة البالغة ، نبوء له بنعمه علينا ، ونبوء بذنوبنا وخطايانا وجهلنا وظلمنا واسرافنا في أمرنا فهذه بضاعتنا التي لدينا لم تبق لنا نعمه وحقوقها وذنوبنا حسنة نرجو بها الفوز بالثواب والتخلص من اليم العقاب ، بل بعض ذلك يستنفد جميع حسناتنا ، ويستوعب كل طاعتنا هذا لو خلصت من الشوائب[١٩] ، وكانت خالصة لوجهه واقعة على وفقَ أمره ، وما هو والله الا التعلق باذيال عفوه وحسن الظن به ، واللجأ منه اليه والاستعاذة به منه والاستكانة والتذلل بين يديه ، ومدَّ يد الفاقة والمسكنة اليه ، بالسؤال والافتقار اليه في جميع الاحوال فمن أصابته نفحة من نفحات رحمته أو وقعت عليه نظرة من نظرات رأفته انتعش من بين الاموات وأناخت بفنائه وفود الخيرات ، وترحلت عنه جيوش الهموم والغموم والحسرات .

واذا نظرتَ اليَّ نظرة راحمٍ ... في الدهر يوماً انني لسعيد

[من حقوق الله رد الطاعنين على الرسول]

ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه ومجاهدتهم بالحجة والبيان ، والسيف والسنان ، والقلب والجنان ، وليس وراء ذلك حبة خردل من الايمان وكان انتهى الينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على

---

(١٨) يوزعنا : يلهمنا .

(١٩) الشوائب : جمع مفرده شائبة ، هي ما يكون في المعدن من خبث وأقذار . وتطلق الشوائب على الأقذار والأدناس . فأما شوائب الطاعة ، فإن المصنف قد عنى بها ما يكون فيها من ضعف الإخلاص أو اختلاط النية ، فتكون الطاعات كالذهب الذي داخلته بعض الشوائب لا يكون خالصاً حتى يتعرض للنار فتذهب ما خالطه منها .

بعض المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، وظن المسلم انه بضربه يداويه فسطا به ضرباً وقال هذا هو الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم: إن دين الاسلام انما قام بالسيف لا بالكتاب! فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب، فشمّر المجيب ساعد العزم، ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض اليه متكل عليه في موافقة مرضاته، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار انما يعاملون بالجلاد دون الجدال، وهذا فرار من الزحف، واخلاد الى العجز والضعف، وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة وإزاحة للعذر (ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة[٢٠]) والسيف انما جاء منفذاً للحجة، مقوماً للمعاند، وحداً للجاحد، قال تعالى(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز[٢١]) فدين الاسلام قام بالكتاب الهادى ونفذه السيف الماضي:

فما هو الا الوحي أو حد مرهف ... يقيم ظُباهُ أَخَدَعَيْ كل مائل[٢٢]

فهذا شفاء الداء من كل عاقل ... وهذا دواء الداء من كل جاهل

والى الله الرغبة في التوفيق، فانه الفاتح من الخير أبوابه والميسر له أسبابه وسميته:



(٢٠) الأنفال/٤٢

(٢١) الحديد/٢٥

(٢٢) ظُبَةُ السيف حدّه يجمع على: ظُبى. والأخدعان: مثنى الأخدع وهما عِرْقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا.

الفصل الثاني

[مسائل الكتاب]

(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) وقسمته قسمين (القسم الاول) في اجوبه المسائل (القسم الثاني) في تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الدلائل، فجاء بحمد الله ومنه وتوفيقه كتاباً ممتعاً مغجباً، لا يسأم قاريه ولا يمل الناظر فيه ، فهو كتاب يصلح للدنيا والآخرة، ولزيادة الايمان، ولذة الانسان، يعطيك ما شئت من اعلام النبوة وبراهين الرسالة، وبشارات الانبياء بخاتمهم، واستخراج اسمه الصريح من كتبهم، وذكر نعته وصفته وسيرته من كتبهم، والتمييز بين صحيح الاديان وفاسدها وكيفية فسادها بعد استقامتها، وجملة من فضائح أهل الكتابين وما هم عليه، وانهم أعظم الناس براءة من انبيائهم، وأن نصوص انبيائهم تشهد بكفرهم وضلالهم، وغير ذلك من نكت بديعة لا توجد في سواه، والله المستعان وعليه التكلان، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

[المسألة الأولى]

(أما المسألة الأولى) وهي قول السائل: «قد اشتهر عندكم بان أهل الكتابين ما منعهم من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لا غير» فكلام جاهل بما عند المسلمين وبما عند الكفار أما المسلمون فلم يقولوا انه لم يمنع أهل الكتاب من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لا غير، وان قال هذا بعض عوامهم فلا يلزم جماعتهم، والممتنعون من الدخول في الاسلام من أهل الكتابين وغيرهم جزء يسير جداً بالاضافة الى الداخلين فيه منهم، بل اكثر الامم دخلوا في الاسلام طوعا ورغبة واختياراً لا كرهاً ولا اضطرارا، فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى أهل الارض وهم« خمسة أصناف» قد طبقوا الارض: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئة، ومشركون. وهذه الاصناف هي التي كانت قد

استولت على الدنيا من مشارقها الى مغاربها.

فاما« اليهود» فاكثر ما كانوا باليمن وخيبر والمدينة وما حولها، وكانوا بأطراف الشام مستذلين مع النصارى، وكان منهم بأرض فارس فرقة مستذلة مع المجوس وكان منهم بأرض العرب فرقة وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر، وكان الله سبحانه قد قطعهم في الارض أمماً وسلبهم الملك والعز وأما « النصارى» فكانوا طبق الارض[1] فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد وأما « المجوس» فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها وأما « الصابئة» فاهل حران وكثير من بلاد الروم وأما« المشركون» فجزيرة العرب جميعها وبلاد الهند وبلاد الترك وما جاورها وأديان أهل الارض لا تخرج عن هذه الاديان الخمسة، ودين الحنفاء لا يعرف فيهم البتة، وهذه الاديان الخمسة كلها للشيطان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره: الاديان ستة واحد للرحمن وخمسة للشيطان: وهذه الاديان الستة مذكورة في آية الفصل في قوله تعالى: (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد) [2] فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استجاب له ولخلفائه بعده اكثر الاديان طوعا واختيارا، ولم يكره أحدا قط على الدين، وانما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالا لامر ربه سبحانه حيث يقول: (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) [3] وهذا نفي في معنى النهي، أي لا تكرهوا أحداً على الدين، نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الاسلام، فلما جاء الاسلام أسلم الآباء وأرادوا اكراه الاولاد على الدين، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الاسلام والصحيح ان الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية من جميع الكفار، فلا يكرهون على

(١) أي أن أغلب أهل الأرض يومها كانوا نصارى.

(٢) سورة الحج/١٧

(٣) سورة البقرة/٢٥٦

الدخول في الدين، بل اما أن يدخلوا في الدين وإما أن يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة، وان استثنى هؤلاء بعض عبدة الاوثان، ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين له انه لم يكره أحداً على دينه قط، وأنه انما قاتل من قاتله: وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له كما قال تعالى: (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم)(٤) ولما قدم المدينة صالحَ اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمن على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل بعضهم وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدءوا هم بقتاله ونقضوا عهده، فعند ذلك غزاهم في ديارهم، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق، ويوم بدر ايضاً هم جاؤا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم (والمقصود) انه صلى الله عليه وسلم لم يكره أحدا على الدخول في دينه البتة، وانما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعا فاكثر أهل الارض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وانه رسول الله حقاً. فهؤلاء أهل اليمن كانوا على دين اليهودية أو أكثرهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه الى اليمن: انك ستأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله» وذكر الحديث، ثم دخلوا في الاسلام من غير رغبة ولا رهبة، وكذلك من اسلم من يهود المدينة وهم جماعة كثيرون غير عبد الله بن سلام مذكورون في كتب السير والمغازي لم يسلموا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف بل اسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة اعدائهم ومحاربة أهل الارض لهم من غير سوط ولا نوط(٥)، بل تحملوا معاداة اقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات ايديهم، فكان احدهم يعادي اباه وامه واهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الاسلام لا لرياسة ولا مال، بل ينخلع من الرياسة والمال ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتمهم وصنوف اذاهم ولا يصرفه ذلك عن دينه. فان كان كثير من الاحبار والرهبان والقسيسين ومن ذكره هذا السائل

---

(٤) التوبة/٧

(٥) السوط معروف، والنوط: الوسام. المراد: لا ترهيباً ولا ترغيباً.

قد اختاروا الكفر فقد أسلم جمهور أهل الارض من فرق الكفار ولم يبق الا الاقل بالنسبة الى من أسلم، فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملء الشام ثم صاروا مسلمين الا النادر، فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الابيض وكذلك المجوس كانت أمة لا يحصي عددهم الا الله فاطبقوا على الاسلام لم يتخلف منهم الا النادر، وصارت بلادهم بلاد اسلام، وصار من لم يسلم منهم تحت الجزية والذلة وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يبق منهم الا شرذمة قليلة مقطعة في البلاد فقول هذا الجاهل: « ان هاتين الامتين لا يحصى عددهم الا الله كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم» كذب ظاهر وبهت مبين، حتى لو كانوا كلهم قد أجمعوا على اختيار الكفر لكانوا في ذلك أسوة قوم نوح، وقدأقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويريهم من الآيات ما يقيم حجة الله عليهم وقد أطبقوا على الكفر الا قليلا منهم كما قال تعالى: (وما آمن معه الا قليل) [٦] وهم كانوا اضعاف اضعاف هاتين الامتين الكافرتين أهل الغضب وأهل الضلال، وعاد اطبقوا على الكفر وهم أمة عظيمة عقلاء حتى استؤصلوا بالعذاب، وثمود اطبقوا جميعهم على الكفر بعد رؤية الآية العظيمة التي يؤمن على مثلها البشر، ومع هذا فاختاروا الكفر على الايمان، كما قال تعالى: (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى[٨]) وقال تعالى: (وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين[٩]) فهاتان امتان عظيمتان من اكبر الامم قد اطبقتا على الكفر مع البصيرة فامة الغضب والضلال اذ اطبقتا على الكفر فليس ذلك ببدع[١٠] وهؤلاء قوم فرعون مع كثرتهم قد أطبقوا على جحد نبوة موسى مع تظاهر الآيات الباهرة آية بعد آية فلم يؤمن منهم الا رجل واحد كان يكتم ايمانه: وأيضاً، فيقال للنصارى: هؤلاء اليهود مع كثرتهم في زمن المسيح حتى كانواملء بلاد الشام كما قال

---

(٦) سورة هود/٤٠

(٧) الاستئصال: الانتزاع واقتلاع الشيء من أصله.

(٨) فصلت/١٧

(٩) العنكبوت/٣٨

(١٠) البدْع بالكسر: المبتَدع. وفلان بدع في هذا الأمر: أي بديع.

تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي بار كنا فيها[١١]) وكانوا قد أطبقوا على تكذيب المسيح وجحدوا نبوته، وفيهم الاحبار والعباد والعلماء حتى آمن به الحواريون فاذا جاز على اليهود وفيهم الاحبار والعباد والزهاد وغيرهم الاطباق على جحد نبوة المسيح والكفر به مع ظهور آيات صدقة كالشمس جاز عليهم انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعلوم ان جواز ذلك على أمة الضلال الذين هم أضل من الانعام، وهم النصارى أولى وأحرى، فهذا السؤال الذي أورده هذا السائل وارد بعينه في حق كل نبي كذبته امة من الامم، فان صوب هذا السائل رأي تلك الامم كلها فقد كفر بجميع الرسل، وان قال ان الانبياء كانوا على الحق وكانت تلك الامم مع كثرتها ووفور عقولها على الباطل فلأن يكون المكذبون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم الاقلون الاذلون الارذلون من هذه الطوائف على الباطل أولى واحرى واي امة من الامم اعتبرتها وجدت المصدقين بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جمهورها وأقلها واراذلهاهم الجاحدون لنبوته، فرقعة الاسلام قد اتسعت في مشارق الارض ومغاربها غاية الاتساع بدخول هذه الامم في دينه وتصديقهم برسالته، وبقي من لم يدخل منهم في دينه وهم من كل أمة أقلها وأين يقع النصارى المكذبون برسالته اليوم من أمة النصرانية الذين كانوا قبله؟! وكذلك اليهود والمجوس والصابئة لانسبة للمكذبين برسالته بعد بعثه الى جملة تلك الامة قبل بعثه، وقد أخبر تعالى عن الامم التي أطبقت على تكذيب الرسل ودمرها الله تعالى فقال تعالى: (ثم أرسلنا رسلنا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا، وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون[١٢]) فأخبر عن هؤلاء الامم أنهم تطابقوا على تكذيب رسلهم وانه عمهم بالاهلاك، وقال تعالى: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون[١٣]) ومعلوم قطعاً ان الله تعالى لم يهلك هذه الامم الكثيرة الا بعد ما تبين لهم الهدى فاختاروا عليه الكفر، ولو لم يتبين لهم

(١١) الأعراف/١٣٧

(١٢) المؤمنون/٤٤ و: تترى: أي متواترين.

(١٣) الذاريات/٥٢

الهدى لم يهلكهم، كما قال تعالى: (وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون[١٤]) وقال تعالى: (فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين[١٥]) أي فلم يكن قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس ومعلوم قطعاً انه لم يصدق نبي من الانبياء من أولهم الى آخرهم ولم يتبعه من الأمم ما صدق محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والذين اتبعوه من الامم أضعاف هاتين الامتين المكذبتين مما لا يحصيهم الا الله ولا يستريب من له مُسكة[١٦] من عقل أن الضلال والجهل والغي وفساد العقل الى من خالفه وجحد نبوته أقرب منه الى اتباعه ومن أقر بنبوته، . . وحينئذ فيقال: كيف جاز على هؤلاء الأمم التي لا يحصيهم الا الله قد بلغوا مشارق الارض ومغاربها على اختلاف طبائعهم وأغراضهم وتباين مقاصدهم الاطباق على اتباع من يكذب على الله وعلى رسله وعلى العقل ويحل ما حرم الله ورسله ويحرم ما احله الله ورسله ومعلوم ان الكاذب على الله في دعوى الرسالة وهو شر خلق الله وافجرهم وأظلمهم واكذبهم، ولا يشك من له أدنى عقل أن إطباق أكثر الامم على متابعة هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وخروجهم عن ديارهم وأموالهم ومعاداتهم أباءهم وعشائرهم في متابعته وبذلهم نفوسهم بين يديه من أمحل المحال، فتجويز اختيارهم الكفر بعد تبين الهدى على شر ذمة قليلة حقيرة لها أغراض عديدة من هاتين الامتين أولى من تجويز ذلك على المسلمين الذين طبقوا مشارق الارض ومغاربها، وهم أعقل الامم وأكملها في جميع خصال الفضل.

واين عقول عباد العجل وعباد الصليب الذين أضحكوا سائر العقلاء على عقولهم ودلوهم على مبلغها بما قالوه من عقول المسلمين؟!! واذا جاز اتفاق أمة ـ فيها من قد ذكره هذا السائل ـ على أن رب العالمين وخالق السموات والارضين نزل عن عرشه وكرسى عظمته ودخل في بطن امرأة في محل الحيض والطمث عدة شهور ثم خرج من فرجها يمص الثدي ويبكي، ويكبر شيئاً فشيئاً، ويأكل ويشرب ويبول،

---

(١٤) القصص/٥٩ (١٥) يونس/٩٨

(١٦) يقال: فلان فيه مسكة من خير ـ بالضم ـ: أي بقية.

ويصح ويمرض، ويفرح ويحزن، ويلذ ويألم، ثم دبر حيلة على عدوه أبليس بأن مكن اعداء اليهود من نفسه، فأمسكوه وساقوه الى خشبتين يصلبونه عليهما، وهم يجرونه الى الصلب، والاوباش والاراذل قدامه وخلفه وعن يمينه وعن يساره، وهو يستغيث ويبكي فقربوه من الخشبتين، ثم توجوه بتاج من الشوك، واوجعوه صفعاً، ثم حملوه على الصليب وسمروا يديه[17] ورجليه وجعلوه بين لصين، وهو الذي اختار هذا كله لتتم له الحيلة على ابليس ليخلص آدم وسائر الانبياء من سجنه، ففداهم بنفسه حتى خلصوا من سجن ابليس، واذا جاز اتفاق هذه الامة وفيهم الاحبار والرهبان والقسيسون والزهاد والعباد والفقهاء ومن ذكرتم على هذا القول في معبودهم والههم حتى قال قائل منهم وهو من اكابرهم عندهم: اليد التي خلقت آدم هي التي باشرت المسامير ونالت الصلب، فكيف لا يجوز عليهم الاتفاق على تكذيب من جاءبتكفيرهم وتضليلهم، ونادى سراً وجهراً بكذبهم على الله وشتمهم له أقبح شتم، وكذبهم على المسيح، وتبديلهم دينه، وعاداهم وقاتلهم، وبرأهم من المسيح وبرأه منهم، وأخبر أنهم وقود النار وحصب[18] جهنم، فهذا أحد الاسباب التي اختاروا لاجلها الكفر على الايمان وهو من أعظم الاسباب؛ فقولكم: «ان المسلمين يقولون انهم لم يمنعهم من الدخول في الاسلام الا الرياسة والمأكلة لا غير» كذب على المسلمين؛ بل الرياسة والمأكلة من جملة الأسباب المانعة لهم من الدخول في الدين، وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم فلما تبين لبعضهم فساد ما هم عليه قالوا: لو دخلنا في الاسلام لكنا من أقل المسلمين لا يأبه لنا، ونحن متحكمون في أهل ملتنا في أموالهم ومناصبهم ولنا بينهم أعظم الجاه وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى الا ذلك؟!

[الاسباب المانعة من قبول الحق]

والاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها (الجهل به)، وهذا السبب

---

(١٧) يقال: سمر الشيء وسمّره- بالتخفيف والتشديد- إذا دق فيه المسامير.

(١٨) الحصَبُ- بفتحتين-: ما تحصِبُ به النارَ لإضرامها، وكل ما ألقيته في النار فقد حصبتَها به. والحصَب: الحجارة أو صغارها.

هو الغالب على أكثر النفوس، فان من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله فان انضاف الى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فان انضاف الى ذلك ألفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فان انضاف الى ذلك توهمه ان الحق الذي دعي اليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته واغراضه قوي المانع من القبول جداً، فان انضاف الى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ازداد المانع من قبول الحق قوة، فان هرقل عرف الحق وهمّ بالدخول في الاسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الاسلام بعد ما تبين له الهدى، كما سيأتي ذكر قصته ان شاء الله تعالى.

ومن أعظم هذه الأسباب (الحَسَد) فانه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد ان ينقاد له ويكون من اتباعه. وهل منع ابليس من السجود لآدم الا الحسد؟! فانه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غُصّ بريقه واختار الكفر على الايمان بعد أن كان بين الملائكة، وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الايمان بعيسى ابن مريم وقد علموا علمًا لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى فحملهم الحسد على ان اختاروا الكفر على الايمان وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والملوك والامراء هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة ولم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم، وانما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة واحساناً، وجاء مكملا لشريعة التوراة، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الايمان، فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع، مبكتاً[١٩] لهم بقبائحهم، ومنادياً على فضائحهم، ومخرجا لهم من ديارهم، وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو واصحابه وهم معه دائمًا في سفال، فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم؟! وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح وقد اطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم

(١٩) التبكيت: كالتقريع والتعنيف. ويقال: بكّته بالحجة: غلبه.

الهدى وهذا السبب وحده كاف في رد الحق؛ فكيف اذا انضاف اليه زوال الرياسات والمآكل كما تقدم.

وقد قال المسوّر بن مخرمة- وهو ابن أخت أبي جهل- لأبي جهل يا خالي هل كنتم تتهمون محمداً بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال! يا ابن أختي! والله لقد كان محمد (صلى الله عليه وسلم) فينا وهو شاب يدعى الامين، فما جربنا عليه كذباً قط. قال: يا خال! فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي فمتى ندرك مثل هذه!! وقال الاخنس بن شريق يوم بدر لابي جهل: يا أبا الحكم! اخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس ها هنا من قريش احد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله ان محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن اذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟!

[علماء اليهود يعرفون النبي كما يعرفون ابناءهم]

وأما «اليهود» فقد كان علماؤ هم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، قال ابن اسحق: عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة، قال: هل تدري عما كان اسلام اسد وثعلبة ابني شعبة واسد بن عبيد لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا، قال فانه قدم علينا رجل من الشام من اليهود يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا، والله ما رأينا رجلا يصلي خيرا منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، فكنا اذا قحطنا وقل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا فيقول؛: لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم[٢٠] صدقة، فنقول: كم؟ فيقول صاعاً من تمر، او مدّين من شعير فنخرجه، ثم يخرج الى ظاهر حرتنا[٢١]

---

(٢٠) يقال: خرج خروجاً ومخرجاً بمعنى. يريد حتى تتصدقوا لله قبل أن تسألوه السقيا أدباً مع الله. قال تعالى: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ [المجادلة: ١٣].

(٢١) الحرَّة: الأرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. تجمع على (حِرار).

ونحن معه نستسقي فو الله ما يقوم من مجلسه حتى تمطر ويمر بالشعاب[٢٢]، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة واجتمعنا اليه، فقال: يا معشر يهود! اترون ما اخرجني من ارض الخمر والخمير[٢٣] الى ارض البؤس والجوع؟ قالوا أنت اعلم، قال فاني انما خرجت اتوقع خروج نبي قد اظل زمانه[٢٤]، هذه البلاد مهاجره[٢٥]، فاتبعوه ولا يسبقن اليه غيركم اذا خرج، يا معشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن يخالفه فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات، فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة قال اولئك الثلاثة الفتية وكانوا شباناً احداثاً يا معشر اليهود والله انه للذي ذكر لكم ابن الهيبان، فقالوا ما هو به، قالوا بلى والله انه لصفته، ثم نزلوا واسلموا وخلوا اموالهم واهليهم. قال ابن اسحق وكانت اموالهم في الحصن مع المشركين فلما فتح ردت عليهم وقال ابن اسحق حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد، قال كان بين ابياتنا يهودي فخرج على نادي قومه بني عبد الاشهل ذات غداة فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذلك لاصحاب وثن لا يرون ان بعثاً كائن بعد الموت وذلك قبيل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: ويحك يا فلان! وهذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون بأعمالهم؟! قال: نعم، والذي يُحْلَفُ به لوددت ان حظي من تلك النار ان توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه ثم تقذفوني فيه ثم تطبقون علي وأني انجو من النار غداً، فقيل يا فلان ما علامة ذلك؟ قال نبي يبعث من ناحية هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: فمتى نراه؟ فرمى بطرفه فرآني[٢٦] وأنا مضطجع بفناء باب أهلي وانا أحدث القوم، فقال ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه، فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله صلى الله عليه

---

(٢٢) الشِّعاب: جمع شِعب: الطريق في الجبل، وما انفرج بين جبلين يقال له شعب. والشعب: مسيل الماء.

(٢٣) الخمر معروفة، والخمير ما يجعل في العجين، وأرض الخمر والخمير كناية عن الشبع والبطر.

(٢٤) أظلّ زمانه: قرب وأوشك.

(٢٥) مواضع هجرته.

(٢٦) الضمير في الياء عائد على الراوي: محمود بن لبيد رضي الله عنه.

وسلم وانه لحي بين أظهرنا، فآمنا به وصدقناه وكفر[٢٧] به بغياً وحسداً، فقلنا يا فلان ألست الذي قلت ما قلت وأخبرتنا به؟! قال ليس به. قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني اشياخ منا قالوا: لم يكن احد من العرب اعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا، كان معنا يهود وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب وثن، وكنا اذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا ان نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم قتل عاد وإرم، فلما بعث الله عز وجل رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اتبعناه وكفروا به ففينا وفيهم أنزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين[٢٨]) وذكر الحاكم وغيره عن ابن أبي نجيح عن علي الازدي، قال كانت اليهود تقول: اللهم ابعث لنا هذا النبي يحكم بيننا وبين الناس. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود خيبر فعاذت[٢٩] اليهود بهذا الدعاء، فقالت: اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم، قال فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله عز وجل (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) يعني بك يا محمد (فلعنة الله على الكافرين)،(يستفتحون) أي يستنصرون. وذكر الحاكم وغيره ان بني النضير لما أجلوا من المدينة أقبل عمرو بن سعد فأطاف بمنازلهم فرأى خرابها ففكر ثم رجع الى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا، فقال الزبير بن باطا: يا أبا سعيد أين كنت منذ اليوم فلم نرك وكان لا يفارق الكنيسة وكان يتأله في اليهودية - قال رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها، رأيت اخواننا قد أجلوا بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع قد تركوا اموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط لله بهم حاجة، وقد أوقع قبل ذلك بابن الاشرف في

---

(٢٧) الضمير المستتر في فعل (كفر) عائد على اليهودي الذي كان يتحدث آنفاً. وقول الراوي: كفر به بغياً وحسداً، يشير إلى كفر اليهود برسول الله (ﷺ) لأنه ليس يهودياً منهم كما كانوا يظنون أو يأملون.

(٢٨) سورة البقرة/٨٩

(٢٩) عاذت: أي التجأتْ واحتمتْ.

عزة بنيانه في بيته آمناً، واوقع بابن سنينة سيدهم، واوقع ببني قينقاع فاجلاهم وهم جُل اليهود وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة، فحصرهم النبي عليه السلام، فلم يخرج انسان منهم رأسه حتى سباهم، فكلم فيهم فتركهم على ان أجلاهم من يثرب، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمداً، فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به وبأمره ابن الهيبان وأبو عمرو بن حواس وهما أعلم اليهود جاءامن بيت المقدس يتو كفان[٣٠] قدومه وامرانا باتباعه وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا، فاسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، فاعاد هذا الكلام ونحوه وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء، فقال الزبير بن باطا: قد والتوراةِ قرأت صفته في كتاب التوراة التي انزلت على موسى ليس في المثاني التي أحدثنا، فقال له كعب بن أسد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟ قال أنت قال: ولم فوالتوراة ما حلت بينك وبينه قط؟ قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فان اتبعته اتبعناه وان أبيت أبينا، فاقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك الى أن قال كعب ما عندي في ذلك الا ما قلت، ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً.وهذا المانع هو الذي منع فرعون من اتباع موسى، فانه لما تبين له الهدى عزم على اتباع موسى عليه السلام، فقال له! وزيره هامان: بينا أنت اله تعبد تصبح تعبد ربا غيرك؟! قال: صدقت، وذكر ابن اسحق عن عبدالله بن أبي بكر، قال حدّثت عن صفية بنت حيي أنها قالت: كنت أحب ولد ابي اليه والي عمي ابي ياسر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاءا من العشي، فسمعت عمي يقول لابي أهو هو ؟ قال: نعم والله، قال اتعرفه وتثبته قال نعم، قال فما في نفسك منه قال: عداوته والله ما بقيت. بهذه الأمة الغضبية معروفة بعداوة الانبياء قديماً واسلافهم وخيارهم قد اخبرنا الله سبحانه عن اذاهم لموسى ونهانا عن التشبه بهم في ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)[٣١]

---

(٣٠) يتوكفان قدومه: يرتقبانه أو يتعرضان له، شبه مقدمه (ﷺ) بالوابل من المطر الذي يكف من السماء فيبعث الحياة في الأرض.

(٣١) الأحزاب/٦٩ وقوله: وجيهاً: أي ذاجاه.

وأما خلفهم فهم قتلة الانبياء: قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقاً كثيراً من الانبياء، حتى قتلوا في يوم سبعين نبياً واقاموا السوق في آخر النهار كانهم لم يصنعوا شيئاً، واجتمعوا على قتل المسيح وصلبه فصانه الله من ذلك واكرمه ان يهينه على أيديهم، والقى شبهه على غيره فقتلوه وصلبوه، وراموا قتل خاتم النبين مراراً عديدة والله يعصمه منهم، ومن هذا شأنهم لا يكبر عليهم اختيار الكفر على الايمان لسبب من الاسباب التي ذكرنا بعضها أو سببين أو أكثر.

[لا غرابة في جحد النصارى رسالة محمد وقد سبوا الله..]

وقد ذكرنا اتفاق امة الضلال وعباد الصليب على مسبة رب العالمين أقبح مسبة، على ما يعلم بطلانه بصريح العقل، فان خفي عليهم ان هذا مسبة لله وان العقل يحكم ببطلانه وبفساده من أول وهلة لم يكثر على تلك العقول السخيفة أن تسب بشراً ارسله الله، وتجحد نبوته، وتكابر ما دل عليه صريح العقل من صدقه وصحة رسالته، فلو قالوا ما قالوا لم يبلغ بعض قولهم في رب الأرض والسموات الذي صاروا به ضحكة بين جميع اصناف بني آدم فامة اطبقت على ان الاله الحق سبحانه عما يقولون صلب وصفع وسمر ووضع الشوك على رأسه ودفن في التراب، ثم قام في اليوم الثالث وصعد وجلس على عرشه يدبر أمر السموات والارض، لا يكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة من جاء بسبها ولعنها ومحاربتها وابداء معايبها والنداء على كفرها بالله ورسوله، والشهادة على براءة المسيح منها ومعاداته لها، ثم قاتلها وأذلها وأخرجها من ديارها وضرب عليها الجزية، وأخبر انها من اهل الجحيم خالدة مخلدة لا يغفر الله لها وأنها شر من الحمير؛ بل هي شر الدواب عند الله.

[ألوان من سخافة النصارى في الصليب]

وكيف ينكر لامة أطبقت على صلب معبودها وإلهها ثم عمدت الى الصليب فعبدته وعظمته، وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على احراقه، وأن تهينه غاية الاهانة إذ صلب عليه إلهها الذي يقولون تارة: انه الله، وتارة يقولون انه ابنه،

وتارة يقولون ثالث ثلاثة، فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة أن تجحد حق عبده ورسوله وتكفر به وكيف يكثر على أمة قالت في رب الارض والسموات انه ينزل من السماء ليكلم الخلق بذاته لئلا يكون لهم حجة عليه، فاراد أن يقطع حجتهم بتكليمه لهم بذاته لترتفع المعاذير عمن ضيع عهده بعد ما كلمه بذاته، فهبط بذاته من السماء، والتحم في بطن مريم، فاخذ منها حجابا، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، وهو الذي خلق جسمه وخلق امه، وأمه كانت من قبله بالناسوت[٣٢]، وهو كان من قبلها باللاهوت[٣٣]، وهو الاله التام، والانسان التام ومن تمام رحمته تبارك وتعالى على عباده انه رضي بأراقة دمه عنهم على خشبة الصليب، فمكن اعداءه اليهود من نفسه ليتم سخطه عليهم، فأخذوه وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه، وتوجوه بتاج من الشوك على رأسه، وغار[٣٤] دمه في أصبعه لانه لو وقع منه شيء الى الارض ليبس كلما كان على وجهها، فثبت في موضع صلبه النوار، ولما لم يكن في الحكمة الازلية ان ينتقم الله من عبده العاصي الذي ظلمه أو استهان بقدره لاعتلاء منزلة الرب وسقوط منزلة العبد أراد سبحانه أن ينتصف من الانسان الذي هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو اله مساوٍ له في الالهية، فصلب ابن الله الذي هو الله في الساعة التاسعة من يوم الجمعة هذه ألفاظهم في كتبهم!! فامة أطبقت على هذا في معبودها؟!! كيف يكثر عليها ان تقول في عبده ورسوله أنه ساحر وكاذب وملك متسلط ونحو هذا؟!!.

ولهذا قال بعض ملوك الهند: أما النصارى فان كان اعداؤهم من اهل الملل يجاهدونهم بالشرع فانا ارى جهادهم بالعقل، وان كنا لا نرى قتال احد لكني استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم؟ لأنهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة وشذوا عن جميع مصالح العالم الشرعية والعقلية الواضحة، واعتقدوا كل مستحيل ممكناً، وبنوا

(٣٢) الناسوت: كلمة سريانية تعني: الطبيعة البشريه.

(٣٣) اللاهوت: كلمة سريانية تعني. الطبيعة الإلهية.

(٣٤) الغار: شجر طيب الرائحة، ورقه يطول اخضراره، كانوا قديماً يضفرون من أوراقه أكاليل للمنتصرين.

من ذلك شرعا لا يؤدي الى صلاح نوع من انواع العالم؛ ولكنه يصير العاقل اذا شرع به اخرق، والرشيد سفيهاً، والحسن قبيحاً، والقبيح حسناً، لأن من كان في اصل عقيدته التي جرى نشؤه عليها الاساءة الى الخلاق والنيل منه، وسبه اقبح مسبة، ووصفه بما يغير صفاته الحسنى، فاخلق به ان يستسهل الاساءة الى مخلوق، وان يصفه بما يغير صفاته الجميلة فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم الا لعموم اضرارهم الذي لا تحصى وجوهه كما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه لكانوا اهلا لذلك.

والمقصود أن الذين اختاروا هذه المقالة في رب العالمين على تعظيمه وتنزيهه واجلاله ووصفه بما يليق به، هم الذين اختاروا الكفر بعبده ورسوله وجحد نبوته، والذين اختاروا عبادة صور خطوها بايديهم، في الحيطان مزوقة بالاحمر والاصفر والازرق لو دنت منها الكلاب لبالت عليها فاعطوها غاية الخضوع والذل والخشوع والبكاء وسألوها المغفرة والرحمة والرزق والنصر، هم الذين اختاروا التكذيب بخاتم الرسل على الايمان به وتصديقه واتباعه، والذين نزهوا بطارقتهم وبتاركتهم عن الصاحبة والولد ونحلوهما للفرد الصمد: هم الذين انكروا نبوة عبده وخاتم رسله.

[صلاة النصارى استهزاء بالمعبود]

والذين اختاروا صلاة يقوم اعبدهم وأزهدهم اليها والبول على ساقه وافخاذه فيستقبل الشرق ثم يصلب على وجهه ويعبد الآله المصلوب، ويستفتح الصلاة بقوله يا أبانا أنت الذي في السموات تقدس اسمك وليأت ملكك ولتكنْ ارادتك في السماء مثلها في الارض اعطنا خبزنا الملائم لنا، ثم يحدث من هو الى جانبه، وربما سأل عن سعر الحمر والخنزير وعما كسب، في القمار وعما طبخ في بيته، وربما احدث وهو في صلاته، ولو اراد لبال في موضعه ان امكنه، ثم يدعو تلك الصورة التي هي صنعة يد الانسان. فالذين اختاروا هذه الصلاة على صلاة من اذا قام الى صلاته طهر اطرافه وثيابه وبدنه من النجاسة، واستقبل بيته الحرام، وكبر الله وحمده وسبحه، واثنى عليه بما هو أهله، ثم ناجاه بكلامه المتضمن لأفضل الثناء عليه وتحميده وتمجيده وتوحيده، وافراده بالعبادة والاستعانة وسؤاله اجل مسئول وهو الهداية الى

طريق رضاه التي خص بها من انعم الله عليه دون طريق الأمتين المغضوب عليهم وهم اليهود والضالين وهم النصارى، ثم اعطى كل جارحة من الجوارح حظها من الخشوع والخضوع والعبودية مع غاية الثناء والتمجيد لله رب العالمين، لا يلتفت عن معبوده بوجهه، ولا قلبه، ولا يكلم أحدا كلمة، بل قد فرغ قلبه لمعبوده واقبل عليه بقلبه ووجهه، ولا يحدث في صلاته، ولا يجعل بين عينيه صورة مصنوعة يدعوها ويتضرع اليها، فالذين اختاروا تلك الصلاة التي هي في الحقيقة استهزاء بالمعبود لا يرضاها المخلوق لنفسه فضلا أن يرضى بها الخالق على هذه الصلاة التي لو عرضت على من له أدنى مسكة من عقل لظهر له التفاوت بينهما: هم الذين اختاروا تكذيب رسوله وعبده على الايمان به وتصديقه: فالعاقل اذا وازن بين ما اختاروه ورغبوا فيه وبين ما رغبوا عنه تبين له ان القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغي على الرشاد، والقبيح على الحسن، والباطل على الحق، وانهم اختاروا من العقائد ابطلها، ومن الاعمال اقبحها، واطبق على ذلك اساقفتهم وبتاركتهم ورهبانهم فضلا عن عوامهم وسقطهم.

[أكثر النصارى مقلدون]

(فصل) ولم يقل احد من المسلمين ان ما ذكرتم من صغير وكبير وذكر وانثى السائمة، معرضون عن طلب الهدى فضلا عن تبيينه لهم، وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم- وهم اقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الايمان بعد تبين الهدى، وأي اشكال يقع للعقل في ذلك فلم يزل في الناس من يختار الباطل، فمنهم من يختاره جهلا وتقليدا لمن يحسن الظن به ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً، ومنهم من يختاره طمعاً ورغبة في مأكل أو جاه أو سياسة، ومنهم من يختاره حسدا وبغياً، ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقاً، ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودع، فلم تنحصر اسباب اختيار الكفر في حب الرياسة والمأكلة.

المسألة الثانية

[من آمن بالنبي من رؤساء النصارى- حديث النجاشي]

واما (المسألة الثانية) وهي قولكم: هب أنهم اختاروا الكفر لذلك فهلّا اتبعَ الحق من لا رياسة له ولا مأكلة إما اختياراً وإما قهراً؛ فجوابه من وجوه: «أحدها» انا قد بينا ان اكثر من ذكرتم قد آمن بالرسول وصدقه اختياراً لا اضطراراً وأكثرهم اولو العقول والعلوم ممن لا يحصيهم الا الله، فرقعة الاسلام انما انتشرت في الشرق والغرب باسلام اكثر الطوائف، فدخلوا في دين الله افواجاً حتى صار الكفار معهم تحت الذلة والصغار وقد بينا ان الذين أسلموا من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين أكثر من الذين لم يسلموا، وأنه انما بقي منهم أقل القليل. وقد دخل في دين الاسلام من ملوك الطوائف ورؤسائهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق كثير، وهذا (ملك النصارى على إقليم الحبشة[٣٦]) في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما تبين له انه رسول الله آمن به ودخل في دينه وآوى اصحابه ومنعهم من أعدائهم، وقصته اشهر من أن تذكر، ولما مات اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالساعة التي توفي فيها وبينهما مسيرة شهر، ثم خرج بهم الى المصلى وصلى عليه، فروى الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً إئتمروا على أن يبعثوا الى النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً الا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي وعمرو

---

(٣٥) يقال: ودُع الرجل- بضم الدال- فهو وديع ووادع أي ساكن. والدَّعَة: الراحة والسكينة وخفض العيش.

(٣٦) هو النجاشي الذي آوى المهاجرين من المسلمين الأوائل إلى الحبشة فراراً بدين الله، وفيه وفي قساوسته قال تعالى: ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [المائدة: ٨٢-٨٣] ولما توفى الله النجاشي صلى عليه النبي (ﷺ) وأصحابه صلاة الغائب، مما يعد شهادة له بالايمان.

ابن العاص، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما: ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم، ثم قدموا الى النجاشي هداياه، ثم سلوه أن يسلمهم اليكم قبل أن يكلمهم. قالت فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار وعند خير جوار، فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، ثم قالا لكل بطريق انه قد صبأ[٣٧] الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا اليك فيهم[٣٨] أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم، فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم؛ فان قومهم أعلى بهم عينا[٣٩]، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا نعم، ثم إنهما قربا هداياهم الى النجاشي فقبلها منهم، ثم كلماه فقالا له أيها الملك انه قد صبأ الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك[٤٠]، وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم، فهم أعلى بهم عينا! وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض الى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله صدقوا أيها الملك، قومهم اعلى بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما ليردوهم الى بلادهم وقومهم، قالت فغضب النجاشي، ثم قال: لا ها الله[٤١] اذن لا أسلمهم اليهما ولا أكاد اقوام جاوروني ونزلوا ببلادي

---

(٣٧) صبأ: خرج من دين إلى دين. وكان المشركون يتهمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا من دين الشرك إلى دين الله الحنيف الذي أكرمهم به الله وجعلهم به خير أمة أخرجت للناس. والصابئون الذين يرد ذكرهم في القرآن الكريم جنس من أهل الكتاب.

(٣٨) فيهم: أي في اثرهم أو في طلبهم.

(٣٩) أعلى بهم عيناً: كناية يراد بها أنهم أكثر اطلاعاً على أمرهم.

(٤٠) يريد الجاهليون أن يستثيروا في النجاشي الحس السياسي الذي يقوّم الأشياء بميزان الربح والخسارة. . ولعل من أخسّ أساليب السياسة المبكرة قولهم: فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك. ثم التعقيب بعد ذلك بقولهم: وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت. .

(٤١) قسم مثل: لا والله. قاله النجاشي بلغة الحبشة. يقال: عدا عليه عدواً وعُدُوّاً واعتدى عليه، وتعدّى عليه كله بمعنى. والعدوان: الظلم الصُّراح.

واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت ثم أرسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما امرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما جاؤوه- وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله- سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الامم، قالت وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الاصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الارحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلوة والزكوة والصيام، قالت فعدد عليه امور الاسلام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا(٤١) علينا قومنا فعذبونا وفتنونا(٤٢) عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله عز وجل وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا(٤٣) وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك. قالت فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت فقال له جعفر: نعم، فقال

---

(٤٢) يقال: فتنه عن دينه: إذا عذبه بغية ردّه عن دينه. والفتنة على عمومها: البلاء والمصيبه، والاختبار يسمى فتنة لما بصيب النفس مما تكره. قال تعالى: ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ [العنكبوت: ٣] وفي المعنى الذي جاء في سياق كلام جعفر رضي الله عنه للنجاشي قال تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ [البروج: ١٠]

(٤٣) قوله: شقوا علينا، من المشقة، أي شددوا وأغلظوا في تعذيبنا.

له النجاشي : فاقرأه علي، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص[٤٤]) قالت فبكى والله النجاشي حتى أخضل[٤٥] لحيته وبكت اساقفته حتى أخضلو مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة[٤٦] واحدة، انطلقوا فو الله لا اسلمهم اليكم أبداً ولا اكاد قالت ام سلمة فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما استأصل به خضراءهم[٤٧]، قالت فقال عبد الله بن أبي ربيعة وكان ابقى الرجلين[٤٨] فينا لا تفعل فان لهم ارحاماً وان كانوا قد خالفونا، قال والله لأخبرنه أنهم يزعمون ان عيسى ابن مريم عبد، قالت ثم غدا[٤٩] عليه من الغد فقال له ايها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فارسلْ اليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت فأرسل اليهم فسألهم عنه، قالت ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى اذا سألكم عنه، قالوا نقول والله فيه ما قال الله عز وجل وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي القاها الى مريم العذراء البتول وروح منه، فضرب النجاشي يده الى الارض فأخذ منها عوداً ثم قال ما عدا[٥٠] عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود،فتناخرت بطارقته [٥١] حوله حين قال ما قال، فقال:وإن نخرتم، وان نخرتم والله، اذهبوا فانتم سيوم بأرضي- «والسيوم» الآمنون- من سبكم غرم من

(٤٤) أي أنه تلا عليه آيات من أول سورة مريم. وكانوا يسمون بعض السور بفاتحتها. ومن هنا تعددت أسماء بعض السور القرآنية الكريمة.

(٤٥) أي حتى بلَّلَ الدمع لحيته.

(٤٦) المشكاة: المصباح. ويقال لكل كُوَّةٍ غير نافذة: مشكاة.

(٤٧) كناية عن دحرهم والتغلب عليهم.

(٤٨) أبقى الرجلين فينا: كذا في الأصل ولعل المراد أنه أشفقهما فينا أو أحرصهما على بقائنا أي على حياتنا. وربما كانت (أتقى الرجلين) ولعله الأصوب.

(٤٩) غدا: بكر. من الغدوة.

(٥٠) ما عدا: ما تجاوز.

(٥١) قوله: فتناخرت بطارقته، لعل المراد أنهم اضطربوا أول الأمر فصاروا يحدثون صوتاً من مناخرهم ويمدون النفس في خياشيمهم. تنبيهاً للملك.

سبكم غرم، ما أحب ان لي دبر ذهب وأني آذيت رجلا منكم- «والدبر» بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما ولا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فاطيعهم فيه، قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاؤا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، قالت فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، قالت فوالله ما علمنا حزناً قط كان اشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفاً ان يظهر[٥٢] على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه، قالت فسار النجاشي وبينهما عرض النيل فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم حتى يأتينا بالخبر، قالت فقال الزبير انا، وكان من احدث القوم سناً، قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم، قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده فاستوسق[٥٣] له امر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان شهر ربيع الاول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام، وبعث به مع عمرو بن امية الضمري، فلما قرىء عليه الكتاب اسلم، وقال لو قدرت على أن آتيه لأتيته، وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان ففعل وأصدق عنه اربعمائة دينار، وكان الذي تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه من بقي عنده من اصحابه ويحملهم ففعل، فقدموا المدينة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فشخصوا اليه فوجدوه قد فتح خيبر، فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم في سهامهم ففعلوا.

فهذا ملك النصارى قد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به

(٥٢) ظهر عليه: أي غلبه.
(٥٣) استوسق له الأمر: اجتمع وانتظم.

واتبعه، وكم مثله ومن هو دونه ممن هداه الله من النصارى قد دخل في الدين، وهم اكثر باضعاف مضاعفة ممن اقام على النصرانية.

قال ابن اسحق: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد، فجلسوا اليه وكلموه، وقبالتهم رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم خيبكم الله من ركب؟! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال؟! ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا فقالوا لهم سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل من أنفسنا خيراً. ويقال ان النفر من النصارى من أهل نجران، فيهم نزلت (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ـ الى قوله ـ سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين[٥٤]) وقال الزهري ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه.

قال ابن أسحق: ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد «نصارى نجران» بالمدينة، فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلوا عليه مسجده بعد العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده فاراد الناس منعهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوهم» فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم، وكانوا ستين راكبا، منهم أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يؤول امرهم: «العاقب» أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه وأمره، واسمه عبد

(٥٤) سورة القصص/٥٢ ـ ٥٥

المسيح . «والسيل» عقالهم(٥٥) وصاحب رحلهم ومجمعهم . «وأبو حارثه بن علقمة» أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم، وكان ابو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم. فلما وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة متوجهاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جنبه أخ له يقال له كرز بن علقمة يسايره اذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له أبو حارثة، بل أنت تعست. فقال: ولم يا أخي؟! فقال والله انه للنبي الذي كنا ننتظره ، فقال له كرز فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا، فقال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا الا خلافه، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فاصر عليها أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهذا وأمثاله من الذين منعتهم الرياسة والمآكل من اختيار الهدى وآثروا دين قومهم واذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم علماؤهم وأحبارهم كان بقيتهم تبعاً لهم، وليس بمستنكر أن تمنع الرياسة والمناصب والمآكل للرؤساء ويمنع الأتباع تقليدهم ، بل هذا هو الواقع والعقل لا يستشكله.

[قصة عدي بن حاتم]

وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الاسلام لما تبين أنه الحق الرئيس المطاع في قومه «عدي بن حاتم الطائي» ونحن نذكر قصته رواها الامام أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم، قال عدي بن حاتم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمان ولا كتاب، فلما رفعت اليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: «اني لا أرجوا أن يجعل الله يده في يدي» قال فقام لي، فلقيته امرأة وصبي معها فقالا ان لنا اليك حاجة فقام معهما حتى قضي حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره فالقت له الوليدة وسادة

(٥٥) في نسخة: مثالهم.

فجلس عليها، وجلست بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما يفرك[٥٦] ان تقول لا اله الا الله، فهل تعلم من اله سوى الله»؟ قال قلت لا، ثم تكلم ساعة، ثم قال «انما يفرك ان يقال الله تعالى أكبر، وتعلم ان شيئاً أكبر من الله؟!»، قال قلت لا، قال: «فإن اليهود مغضوب عليهم وان النصارى ضُلّال» قال قلت فاني حنيف مسلم، قال فرأيت وجهه ينبسط فرحا، قال ثم امر بي فانزلت عند رجل من الانصار جعلت اغشاه آتيه طرفي النهار، قال فبينا أنا عنده عشية اذ جاءه قوم في ثياب من الصوف من هذه النمار[٥٧]، قال فصلى وقام فحث عليهم، ثم قال: «ولو بصاع، ولو بنصف صاع، ولو بقبضة، ولو ببعض قبضة، يقي أحدكم وجهه حر جهنم أو النار ولو بتمرة ولو بشق تمرة، فان أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم؛ ألم أجعل لك سمعاً وبصراً؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أجعل لك مالا وولداً؟ فيقول: بلى فيقول: أين ما قدمت لنفسك؟! فينظر قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقي وجهه حر جهنم، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فان لم يجد فبكلمة طيبة، فاني لا أخاف عليكم الفاقة، فان الله ناصركم ومعطيكم حتى لتسير الظعينة فيما بين يثرب والحيرة أكثر ما يخاف على مطيتها السرق» قال فجعلت أقول في نفسي فاين لصوص طي؟!

وكان عدي مطاعاً في قومه بحيث يأخذ المرباع من غنائمهم . وقال حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين . ، قال قال أبو عبيدة بن حذيفة، قال عدي بن حاتم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فكرهته أشد ما كرهت شيئاً قط، فخرجت حتى أتيت أقصى أرض العرب مما يلي الروم، ثم كرهت مكاني أشد مما كرهت مكاني الاول؛ فقلت لو أتيته فسمعت منه، فأتيت المدينة فاستشرفني الناس، وقالوا جاء عدي بن حاتم الطائي! جاء عدي بن حاتم الطائي! فقال: «يا عدي بن حاتم الطائي اسلم تسلم» فقلت اني علي دين، قال: «أنا أعلم بدينك منك» قلت أنت أعلم بديني مني؟ قال: «نعم» قال هذا ثلاثاً قال: «ألست لوسياً» قلت: بلى قال:

---

(٥٦) ما يمنعك؟..

(٥٧) النَّمِرة: بُردة من صوف تلبسها الأعراب، تجمع على نمار.

«الست ترأس قومك» قلت بلى، قال «ألست تأخذ المرباع» قلت بلى، قال«فان ذلك لا يحل لك في دينك» قال فوجدت بها علي غضاضة، ثم قال «لعله أن يمنعك أن تسلم أن ترى عندنا خصاصة(٥٨)، وترى الناس علينا إلباً(٥٩) واحداً، هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد علمت مكانها، قال «فان الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت بغير جوار، وليفتحن الله علينا كنوز كسرى بن هرمز قلت: كسرى بن هرمز، قال: «كنوز كسرى بن هرمز، وليفيضّن المال حتى يهتم الرجل من يقبل منه صدقته» قال فقد رأيت الظعينة ترحل من الحيرة بغير جوار، وكنت في أول خيل أغارت على المدائن، ووالله لتكونن الثالثة انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[قصة سلمان الفارسي]

وقد كان «سلمان الفارسي» من أعلم النصارى بدينهم، وكان قد تيقن خروج النبي صلى الله عليه وسلم فقدم المدينة قبل مبعثه، فلما رآه عرف أنه هو النبي الذي بشر به المسيح فآمن به واتبعه، ونحن نسوق قصته، قال ابن اسحق: حدثني عاصم، ، عن محمود، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال حدثني سلمان الفارسي من فيه، قال كنت رجلا فارسياً من أهل اصبهان من قرية يقال لها جي، وكان ابي دهقان(٦٠) قريته، وكنت أحب خلق الله اليه لم يزل حبه إياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية، فاجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار التي نوقدها لا نتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة فشغل في بنيان له يوما، فقال يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب اليها فاطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي ولا تحتبس عني فانك ان احتبست عني كنت أهم اليّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري، فخرجت أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس

---

(٥٨) الخصاصة: الفقر وضيق العيش.

(٥٩) الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحدٍ. يقال: هم علي إلْب واحد.

(٦٠) الدِّهقان: بكسر الدال: فارسية، تعني رئيس الإقليم.

لحبس أبي اياى في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت هذا والله خير من الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعته فلم آتها، ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام، فرجعت الى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال يا بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت اليك ما عهدت؟ قلت يا أبت مررت باناس يصلون في كنيسة لهم فاعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت حتى غربت الشمس، قال: أي بني! ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا، فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته، وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني بهم، فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبروني، فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنوني بهم، قال فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علماً، قالوا الاسقف في الكنيسة، فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك فأخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأصلي معك، قال ادخل فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق[٦١]، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قلت: أنا أدلكم على كنزه، فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً، فصلبوه ورموه بالحجارة!! وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلا يصلى ارى أنه أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه، فأحببته حبا لم أحبه شيئاً قبله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة، فقلت له يا فلان اني قد كنت معك واحببتك حباً لم أحبه شيئاً

---

(٦١) الورق- بكسر الراء-: الفضة.

قبلك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فالى من توصي بي وبم تأمرني، فقال أي بني والله ما أعلم أحداً على ما كنت عليه، ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلاً بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه، فلما مات وغيّب لحقت بصاحب الموصل، فقلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني عند موته ان الحق بك، وأخبرني انك على أمره، فقال أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني، قال يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه الا رجلاً بنصيبين وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيّب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي، فقال أقِم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبثت أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له يا فلان إن فلاناً أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان اليك فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ فقال: يا بني! والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا، آمرك أن تأتيه الا رجلاً بعمورية من أرض الروم، فانه على مثل ما نحن عليه، فان أحببت فأته، فلما مات وغيّب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبري، فقال أقِم عندي فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم، فاكتسبت حتى كانت لي بقيرات وغنيمة، ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان، ثم أوصى بي فلان اليك، فالى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه؛ ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب، مهاجره الى أرض بين حرتين، بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فان استطعت ان تلحق بتلك البلاد فافعل، ثم مات وغيّب، فمكثت بعمورية ما شاء الله ان أمكث، ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت: لهم أحملوني الى ارض العرب واعطيكم بقيراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فأعطيتموها فحملوني معهم، حتى اذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل

(٦٢) العَذْق- بالفتح-: النخلة بحَملها.

يهودي فكنت عنده، فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي، فبينا انا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة فابتاعني منه فحملني الى المدينة، فوالله ما هو الا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فاقمت بها، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام لا اسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر الى المدينة، فوالله اني لفي رأس عذق لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي اذ اقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة والله انهم الآن لمجتمعون معنا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي، فلما سمعتها أخذتني العرواء[٦٣] حتى ظننت اني ساقط على سيدي، فنزلت عن النخلة فجعلت اقول لابن عمه ذلك ما تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ اقبل على عملك! فقلت: لا شيء انما اردت ان استثبته عما قال، وقد كان عندي شيء جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له انه قد بلغني انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته اليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه «كلوا» وأمسك فلم يأكل، فقلت في نفسي هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته به، فقلت اني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية اكرمتك بها، فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعلي شملتان[٦٤] لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني صلى الله عليه وسلم استديرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي، فألقى الرداء عن ظهره، فنظرت الى الخاتم فعرفته، فاكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحول» فتحولت

---

(٦٣) العُرَواء: مسّ الحمى.

(٦٤) الشَّملة: كساء يشتمل به.

فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك اصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد، قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عيه وسلم: «كاتب يا سلمان» فكاتبت صاحبي على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير، وأربعين اوقية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعينوا أخاكم» فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين ودية(٦٥)، والرجل بعشرين ودية، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشر، يعينني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلثمائة ودية، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذهب ي سلمان ففقر لها(٦٦) فإذا فرغت فأتني أكن أنا اضعها بيدي» ففقرت، واعانني أصحابي حتى اذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج معي اليها، فجعلنا نقرب اليه الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغت، فو الذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال «ما فعل الفارسي المكاتب» فدعيت له فقال: «خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان» فقلت: وأين تقع يا رسول الله مما علي؟! قال «خذها فان الله سيؤدي بها» فاخذتها فوزنت منها لهم والذي نفسي بيده اربعين اوقيه فأوفيتهم حقهم، فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد.

[قصة هرقل]

(فصل) وكان ملك الشام أحد اكابر علمائهم بالنصرانية (هرقل) قد عرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً، وعزم على الاسلام فأبى عليه عباد الصليب، فخافهم على نفسه، وضن بملكه مع علمه بانه سينقل عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته. ونحن نسوق قصته، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن

---

(٦٥) الودِيّة: تجمع على الودِيّ: صغار الفسيل من النخل الذي يقطع من الأم فيغرس.

(٦٦) أي إحفر لها في الأرض.

عباس، أن أبا سفيان أخبره من فيه الى فيه، قال انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا أنا بالشام اذ جيء بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل، وقد كان دحية بن خليفة جاء به فدفعه الى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى الى هرقل ، فقال هرقل: هل ههنا احد من قوم هذا الرجل الذي يزعم انه نبي؟ قالوا نعم، قال فدعيت في نفرمن قريش، فدخلنا على هرقل، فاجلسنا بين يديه، واجلسوا اصحابي خلفي، فدعا بترجمانه فقال: قل لهم اني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم انه نبي فان كذبني فكذبوه، فقال أبو سفيان وايم الله(٦٧) لو لا مخافة ان يؤثر علي الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبُهُ فيكم؟ قال قلت: هو فينا ذو حسب قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت لا، قال ومن اتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم ، قال أيزيدون أم ينقصون؟ قلت لا بل يزيدون، قال فهل يرتد أحد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة(٦٨) له؟ قال قلت لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت نعم، قال فكيف كان قتالكم اياه؟ قال قلت يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه، قال فهل يغدر؟ قلت لا ونحن منه في مدة ما ندري ما هو صانع فيها، قال فوالله ما امكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه، قال: فهل قال هذا القول احد قبله؟ قلت لا. قال لترجمانه قل له أني سألتك عن حسبه فزعمت انه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت ان لا، فقلت لو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن اتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت بل، ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت ان لا، فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله عز وجل، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله

---

(٦٧) أصله: أيمنُ الله: اسم وضع للقسم هكذا، بضم الميم والنون وهو جمع يمين، وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين، ولم يجيء في الاسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها. وربما حذفوا النون منه فقالوا: أيْمُ الله، بفتح الهمزة وكسرها.

(٦٨) السَخَط- بالفتح- والسُخط- بالضم-: نقيض الرضا.

سخطة له؟ فزعمت ان لا وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب وسألتك هل يزيدون ام ينقصون فزعمت انهم يزيدون، وكذلك الايمان حتى يتم. وسألتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال هذا القول احد قبله؟ فزعمت أن لا. فقلت لو قال هذا القول أحد من قبله قلت رجل إئتم بقول قيل قبله ثم قال: فبم يأمركم؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، قال ان يكن ماتقول حقاً انه لنبي، وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص اليه لاحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي. ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه، فاذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام، اسلم تسلم، اسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وان توليت فان عليك اثم الاريسيين و (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون[٦٩]) فلما قرأه وفرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده وكثر اللغط[٧٠]، وأمر بنا فأخرجنا، ثم أذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[٨١] له بحمص، ثم أمر بابوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم:! هل لكم في الفلاح والرشد وأن تثبت مملكتكم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا[٨٢] حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الايمان قال ردوهم علي، فقال اني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه. فهذا ملك الروم وكان من

---

(٦٩) آل عمران/٦٤

(٧٠) اللَغَطُ ـ بفتحتين ـ: الصوت والجَلَبة.

(٨١) الدَّسْكَرةُ: القرية العظيمة. تجمع على دساكِرْ.

(٨٢) يقال: حاص عنه، إذا عدل وحاد. والمحيص: المحيد والمهرب. والحيصة: اسم هيئة. المراد أنهم اضطربوا وبادروا الى الأبواب يبتغون الفرار جحداً للحق بعد ما عرفوه واستيقنته أنفسهم ظلمًا وعلواً.

علمائهم أيضاً عرف وأقر انه نبي وانه سيملك ما تحت قدميه وأحب الدخول في الاسلام فدعى قومه اليه فولوا عنه معرضين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة[٨٣]) فمنعه من الاسلام الخوف على ملكه ورياسته، ومنع أشباه الحمير ما منع الامم قبلهم .

ولما عرف «النجاشي ملك الحبشة» ان عباد الصليب لا يخرجون عن عبادة الصليب الى عبادة الله وحده اسلم سراً، وكان يكتم اسلامه بينهم هو وأهل بيته ولا يمكنه مجاهرتهم ذكر ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه مكانه يدعوه الى الاسلام، فقال له عمرو: يا أصحمة! علي القول وعليك الاستماع: إنك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيراً قط الا نلناه، ولم نخفك على شيء قط الا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الحز وأصابة المفصل، والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر منتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله انه للنبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وان العيان ليس باشفى من الخبر.

قال الواقدي: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة: أسلم انت فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة، حملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله اليك، واني أدعوك وجنودك

---

(٨٣) سورة المدثر/٥٠- ٥١. والقسورة: من أسماء الأسد.

الى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى».

فكتب اليه النجاشي : بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله وبركات الله الذي لا اله الا هو، أما بعد فلقد بلغني كتابك فيها ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والارض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا، انه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به الينا، وقد قرّبنا ابن عمك واصحابه، فاشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. «والتفروق» علامة تكون بين النواة والتمرة.

[قصة المقوقس]

(فصل) وكذلك «ملك دين النصرانية بمصر» عرف أنه نبي صادق، ولكن منعه من اتباعه ملكه وان عباد الصليب لا يتركون عبادة الصليب، ونحن نسوق حديثه وقصته، قال الواقدي كتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد فاني ادعوك بداعية الاسلام، اسلم تسلم، اسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فان عليك اثم القبط (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون[٨٤]) وختم الكتاب، فخرج به حاطب حتى قدم عليه الاسكندرية، فانتهى الى حاجبه فلم يلبثه ان أوصل اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال حاطب للمقوقس لما لقيه إنه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الأعلى (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى[٨٥]) فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك، قال : هات، قال إن لنا ديناً لن ندعه الا لما هو خير

---

(٨٤) آل عمران/٦٤

(٨٥) النازعات/٢٥

منه وهو الاسلام الكافي به الله فقدّ ما سواه، ان هذا النبي دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا اياك الى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل، وكل نبي ادرك قوماً فهم من امته، فالحق عليهم ان يطيعوه، فانت ممن ادرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به، فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فرأيته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي عن مرغوب عنه، ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة من اخراج الخبء[٨٦] والاخبار بالنجوى، ووصف لحاطب اشياء من صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: القبط لا يطاوعونني في اتباعه، ولا أحب ان تعلم بمحاورتي اياك، وانا اضن بملكي ان أفارقه، وسيظهر على بلادي وينزل بساحتي هذه أصحابه من بعده، فارجع الى صاحبك ، وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق[٨٧] من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعوا اليه وقد علمت ان نبياً بقي، وكنت اظن انه يخرج بالشام، وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركبها، والسلام عليك، ولم يزد: «والجاريتان» مارية، وسيرين: «والبغلة» دلدل، وبقيت الى زمن معاوية، قال حاطب فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه».

[قصة ابني الجلندي]

(فصل) وكذلك «ابنا الجلندي ملكا عمان وما حولها» من ملوك النصارى اسلما طوعاً واختياراً، ونحن نذكر قصتهما وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٨٦) الخَبْء: ما خبّيء.

(٨٧) الحُقة: الوعاء الصغير، تجمع على حُقّ وحُقَق وحِقاق.

اليهما، وهذا لفظه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله الى حيفر وعبيد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فاني ادعوكما بداعية الاسلام، اسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما مكانكما، وان أبيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما، وختم الكتاب وبعث به مع عمرو بن العاص، قال عمرو: فخرجت حتى انتهيت الى عمان، فلما قدمتها انتهيت الى عبيد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا، فقلت: اني رسول الله اليك والى أخيك فقال أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك اليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال لي: وما تدعو اليه، قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك له وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال يا عمرو انك سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة؟ قلت مات ولم يؤمن بمحمد ووددت انه كان أسلم وصدق به، وكنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام، قال فمتى تبعته قلت قريباً، فسألني أين كان اسلامي فقلت عند النجاشي واخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت اقروه، قال والاساقفة والرهبان؟ قلت نعم، قال انظر يا عمرو ما تقول انه ليس خصلة في رجل افضح له من كذب، قلت ما كذبت وما نستحله في ديننا، ثم قال ما أرى هرقل علم باسلام النجاشي قلت بلى، قال باي شيء علمت ذلك؟ قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما اسلم وصدق بمحمد قال لا والله لو سألني درهماً واحداً ما اعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له نياق اخوه: اتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً؟ قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع، قال انظر ما تقول يا عمرو؟ قلت والله لقد صدقتك، قال عبيد فاخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه لو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي

أضن بملكه من أن يدعه ويصير ديناً، قلت انه ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، قال ان هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟ فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت نعم، فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا، قال فمكثت ببابه اياماً وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبري، ثم انه دعاني يوماً فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضعي[88] فقال دعوه فارسلت، فذهبت لاجلس فابوا أن يدعوني أجلس، فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك، فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض خاتمة فقرأه حتى انتهى الى آخره، ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا اني رأيت أخاه ارق منه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت اتبعوه اما راغب في الاسلام واما مقهور بالسيف، قال ومن معه؟ قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة[89]، وان أنت لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال، قال دعني يومي هذا وارجع الي غداً، فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو اني لأرجو أن يسلم ان لم يضن بملكه، حتى اذا كان الغد أتيت اليه فابى أن يأذن لي فانصرفت الى أخيه فأخبرته اني لم أصل اليه فاوصلني اليه، فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا يبلغ خيله ههنا، وان بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقا، قلت وأنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل اليه قد أجابه، فاصبح فارسل الي فاجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعاً وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عونا على من خالفني.

(٨٨) الضَّبْع: العضد، يجمع على أضباع.

(٨٩) الحرجة: الضيق كناية عن الضلال.

[صاحب اليمامة]

(فصل) وكتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي الحنفي «صاحب اليمامة» بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم أجعل لك ما تحت يدك، وكان عنده أركون(٩٠) دمشق عظيم من عظماء النصارى فسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ وقال قد جاءني كتابه يدعوني الى الاسلام فقال له الأركون لم لا تجيبه؟ فقال: ضننت بديني وأنا ملك قومي ان اتبعته لم أملك، قال بلى والله لئن اتبعته ليُملّكنك وان الخيرة لك في اتباعه، وانه للنبي العربي بشر به عيسى ابن مريم ، والله انه لمكتوب عندنا في الانجيل.

[قصة الحارث]

(فصل) وذكر الواقدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث شجاع بن وهب الى «الحارث بن أبي شمر» وهو بغوطة دمشق، فكتب اليه مرجعه من الحديبية «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى الحرث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق، واني أدعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك» وختم الكتاب، فخرج به شجاع بن وهب، قال فانتهيت الى حاجبه فاجده يومئذ وهو مشغول بتهيئة الانزال والالطاف لقيصر وهو جاءٍ من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله عز وجل، قال فاقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسولُ رسولِ الله اليه، فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه وكان رومياً اسمه مري يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول إني قرأت في الانجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه، فكنت أراه يخرج بالشام فأراه قد خرج بارض العرب، فانا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحارث بن أبي شمر أن يقتلني، قال شجاع فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي، ويخبرني عن الحارث

---

(٩٠) الأركون: كلمة يونانية تعني: الرئيس والمقدم والدهقان.

باليأس منه، ويقول هو يخاف قيصر، قال فخرج الحارث يوما وجلس فوضع التاج على رأسه فاذن لي عليه، فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه، وقال: من ينتزع مني ملكي؟! أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس، فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال اخبر صاحبك ما ترى، وكتب الى قيصر يخبره خبرى فصادف قيصر بإيليا وعنده دحية الكلبي قد بعثه اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قرأ قيصر كتاب الحارث اليه أن لا تسر اليه والهُ عنه ووافني بإيليا، قال ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك؟ قلت غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهباً، ووصلني مري بنفقة وكسوة، وقال اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبره أني متبع دينه، قال شجاع: فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال «باد ملكه» واقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «صدق»..

(فصل) ونحن انما ذكرنا بعض ملوك الطوائف الذين آمنوا به وأكابر علمائهم وعظمائهم ولا يمكننا حصر من عداهم وهم جمهور أهل الارض، ولم يتخلف عن متابعته الا الاقلون، وهم: إما مسالم له قد رضي بالذلة والجزية والهوان، وإما خائف منه فأهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلمون له، ومسالمون له، وخائفون منه.

[قصة عبدالله بن سلام]

ولو لم يسلم من اليهود في زمنه الا سيدهم على الاطلاق وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم باعترافهم له بذلك وشهادتهم «عبد الله بن سلام» لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الارض فكيف وقد تابعه على الاسلام من الأحبار والرهبان من لا يحصي عددهم الا الله، ونحن نذكر قصة عبد الله بن سلام، فروى البخاري في صحيحه من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك، قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة، فقالوا جاء نبي الله، فاستشرفوا ينظرون، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف[91] لهم منه، فعجل أن يضع الذي

---

(٩١) يخترف: يجتني الثمار.

يخترف لهم فيها فجاء وهي معه، فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى أهله، فلما خلا نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام، فقال أشهد انك نبي الله حقاً وانك جئت بالحق، ولقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا اني قد اسلمت، فانهم ان يعلموا أني قد اسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ، فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر اليهود ويلكم! اتقوا الله، فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعملون اني رسول الله حقاً، واني جئتكم بحق، اسلموا» قالوا ما نعلمه فاعادها عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك، قال: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا، قال«أفرأيتم ان أسلم»؟ قالوا حاش لله ما كان ليسلم، فقال «يا ابن سلام اخرج عليهم »فخرج اليهم فقال: يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله! فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقاً، وانه جاء بالحق، فقالوا كذبت، فاخرجهم النبي صلى الله عليه وسلم، وفي صحيح البخاري أيضاً من حديث حميد عن أنس، قال سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض له، فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول اشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه؟ قال« اخبرني بهن جبريل آنفا» قال: جبريل؟ قال: « نعم» قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال« ثم» قرأ هذه الآية(من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) [٩٢]أما أول اشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق الى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الرلد الى ابيه واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد الى أمه» فقال اشهد ان لااله الا الله وأشهد انك رسول الله إن اليهود قوم بُهْت[٩٣]، وانهم ان يعلموا باسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني، فجاءت اليهود اليه، فقال: « أى رجل فيكم عبد الله بن

---

(٩٢) سورة البقرة/٩٧

(٩٣) أي قوم بهتان وضلال وتكذيب.

سلام»؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: « أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام» قالوا اعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال اشهد أن لا اله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله، قالوا: شرنا وابن شرنا. وانتقصوه، قال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله.

وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر، عن يحي بن عبد الله، عن رجل من آل عبد الله بن سلام، قال كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم وكان حَبْراً[٩٤]عالماً قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت صفته واسمه وهيأته والذي كنا نتوكف له، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فلما قدم نزل معنا في بني عمرو بن عوف، فأقبل رجل حتى اخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كبَّرتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت قال، قلت لها أي عمة هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به، فقالت ياابن أخي أهو النبي الذى كنا نبشر به انه يبعث مع نفس الساعة؟ قال قلت لها نعم، قالت فذاك اذاً، قال ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت، ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فاسلموا وكتمت إسلامي من اليهود، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان اليهود قوم بهت واني أحب ان تدخلني في بعض بيوتك تغيبني عنهم ثم تسألهم عني كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا باسلامي، فانهم ان علموا بذلك بهتوني وعابوني، قال فأدخلني بعض بيوته، فدخلوا عليه فكلموه وسألوه، فقال لهم« أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا، قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم يامعشر اليهود! اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة اسمه وصفته، فاني أشهد أنه رسول الله، وأومن به واصدقه

---

(٩٤) الحبر- بفتح أوله وكسره-: واحد أحبار اليهود. وهم علماؤهم وسادتهم.

واعرفه، قالوا كذبت، ثم وقعوا فيّ[٩٥] فقلت يارسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور؟! قال فاظهرت اسلامي وأسلم أهل بيتي، واسلمت عمتي ابنة الحارث فحسن اسلامها وفي مسند الامام أحمد وغيره عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وانجفل[٩٦] الناس قبله، فقالوا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت في الناس لأنظر الى وجهه، فلما رأيت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته منه ان قال: « يأأيها الناس اطعموا الطعام، وافشوا السلام، وصِلوا الارحام، وصلّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». فعلماء القوم واحبارهم كلهم كانوا كما قال الله عز وجل(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم)[٩٧]فمنهم من آثر الله ورسوله والدار الآخرة، ومنهم من آثر الدنيا واطاع داعي الحسد والكبر.

وفي مغازي موسى بن عقبة عن الزهري، قال كان بالمدينة مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اوثانٌ تعبدها رجال من اهل المدينة لا يتركونها فأقبل عليهم قومهم وعلى تلك الاوثان فهدموها، وعمد أبو ياسر بن اخطب اخو حيي بن اخطب وهو ابو صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ، فسمع منه وحادثه، ثم رجع الى قومه وذلك قبل ان تصرف القبلة نحو المسجد الحرام فقال ابو ياسر: ياقوم اطيعوني فان الله عز وجل قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرون، فاتبعوه ولا تخالفوه، فانطلق اخوه حيي حين سمع ذلك - وهو سيد اليهود يومئذ وهما من بني النضير- فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس اليه- وسمع منه، فرجع الى قومه وكان فيهم مطاعا فقال أتيت من عند رجل والله لا ازال له عدواً ابداً ، فقال له اخوه ابو ياسر : يابن امي اطعني في هذا الامر ثم اعصني فيما شئت بعده لاتهلك ، قال لا والله لا اطيعك واستحوذ عليه الشيطان فاتبعه قومه على رأيه!

وذكر ابن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عمن حدثه عن صفية بنت حيي انها قالت: لم يكن من ولد ابي وعمي احد أحب اليهما مني لم القهما في ولد قط الا اخذاني

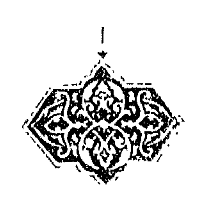
---

(٩٥) يريد أنهم كذبوه وشتموه.

(٩٦) انجفل: أسرع. أي التفوا حوله.

(٩٧) سورة البقرة/١٤٦ وسورة الأنعام/٢٠

دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء نزل في بني عمرو بن عوف، فغدا اليه ابي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين[٩٨]، فوالله ما جاءا الا مع مغيب الشمس، فجاءا فاترين كسلين ساقطين يمشيان الهوينا، فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما نظر إلي واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي أهو هو؟ قال نعم والله، قال تعرفه بنعته وصفته؟ قال نعم والله، قال فماذا في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال ابن اسحاق وحدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس، قال لما أسلم عبدالله بن سلام وثعلبة بن شعية وأسد بن شعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من اليهود فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام قال من كفر من اليهود: ما آمن بمحمد ولا اتبعه الا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره، فانزل الله عز وجل في ذلك (ليسوا سواء، من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين)[٩٩].



(٩٨) التفليس: السير في الظلمة.
(٩٩) آل عمران/١١٣- ١١٤.

الفصل الثالث
[المذكور في كتبهم غالبا نعته وهو أبلغ من الاسم]

قال السائل «مشهور عندكم في الكتاب والسنة ان نبيكم كان مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل لكنهم محوه عنها لسبب الرياسة والمأكلة، والعقل يستشكل ذلك، أفكلهم اتفقوا على محو اسمه من الكتب المنزله من ربهم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً؟! هذا امر يستشكله العقل اعظم من نفيهم بألسنتهم لانه يمكن الرجوع عما قالوا بألسنتهم والرجوع عما محوا «ابعد».والجواب ان هذا السؤال مبني على فهم فاسد، وهو ان المسلمين يعتقدون ان اسم النبي صلى الله عليه وسلم الصريح وهو محمد بالعربية مذكور في التوراة والانجيل وهما الكتابان المتضمنان لشريعتين وان المسلمين يعتقدون ان اليهود والنصارى في جميع اقطار الارض محوا ذلك الاسم واسقطوه جملة من الكتابين وتواصوا بذلك بعداً وقرباً وشرقاً وغرباً، وهذا لم يقله عالم من علماء المسلمين ، ولا أخبر الله سبحانه به في كتابه عنهم، ولا رسوله ولا بكتهم به يوماً من الدهر ، ولا قاله أحد من الصحابة ولا الائمة بعدهم ، ولا علماء التفسير، ولا المعتنون بأخبار الامم وتواريخهم، وان قدر أنه قاله بعض عوام المسلمين يقصد به نصر الرسول فقد قيل: يضر الصديق الجاهل أكثر مما يضر العدو العاقل. وانما أتي هؤلاء من قلة فهم القرآن، وظنوا أن قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[1]) دل على الاسم الخاص بالعربية في التوراة والانجيل المخصوصين وان ذلك لم يوجد البته، فهذه ثلاث مقامات: «**أما المقام الاول**» فالرب سبحانه انما أخبر عن كون رسوله مكتوباً عندهم أي الاخبار عنه وصفته ومخرجه ونعته، ولم يخبر بأن صريح اسمه العربي مذكور عندهم في التوراة والانجيل، وهذا

---

(١) الأعراف/١٥٧

واقع في الكتابين كما سنذكر ألفاظهما ان شاء الله ، وهذا أبلغ من ذكره بمجرد اسمه ، فان الاشتراك قد يقع في الاسم فلا يحصل التعريف والتمييز ، ولا يشاء أحد يسمى بهذا الاسم أن يدعي انه هو إلا فعل ؛ اذ الحوالة انما وقعت على مجرد الاسم ، وهذا لا يحصل به بيان ولا تعريف ولا هدى ؛ بخلاف ذكره بنعته وصفته وعلاماته ودعوته وصفة أمته ووقت مخرجه ونحو ذلك فان هذا يعينه ويميزه ويحصر نوعه في شخصه ، وهذا القدر مذكور في التوراة والانجيل وغيرهما من النبوات التي بأيدي أهل الكتاب كما سنذكرها ، ويدل عليه وجوه .

«**الوجه الاول**» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احرص الناس على تصديقه واتباعه واقامة الحجة على من خالفه وجحد نبوته ، ولا سيما أهل العلم والكتاب ، فان الاستدلال عليهم بما يعلمون بطلانه قطعاً لا يفعله عاقل ، وهو بمنزلة من يقول لرجل علامة صدقي انك ابن فلان وصنعتك كيت وكيت[٢] وتعرف بكيت وكيت ولم يكن الامر كذلك بل بضده ، فهذا لا يصدر ممن له مسكة عقل ، ولا يصدقه أحد على ذلك ، ولا يتبعه أحد على ذلك ، بل ينفر العقلاء كلهم عن تصديقه واتباعه ، والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن عليه والرد والتهجين[٣] لقوله ، ومن المعلوم بالضرورة أن محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلناً في هاتين الامتين اللتين هما أعلم الامم في الارض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم ، وهو يتلو ذلك عليهم ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً في كل مجمع وفي كل ناد يدعوهم بذلك الى تصديقه والايمان به فمنهم من يصدق ويؤمن به ، ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره كما سيمر بك ان شاء الله ، وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ولكن لست أنت المراد به بل نبي آخر ، وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة ، ولم تجد عليه هذه المكابرة الاكشفه عورته وابداءه الفضيحة بالكذب والبهتان ، فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه

---

(٢) كَيْتَ وكَيْتَ :ـ وقد يكسر آخرهما ـ : يكنى بهما عن الحديث والخبر . تقول : قال فلان كيت وكيت ، أو : كيت كيت بدون الواو ، ولا تستعملان إلا مكررتين .

(٣) تهجين الأمر : تقبيحه .

حذو القذة بالقذة[٤] بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو كما عرفه قيصر وسلمان بتلك العلامات المذكورات التي كانت عنده من بعض علمائه وكذلك هرقل عرف نبوته بما وصف له من العلامات التي سأل عنها أبا سفيان فطابقت ما عنده ، فقال: ان يكن ما تقول حقاً فانه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين، وكذلك من قدمنا ذكرهم من الاحبار والرهبان الذين عرفوه بنعته وصفته كما يعرفون أبناءهم قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون[٥]) وقال في موضع آخر؛ (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون)[٦] ومعلوم أن هذه المعرفة انما هي بالنعت والصفة المكتوبة عندهم التي هي منطبقة عليه، كما قال بعض المؤمنين منهم: والله لأحدنا اعرف به من ابنه، ان احدنا ليخرج من عند امرأته وما يدري ما يحدث بعده. ولهذا أثنى الله سبحانه على من عرف الحق منهم ولم يستكبر عن اتباعه فقال(لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا، ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون، وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين، وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين. فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم)[٧] قال ابن عباس لما حضر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي النجاشي وقرؤا القرآن سمع ذلك القسيسون والرهبان فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق، فقال الله تعالى (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا

---

(٤) القُذّة- بالضم-: ريش السهم جمعها قذذ والقَذُّ- بالفتح-: إلصاق القُذذ بالسهم وقطع أطراف الريش وتحريفه على نحو التدوير. والقَذُّ أيضاً: التسوية. وقولهم: حذو القذة بالقذة: كناية عن التسوية والالتصاق. كما يقولون: حذو النعل بالنعل بقرينة التلازم والتشابه.

(٥) سورة البقرة/١٤٦ .

(٦) الأنعام/٢٠

(٧) المائدة/٨٢- ٨٦

يستكبرون) الايات. وقال سعيد بن جبير بعث النجاشي من خيار اصحابه ثمانين رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم القرآن فبكوا ورقوا، وقالوا نعرف والله، فاسلموا وذهبوا الى النجاشي فاخبروه فاسلم، فأنزل الله فيهم (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) الايات، وقال السدي كانوا اثني عشر رجلا سبعة من القسيسين وخمسة من الرهبان فلما قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بكوا وقالوا (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) قال ابن عباس هم محمد وأمته، وهم القوم الصالحون الذين طمعوا ان يدخلهم الله فيهم، والمقصود ان هؤلاء الذين عرفوا انه رسول الله بالنعت الذي عندهم فلم يملكوا أعينهم من البكاء وقلوبهم من المبادرة الى الايمان، ونظير هذا قوله سبحانه (قل آمنوا به أولا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعد ربنا لمفعولا، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً[٨]) قال امام التفسير مجاهد: هم قوم من أهل الكتاب لما سمعوا القرآن خروا سجداً وقالوا (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) كان الله عز وجل وعد على ألسنة انبيائه ورسله ان يبعث في آخر الزمان نبياً عظيم الشأن يظهر دينه على الدين كله، وتنتشر دعوته في اقطار الارض، وعلى رأس أمته تقوم الساعة، واهل الكتابين مجمعون على ان الله وعدهم بهذا النبي، فالسعداء منهم عرفوا الحق فآمنوا به واتبعوه، والاشقياء قالوا نحن ننتظره ولم يبعث بعد رسولا، فالسعداء لما سمعوا القرآن من الرسول عرفوا انه النبي الموعود به فخروا سجداً لله ايماناً به وبرسوله وتصديقاً بوعده الذي انجزه فرأوه عياناً فقالوا (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)

وذكر يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس وكان نصرانياً فاسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل نجران: «بسم إله ابراهيم واسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله الى اسقف نجران واهل نجران (سلم انتم) اني احمد اليكم إله ابراهيم واسحق ويعقوب، اما بعد فاني ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد، وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد، فان

(٨) الاسراء/١٠٨- ١٠٩

ابيتم فالجزية، فان ابيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام» فلما اتي الاسقف الكتاب فقرأه فظع به وذعره ذعراً شديداً فبعث الى رجل من اهل عمان يقال له شر حبيل بن وداعة وكان من همدان ولم يكن احد يدعى الى معضلة قبله فدفع الاسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شر حبيل فقرأه، فقال الأسقف ما رأيك يا ابا مريم؟ فقال شر حبيل قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة فما نأمن من أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان امر من الدنيا اشرت عليك فيه برأي وجهدت لك. فقال الاسقف تنح فاجلس، فتنحى فجلس ناحية، فبعث الاسقف الى رجل من اهل نجران يقال له عبد الله بن شر حبيل وهو من ذي اصبح من حمير فاقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شر حبيل، فأمره الاسقف فتنحى، ثم بعث الى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب فاقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فامره الاسقف فتنحى ناحية، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً امر الاسقف بالناقوس فضرب به ورفعت المسوح بالصوامع، وكذلك كانوا يفعلون اذا فزعوا بالنهار، واذا كان فزعهم ليلا ضرب بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمع أهل الوادى اعلاه واسفله وطوله مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاثة وسبعون قرية وعشرون ومائة الف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على ان يبعثوا شر حبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شر حبيل وجبار بن فيض فيأتونه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق الوفد حتى اذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة[٩] وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلموا عليه فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا يبتغون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم كانا يبعثان العير الى نجران في الجاهلية فيشترى لهما من برها وتمرها فوجدوهما في ناس من

---

(٩) الحِبَرة- كالعِنبة-: بُردٌ يمانٍ، تجمع على حِبَر وحِبَرات.

المهاجرين والانصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن ان نبيكم كتب الينا بكتاب فاقبلنا مجيبين له فاتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، فتصدينا لكلامه نهاراً طويلا فاعيانا ان يكلمنا، فما الرأي منكما أنعود، أم نرجع اليه؟ فقالا لعلي بن ابي طالب وهو في القوم ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال: علي لعثمان وعبد الرحمن أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون اليه، ففعل وفد نجران ذلك ووضعوا حللهم وحواتيمهم، ثم عادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم، ثم قال: «والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الاولى وان ابليس لمعهم» ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى فانا نحب أن نعلم ما تقول فيه، فانزل الله عز وجل (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ثم تراب قال له كن فيكون۰الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم، ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين[١٠]) فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر اقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خميلة[١١] له وفاطمة تمشي عند ظهره الى الملاعنة وله يومئذ عدة نسوة، فقال شر حبيل لصاحبيه يا عبد الله ابن شر حبيل ويا جبار بن فيض لقد علمتما ان الوادي اذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا الا عن رأيي، واني والله أرى أمراً مقبلاً، والله لئن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً فكنا أول العرب طعن في عينه ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور قومه حتى يصيبنا بجائحة[١٢]، وإنا لأدنى العرب منهم جوارا، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلا عنّاه لا يبقى على وجه الارض منا شعرة ولا ظفر الا هلك، فقال له صاحباه فما الرأي يا أبا مريم؟ فقد وضعتك الأمور على ذراع فهات رأيك فقال رأيي أن أحكِّمه، فاني أرى الرجل لا يحكم شططاً ابدا، فقالا له أنت وذاك، فلقي شر حبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال اني قد

---

(١٠) آل عمران/٦١ وتسمى آية المباهلة والملاعنة.

(١١) الخميلة: القطيفة وهي دِثار مُخْمَل، تجمع على: خمائل.

(١٢) الجائحة: الشدة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة.

رأيت خيرا من ملاعنتك، فقال «وما هو» قال شرحبيل حكمتك اليوم الى الليل وليلتك الى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لعل وراءك احدا يثرب[١٣] عليك» فقال له شر حبيل سل صاحبي فسألهما فقالا ما نرد الموارد ولا نصدر المصادر الا عن رأي شر حبيل، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلاعنهم ، حتى اذا كان الغد أتوه فكتب لهم كتاب صلح وموادعة، فقبضوا كتابهم وانصرفوا الى نجران، فتلقاهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة من نجران، ومع الأسقف اخ له من أمه وهو ابن عمه من النسب يقال له ابو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسقف، فبينا هو يقرؤه وأبو علقمة معه وهما يسيران اذ كَبَتْ بابي علقمة ناقته فتعس غير انه لا يكنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له الأسقف عند ذلك قد والله تعست نبياً مرسلا فقال له ابو علقمة لاجرم والله لا أحل عنها عقداً حتى آتيه، فضرب وجه ناقته نحو المدينة وثنى الاسقف ناقته عليه، فقال له إفهم عني، انما قلت هذا مخافة ان يبلغ عني العرب انا أخذنا حمقة[١٤] او نجعنا[١٥] لهذا الرجل بما لم تنجع به العرب ونحن اعزهم واجمعهم دارا، فقال له ابو علقمة والله لا اقيلك ما خرج من رأسك ابدا، ثم ضرب ناقته يقول:

اليك تعدوا قلقاً وضينها[١٦] معترضاً في بطنها جنينها

مخالفاً دين النصارى دينها

[اثنا عشر وجها تدل على أنه مذكور في الكتب المنزلة]

حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل معه حتى استشهد بعد ذلك .

واذا عرف هذا فالعلم بانه صلى الله عليه وسلم مذكور في الكتب المتقدمة يعرف من وجوه متعددة:

---

(١٣) يثرب عليك: أي يعيبك أو يعيّرك. والتثريب: التعيير والاستقصاء في اللوم.

(١٤) الحُمق- بسكون الميم وضمها- : قلة العقل، وسوء التفكير.

(١٥) نجع: دخل. والمراد من قوله: نجعنا: أي استجبنا.

(١٦) الوضين: البطان العريض المنسوج من سيور أو شعر. وقيل: إن الوضين للهودج بمنزله الحزام للسَّرْج.

«**احدها**» اخبار من قد ثبتت نبوته قطعاً بانه مذكور عندهم في كتبهم ، فقد اخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه، اذ تكذيبه والحالة هذه ممتنع لذاته، هذا لو لم يعلم ذلك الا من مجرد خبرهِ فكيف اذا تطابقت الادلة على صحة ما أخبر به.

«**الوجه الثاني**» انه جعل الاخبار به من أعظم أدلة صدقة وصحة نبوته، وهذا يستحيل أن يصدر الا من واثق كل الوثوق بذلك وانه على يقين جازم به.

«**الثالث**» ان المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال.

«**الرابع**» ان المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم انكار البشارة والاخبار بنبوة نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وانه نبي آخر غيره، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم انهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب[١٧] البهت.

«**الخامس**» ان كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بانه هو هو بعينه، وانه عازم على عداوته ما بقي، كما تقدم.

«**السادس**» ان إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بانه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد اخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وما جرى لهم وقصص الانبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الانبياء، وكل ذلك مما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم، وتلك الاخبارات أكثر من أن تحصى، ولم يكذبوه يوماً واحداً في شيء منها، وكانوا أحرص شيء على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أو سهو فينادون بها ويجدون بها السبيل الى تنفير الناس عنه، فلم يقل أحدٌ منهم يوما من الدهر انه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهو كاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه، وهذا من أعظم الادلة على

(١٧) الغارب: ما بين السنام إلى العنق. وأريد به هنا: الظهر.

صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم الا بمجرد خبره.

«السابع» انه أخبر بهذا لاعدائه من المشركين الذين لا كتاب عندهم وأخبر به لاعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لاتباعه، فلو كان هذا باطلا لا صحة له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك وتسليطاً لاهل الكتاب على الانكار وتسليطا لاتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه، وذلك ينقض الغرض المقصود باخباره من كل وجه، وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلا على صدقه، وهذا لا يصدر من عاقل ولا مجنون. فهذه الوجوه يعلم بها صدق ما أخبر به وان لم يعلم وجوده من غير جهة أخباره، فكيف وقد علم وجود ما أخبر به؟!

«الثامن» انه لو قدر انهم لم يعلموا بشارة الانبياء به واخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لا يكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته؟ اذ ليس كل ما قاله الانبياء المتقدمون وصل الى المتأخرين وأحاطوا به علما وهذا مما يعلم بالاضطرار، فكم من قول قد قاله موسى وعيسى ولا علم لليهودوالنصارى به، فاذا أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه .

«التاسع» انه يمكن ان يكون في نسخ غير هذه النسخ التي بايديهم فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه.

[تخالف نسخ التوراة والانجيل وتناقضها]

وقولهم «ان نسخ التوراة متفقة في شرق الارض وغربها» كذب ظاهر، فهذه التوراة التي بأيدي النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه، وهذه نسخ الانجيل يخالف بعضها بعضاً ويناقضه، فدعواهم: أن نسخ التوراة والانجيل متفقة شرقا وغرباً من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الانعام، حتى ان هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعاً ان ذلك ليس في

التوراة التي أنزلها الله على موسى ولا في الانجيل الذي أنزله على المسيح، وكيف يكون في الانجيل الذي أنزل على المسيح«قصة صلبه» وما جرى له، وانه أصابه كذا وكذا، وصلب يوم كذا وكذا، وانه قام من القبر بعد ثلاث، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالانجيل وسموا الجميع انجيلاً؛ وكذلك كانت «الأناجيل عندهم أربعة» يخالف بعضها بعضاً . ومن بهتهم وكذبهم قولهم: ان التوراة التي بايديهم وأيدي اليهود والسامرة سواء والنصارى لا يقرون ان الانجيل منزل من عند الله على المسيح وانه كلام الله؛ بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ الفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ولا يعرفون الانجيل غير هذا: «انجيل» الفه متى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح وكتب بالعبرانية في بلد يهود بالشام وانجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح، وكتبه باليونانية في بلاد انطاكية من بلاد الروم، ويقولون ان شمعون المذكور هو ألفه ثم محي اسمه من اوله ونسب الى تلميذه مرقس «وانجيل» ألفه لوقا الطبيب الايطالي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس. «وانجيل» ألفه يوحنا تلميذ المسيح بعد ما رفع المسيح ببضع وستين سنة، كتبه باليونانية، وكل واحد من هذه الاربعة يسمونه الانجيل، بينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها، وبين توراة السامرة واليهود والنصارى من ذلك ما يعلمه من وقف عليها، فدعوى الكاذب الباهت « ان نسخ توارة والانجيل متفقة شرقاً وغرباً بعداً وقرباً» من أعظم الفرية والكذب، وقد ذكر غير واحد من علماء الاسلام ما بينها من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقص لمن أراد الوقوف عليه[١٨] ولو لا الاطالة وقصد ما هو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً.

[جمعهم بين التحريف والكتمان. . . لنعت الرسول]

وقد وبخهم الله سبحانه وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان

---

(١٨) ننصح في هذا بمطالعة ما صنفه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في كتاب: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

والاخفاء، فقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)[١٩] وقال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)[٢٠] وقال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم)[٢١] وقال تعالى: (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه، ويهديهم الى صراط مستقيم[٢٢])

وأما «التحريف» فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة، وكذلك لّي اللسان[٢٣] بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه. فهذه خمسة أمور «أحدها» لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل! «الثاني» كتمان الحق «الثالث» اخفاؤه وهو قريب من كتمانه: «الرابع» تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان تحريف لفظه وتحريف معناه (الخامس) لّي اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره وهذه الامور انما ارتكبوها لاغراض لهم دعتهم الى ذلك. فاذا عادَوُا الرسول وجحدوا نبوته وكذبوه وقاتلوه فهم الى أن يجحدوا نعته وصفته ويكتموا ذلك ويزيلوه عن مواضعه ويتأولوه على غير تأويله أقرب بكثير، وهكذا فعلوا، ولكن لكثرة البشارات وتنوعها غلبوا عن كتمانها وإخفائها فصاروا الى «تحريف التأويل» وإزالة معناها عمن لا تصلح لغيره، وجعلها لمعدوم لم يخلقه الله ولا وجود له البتة.

«العاشر» انه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب، وقد شهد له عُدولُهم فلا يقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك، قال تعالى (ويقول

---

(١٩) آل عمران/٧١
(٢٠) سورة البقرة/١٥٩
(٢١) سورة البقرة/١٧٤
(٢٢) المائدة/١٥- ١٦
(٢٣) اللّيّ: فتل الحبل. ويقال: لوى لسانه بكذا: كناية عن الكذب وتخرُّص الحديث.

الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)[٢٤] وقال تعالى: (قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين)[٢٥] وقال تعالى: (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب)[٢٦] وقال تعالى (ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)[٢٧] وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)[٢٨] واذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة، ولا تعارض شهادته بجحود ملء الارض من الكفار، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم؟! وليس كل من قال من أشباه الحمير من عباد الصليب وأمة الغضب انه من علمائهم فهو كذلك، وإذا كان أكثر من يظن عوام المسلمين انه من علمائهم ليس كذلك فما الظن بغيرهم، وعلماء أهل الكتاب ان لم يدخل فيهم من لم يعمل بعلمه فليس علماؤهم الا من آمن به وصدقه، وان دخل فيهم من علم ولم يعمل كعلماء السوء لم يكن إنكارهم لنبوته قادحاً في شهادة العلماء العاملين بعلمهم.

«الحادى عشر» انه لو قدر انه لا ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنعته ولا صفته ولا علامته في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لا يكون مذكوراً في الكتب التي كانت بأيدي اسلافهم وقت مبعثه ولا تكون اتصلت

---

(٢٤) الرعد/٤٣

(٢٥) الأحقاف/١٠

(٢٦) آل عمران/١٩٩

(٢٧) المائدة/٨٣

(٢٨) القصص/٥٢- ٥٤

على وجهها الى هؤلاء؛ بل حرفها أولئك وبدلوا وكتموا، وتواصوا وكتبوا ما أرادوا، وقالوا هذا من عند الله ، ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم، فصارت المغيّرة المبدلة هي المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً، ولا سبيل الى العلم باستحالة ذلك، بل هو في غاية الامكان. فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة ! ثم اشتهرت النسخ المغيرة عند جميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية، وكذلك التوراة التي بأيدي النصارى، وهكذا تبدل الاديان والكتب ولو لا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة ان لا تجتمع على ضلالة لأصابه ما اصاب الكتب قبله، قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[٢٩].

«الثاني عشر» انه من الممتنع ان تخلو الكتب المتقدمة عن الاخبار بهذا الامر العظيم الذي لم يطرق العالم من حين خلق الى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه ; فانه قلب العالم وطبق مشارق الارض ومغاربها، واستمر على العالم على تعاقب القرون والى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومثل هذا النبأ العظيم لا بد أن تتطابق الرسل على الاخبار به، واذا كان الدجال وهو رجل كاذب يخرج في آخر الزمان وبقاؤه في الارض أربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الاخبار به وانذر به كل نبي قومه من نوح الى خاتم الرسل فكيف تتطابق الكتب الالهية من أولها الى آخرها على السكوت عن الاخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم أمر أعظم منه ولا يطرقه أبداً؟ هذا ما لا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين ، بل الأمر بضد ذلك، وما بعث الله سبحانه نبياً الا أخذ عليه الميثاق بالايمان بمحمد وتصديقه، كما قال تعالى (واذ أخذ الله ميثاقَ النبيين لَمَا آتيتكم من كتابٍ وحِكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّهُ، قال أأقررْتُم وأخذتُمْ على ذلِكمْ إصْري، قالوا أقررْنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)[٣٠] قال ابن عباس ما بعث الله من نبي الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه.

---

(٢٩) الحجر/٩

(٣٠) آل عمران/٨١

الفصل الرابع
[نصوص الكتب المتقدمة في البشارة به وصفته ونعت أمته]
[وإيضاح دلالتها ومطابقتها للشريعة والواقع]

فهذه الوجوه على تقدير عدم العلم بوجود نعته وصفته والخبر عنه في الكتب المتقدمة ونحن نذكر بعض ما ورد فيها من البشارة به ونعته وصفته وصفة أمته، وذلك يظهر من وجوه:

«**الوجه الاول**» قوله في التوراة «سأقيم لبني اسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك اجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما آمره به والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي انا انتقم منه ومن سبطه» فهذا النص مما لا يمكن أحدا منهم جحده وانكاره؛ ولكن لاهل الكتاب فيه اربعة طرق: «احدها» حمله على المسيح وهذه طريقة النصارى. واما اليهود فلهم فيه ثلاثة طرق «احدها» انه على حذف اداة الاستفهام، والتقدير أءقيم لبني اسرائيل نبياً من اخوتهم اي لا افعل هذا، فهو استفهام انكار حذفت منه اداة الاستفهام . «الثاني» انه خبر ووعد ولكن المراد به شمويل النبي فانه من بني اسرائيل، والبشارة انما وقعت بنبي من إخوتهم، واخوة القوم هم بنو أبيهم، وهم بنو اسرائيل : «الثالث» انه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه الى الآن. وقال المسلمون البشارة صريحة في النبي صلى الله عليه وسلم العربي الأمي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه لا يحتمل غيره؛ فانها انما وقعت بنبي من إخوة بني اسرائيل لا من بني اسرائيل نفسهم، والمسيح من بني اسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال أقيم لهم نبياً من أنفسهم، كما قال تعالى: (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم[1]) واخوة بني اسرائيل هم بنو اسماعيل، ولا يعقل في لغة امة من الامم ان

---

(١) سورة آل عمران/١٦٤

بني اسرائيل هم اخوة بني اسرائيل، كما ان إخوة زيد لايدخل فيهم زيد نفسه. وايضاً فانه قال «نبياً مثلك» وهذا يدل على أنه صاحب شريعة عامة مثل موسى، وهذا يبطل حمله على شمويل من هذا الوجه ايضاً، ويبطل حمله على يوشع من ثلاثة اوجه: «أحدها» انه من بني اسرائيل لا من اخوتهم «الثاني» انه لم يكن مثل موسى، وفي التوراة لا يقوم في بني اسرائيل مثل موسى «الثالث» ان يوشع نبي في زمن موسى، وهذا الوعد انما هو بنبي يقيمه الله بعد موسى. وبهذه الوجوه الثلاثة يبطل حمله على هرون، مع أن هرون توفي قبل موسى، ونبأه الله مع موسى في حياته، ويبطل ذلك من وجه «رابع» ايضاً وهو ان في هذه البشارة انه ينزل عليه كتاباً يظهر للناس من فيه وهذا لم يكن لاحد بعد موسى غير النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من علامات نبوته التي أخبرت بها الانبياء المتقدمون، قال تعالى: (وانه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين، أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل[٢]) فالقرآن نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر للأمة من فيه، ولا يصح حمل هذه البشارة على المسيح باتفاق النصارى لانها انما جاءت بواحد من اخوة بني اسرائيل، وبنو اسرائيل واخوتهم كلهم عبيد ليس فيهم اله، والمسيح عندهم اله معبود، وهو اجل عندهم من أن يكون من إخوة العبيد، والبشارة وقعت بعبد مخلوق يقيمه الله من جملة عبيده واخوتهم، وغايته ان يكون نبيا لا غاية له فوقها وهذا ليس هو المسيح عند النصارى. واما قول المحرفين لكلام الله: ان ذلك على حذف ألف الاستفهام وهو استفهام انكار والمعنى لا أقيم لبني اسرائيل نبياً. فتلك عادة لهم معروفة في تحريف كلام الله عن مواضعه والكذب على الله، وقولهم لما يبدلونه ويحرفونه هذا من عند الله، وحمل هذا الكلام على الاستفهام والانكار غاية ما يكون من التحريف والتبديل، وهذا التحريف والتبديل من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم التي أخبر بها عن الله من تحريفهم وتبديلهم، فاظهر الله صدقه في ذلك لكل ذي لب وعقل، فازداد ايماناً الى ايمانه، وازداد الكافرون رجساً الى رجسهم.

---

(٢) سورة الشعراء/١٩٤- ١٩٧

«الوجه الثاني» قال في التوراة في السفر الخامس: «اقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران، ومعه ربوات الاظهار عن يمينه» وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة: نبوة موسى ، ونبوة عيسى، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فمجيئه من «سيناء» وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأه عليه إخبار عن نبوته، وتجليه من ساعير هو مظهر المسيح من بيت المقدس، «وساعير» قرية معروفة هناك الى اليوم، وهذه بشارة بنبوة المسيح. «وفاران» هي مكة، وشبه سبحانه نبوة موسى بمجيء الصبح، ونبوة المسيح بعدها باشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الانبياء بعدهما باستعلان الشمس وظهور ضوئها في الآفاق، ووقع الأمر كما أخبر به سواء، فان الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فاضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والاشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الارض بنبوة محمد صلوت الله وسلامه عليهم، وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها في أول سورة «التين» (والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الامين)[٤] فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التي خرجوا منها (والتين والزيتون) والمراد بهما منبتهما وأرضهما وهي الارض المقدسة التي هي مظهر المسيح (وطور سينين) الجبل الذي كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته (وهذا البلد الامين) مكة حرم الله وأمنه التي هي مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم، فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود: «فاران» هي أرض الشام وليست أرض الحجاز وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم وعندهم في التوراة: ان اسماعيل لما فارق أباه سكن في برية فاران. هكذا نطقت التوراة، ولفظها «وأقام اسماعيل في برية فاران، وانكحته أمه أمرأة من [جرهم] ولا يشك علماء أهل الكتاب ان فاران مسكن لآل اسماعيل، فقد تضمنت التوراة نبوة تنزل بأرض فاران، وتضمنت نبوة تنزل على عظيم من ولد اسماعيل، وتضمنت انتشار أمته واتباعه حتى يملؤا السهل والجبل كما سنذكره ان شاء الله تعالى،

---

(٣) الصَّدْع: الشق.

(٤) سورة التين/١ـ ٣

ولم يبق بعد هذا شبهة أصلاً أن هذه هي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم التي نزلت بفاران على أشرف ولد اسماعيل حتى ملأت الارض ضياء ونوراً وملأ اتباعه السهل والجبل، ولا يكثر على الشعب الذي نطقت التوراة بانهم عادموا الرأي والفطانة ينقسموا الى جاهل بذلك وجاحد مكابر معاند، ولفظ التوراة فيهم «انهم لشعب عادم الرأي، وليس فيهم فطانة» ويقال لهؤلاء المكابرين: أي نبوة خرجت من الشام فاستعلنت استعلان ضياء الشمس، وظهرت فوق ظهور النبوتين قبلها؟! وهل هذا الا بمنزلة مكابرة من يرى الشمس قد طلعت من المشرق فيغالط ويكابر ويقول بل طلعت من المغرب!!

«**الوجه الثالث**»قال في التوراة في السفر الأول: «ان الملك ظهر لهاجر أم اسماعيل، فقال يا هاجر من أين أقبلت والى أين تريدين ؟ فلما شرحت له الحال قال ارجعي فأني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابناً اسميه اسماعيل لأن الله قد سمع تذللك وخضوعك وولدك يكون وحشاً(٥) للناس وتكون يده على الكل ويد الكل مبسوطة اليه بالخضوع» وهذه بشارة تضمنت أن يد ابنها على يد كل الخلائق، وان كلمته العليا، وان أيدي الخلق تحت يده، فمن هذا الذي ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد بن عبد الله صوات الله وسلامه عليه؟! وكذلك في السفر الاول من التوراة: «أن الله قال لابراهيم اني جاعل ابنك اسماعيل لأمة عظيمة اذ هو من زرعك» وهذه بشارة بمن جعل من ولده لأمة عظيمة، وليس هو سوى محمد بن عبد الله الذي هو من صميم ولده، فانه جعل لأمة عظيمة، ومن تدبر هذه البشارة جزم بأن المراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اسماعيل لم تكن يده فوق يد اسحق قط، وكانت يد أسحق مبسوطة اليه بالخضوع، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في اسرائيل والعيص، وهما ابنا اسحق، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقلت النبوة الى ولد اسماعيل ودانت له الامم وخضعت له الملوك وجعل خلافة الملك الى أهل بيته الى آخر الدهر وصارت أيديهم فوق ايدي الجميع مبسوطة اليهم بالخضوع وكذلك في التوراة في السفر الاول «ان

---

(٥) فسّر بالخشونة.

الله تعالى قال لابراهيم ان في هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحق، فقال ابراهيم ليت اسماعيل هذا يحي بين يديك يمجدك، فقال الله تعالى قد استجبت لك في اسماعيل واني أباركه وأيمنه وأعظمه جداً جداً بما قد استجبت فيه، واني اصيره الى أمة كثيرة، وأعطيه شعباً جليلا» والمراد بهذا كله الخارج من نسله، فانه هو الذي عظمه الله جداً جداً وصيره الى أمة كثيرة واعطاه شعباً جليلا، ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك وعظم وانطبقت عليه هذه العلامات غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمته ملأوا الآفاق واربوا في الكثرة على نسل اسحق.

«الوجه الرابع» قال في التوراة في السفر الخامس: «قال موسى لبني اسرائيل لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين، فسيقيم لكم الرب نبياً من اخوتكم مثلي، فأطيعوا ذلك النبي» ولا يجوز ان يكون هذا النبي الموعود به من أنفس بني اسرائيل لما تقدم ان أخوة القوم ليسوا أنفسهم، كما يقول بكر وتغلب ابنا وائل ثم يقول تغلب اخوة بكر وبنو بكر أخوة بني تغلب، فلو قلت اخوة بني بكر بنو بكر كان محالا، ولو قلت لرجل أيتني برجل من اخوة بني بكر بن وائل لكان الواجب ان يأتيك برجل من بني تغلب ابن وائل لا بواحد من بني بكر.

«الوجه الخامس» ما في الانجيل: «ان المسيح قال للحواريين اني ذاهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق، لا يتكلم من قبل نفسه، انما هو كما يقال له، وهو يشهد علي وأنتم تشهدون لانكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعدّه الله لكم يخبركم به» وفي انجيل يوحنا: «الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، وإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه مما يسمع به، ويكلمكم ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب» وفي موضع آخر «ان الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي باسمي، هو يعلمكم كل شيء» وفي موضع آخر «اني سائل له ان يبعث اليكم فارقليطاً آخر يكون معكم الى الابد، وهو يعلمكم كل شيء» وفي موضع آخر «ابن البشر ذاهب والفارقليط من بعده يجيء لكم بالأسرار ويفسر لكم كل شيء، وهو يشهد لي كما شهدت له، فاني أجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل» قال أبو محمد بن قتيبة وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة، وانما

اختلفت لأن من نقلها عن المسيح صلى الله عليه وسلم في الانجيل من الحواريين عدّة « والفارقليط » بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد، اما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك، وهو في الانجيل الحبشي «بن نعطيس» وفي موضع آخر «ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد ويتكلم بروح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لانهم لم يعرفوه ولست أدعكم أيتاماً اني سآتيكم عن قريب» وفي موضع آخر «ومن يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه واليه يأتي وعنده يتحد المنزل، كلمتكم بهذا لأني لست عندكم مقيمًا، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم كلما قلت لكم، استودعتكم سلامي، لا تقلق قلوبكم ولا تجزع فاني منطلق وعائد اليكم، لو كنتم تحبوني كنتم تفرحون بمعنى الاب، فان ثبت كلامي فيكم كان لكم كل ما تريدون» وفي موضع آخر «إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله روح الحق الذي من أبي يشهد لي، قلت لكم حتى اذا كان تؤمنوا ولا تشكوا فيه» وفي موضع آخر «ان لي كلاماً كثيراً أريد ان أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن اذا جاء روح الحق ذاك يرشدكم الى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب». وقال يوحنا قال المسيح «ان أركون العالم سيأتي وليس لي شيء» وقال متى قال المسيح: «ألم تروا ان الحجر الذي أخره البناؤون صار أساً للزاوية من عند الله، كان هذا وهو عجيب في أعيننا، ومن أجل ذلك أقول لكم ان ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى تأكل ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر ينشدخ[٦]، وكل من سقط هو عليه يمحقه». وقد اختلف في «الفارقليط» في لغتهم فذكروا فيه أقوالا ترجع الى ثلاثة:

«أحدها» انه الحامد والحماد او الحمد كما تقدم، ورجحت طائفة هذا القول، وقال الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم انه الحمد، والدليل عليه قول يوشع «من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد» اي حمد جيد.

---

(٦) الشَدْخ: كسر الشيء الأجوف.

«**والقول الثاني**» وعليه اكثر النصارى انه المخلص والمسيح نفسه يسمونه المخلص، قالوا وهذه كلمة سريانية ومعناها المخلص، قالوا وهو بالسريانية فاروق فجعل (فارق) قالوا و(ليط) كلمة تزاد، ومعناها كمعنى قول العرب: رجل هو، وحجر هو، وفرس هو. قالوا فكذلك معنى (ليط) في السريانية. وقالت طائفة أخرى من النصارى: معناه بالسريانية المعزى، قالوا وكذلك هو في اللسان اليوناني. ويعترض على هذين القولين بأن المسيح لم يكن لغته سريانية ولا يونانية بل عبرانية، واجيب عن هذا بانه يتكلم بالعبرانية، والانجيل انما نزل باللغة العبرانية وترجم عنه بلغة السريانية والرومية واليونانية وغيرها، واكثر النصارى على انهُ المخلص، والمسيح نفسهُ يسمونه المخلص، وفي الانجيل الذي بايديهم انه قال: «إنما اتيت لأخلص العالم» والنصارى يقولون في صلاتهم: لقد ولدت لنا مخلصاً ولما لم يمكن النصارى انكار هذه النصوص حرفوها انواعاً من التحريف، فمنهم من قال: هو روح نزلت على الحواريين، ومنهم من قال: هو ألسن نارية نزلت من السماء على التلاميذ ففعلوا بها الآيات والعجائب، ومنهم من يزعم انهُ المسيح نفسهُ لكونه جاء بعد الصلب باربعين يوماً وكونه قام من قبرهِ، ومنهم من قال لا يعرف ما المراد بهذا الفارقليط ولا يتحقق لنا معناهُ ومن تأمل الفاظ الانجيل وسياقها علم أن تفسيرهُ بالروح باطل، وابطل منهُ تفسيره بالألسن النارية، وابطل منها تفسيره بالمسيح، فان روح القدس ما زالت تنزل على الانبياء والصالحين قبل المسيح وبعده وليست موصوفة بهذه الصفات وقد قال تعالى (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه[٧]) وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت لما كان يهجو المشركين «اللهم ايده بروح القدس» وقال «ان روح القدس معك ما زلت تنافح عن نبيه» واذا كان كذلك ولم يسم احد هذه الروح فارقليطاً علم أن الفارقليط امر غير هذا. «وايضاً» فمثل هذه الروح لا زالت يؤيد بها الأنبياء والصالحون وما بشر به المسيح ووعد به امر عظيم يأتي بعده اعظم من هذا. «وايضاً»

---

(٧) سورة المجادلة/٢٢

فانه وصف الفارقليط بصفات لا تناسب هذا الروح وانما تناسب رجلا يأتي بعده نظيراً له، فانه قال: «ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر يثبت معكم الى الابد» فقولهُ «فارقليطاً آخر» دل على انه ثان لأولَ كان قبله، وانه لم يكن معهم في حياة المسيح وانما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم «وأيضاً» فانه قال «يثبت معكم الى الابد» وهذا انما يكون لما يدوم ويبقى معهم الى آخر الدهر ومعلوم انه لم يرد بقاء ذاته فعلم انه بقاء شرعه وأمره، والفارقليط الاول لم يثبت معهم شرعه ودينه الى الأبد، وهذا يبين أن الثاني صاحب شرع لا ينسخ بل يبقي الى الابد بخلاف الاول، وهذا انما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم. «وايضاً» فانه اخبر ان هذا الفارقليط الذي اخبر به يشهد له ويعلمهم كل شيء وانه يذكر لهم كل ما قال المسيح وانه يوبخ العالم على خطيئته فقال «والفارقليط الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلت لكم، وقال اذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله هو يشهد اني قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به، ولا تشكوافيه، وقال ان خيراً لكم ان انطلق الى أبي، ان لم أذهب لم يأتكم الفارقليط، فإن انطلقت ارسلته اليكم، فهويوبخ العالم على الخطيئة، فان لي كلاماً كثيراً اريد ان أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق، لانه ليس ينطق من عند نفسه بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأَب» فهذه الصفات والنعوت التي تلقوها عن المسيح لا تنطبق على أمر معنوي في قلب بعض الناس لا يراه احد ولا يسمع كلامه، وانما تنطبق على من يراه الناس ويسمعون كلامه، فيشهد للمسيح، ويعلمهم كل شيء، ويذكرهم كل ما قال لهم المسيح، ويوبخ العالم على الخطيئة، ويرشد الناس الى جميع الحق، ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبرهم بكل ما يأتي، ويعرفهم جميع ما لرب العالمين وهذا لا يكون ملَكاً لا يراه أحد ولا يكون هدىً وعلمًا في قلب بعض الناس، ولا يكون الا انساناً عظيم القدر يخاطب بما أخبر به المسيح، وهذا لا يكون الا بشراً رسولا، بل يكون أعظم من المسيح، فان المسيح اخبر انه يقدر على مالا يقدر عليه المسيح، ويعلم ما لا يعلمه المسيح، ويخبر بكل ما يأتي وبما يستحقه الرب حيث قال:

«ان لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله ولكنكم لا تستطيعون حمله، ولكن اذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق، لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للاب» فلا يستريب عاقل ان هذه الصفات لا تنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الاخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات وعن ملائكته وعن ملكوته وعما اعده في الجنة لاوليائه وفي النار لاعدائه امر لا تحتمل عقول أكثر الناس على التفصيل، قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتريدون ان يكذب الله ورسوله. وقال ابن مسعود: ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم، وسأل رجل ابن عباس عن قوله تعالى: (الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن)[٨] قال: ما يؤمنك ان لو اخبرتك بها لكفرت يعني لو اخبرتك بتفسيرها لكفرت بها وكفرك بها تكذيب بها، فقال لهم المسيح «ان لي كلاماً كثيراً اريد أن اقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله» وهو الصادق المصدوق في هذا، ولهذا ليس في الانجيل من صفات الله تعالى وصفات ملكوته وصفات اليوم الآخر الا أمور مجملة، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة، مع ان موسى صلى الله عليه وسلم كان قد سهل الأمر للمسيح، ومع هذا فقد قال لهم المسيح: «ان لي كلاماً كثيراً اريد أن اقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله» ثم قال «ولكن اذا جاء روح الحق فذاك الذي يرشدكم الى جميع الحق، وانه يخبركم بكل ما يأتي، وبجميع ما للرب» فدل هذا على ان «الفارقليط» هو الذي يفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان، فان محمداً صلى الله عليه وسلم ارشد الناس الى جميع الحق حتى اكمل الله به الدين واتم به النعمة؛ ولهذا كان خاتم الانبياء فانه لم يبق نبي يأتي بعده غيره، واخبر محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما يأتي من اشراط الساعة والقيامة والحساب والصراط ووزن الاعمال، والجنة وانواع نعيمها، والنار وانواع عذابها، ولهذا كان في القرآن تفصيل أمر الآخرة وذكر الجنة والنار وما يأتي أمور كثيرة لا توجد لا في التوراة ولا في الانجيل، وذلك تصديق قول المسيح انه يخبر بكل ما يأتي، وذلك

---

(٨) سورة الطلاق/١٢

يتضمن صدق المسيح وصدق محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى قوله تعالى: (انهم اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون. ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين)[٩] اي مجيئه تصديق للرسل قبله، فانهم اخبروا بمجيئه فجاء كما اخبروا به، فتضمن مجيئه تصديقهم، ثم شهد هو بصدقهم فصدّقهم بقوله وجيئه، ومحمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله بين يدي الساعة كما قال: «بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة والوسطى» وكان اذا ذكر الساعة علا صوته واحمر وجهه واشتد غضبه، وقال «انا النذير العريان» فاخبر من الامور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت به نبي من الأنبياء كما نعته به المسيح حيث قال «انه يخبركم بكل ما يأتي» ولا يوجد مثل هذا اصلا عن احد من الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يوجد عن شيء نزل على قلب بعض الحواريين. «وايضاً» فانه قال «ويعرفكم جميع ما للرب» فبين انه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول ما لله من الاسماء والصفات وما لهُ من الحقوق وما يجب من الايمان به وملائكته وكتبه ورسله بحيث يكون يأتي به جامعاً لما يستحقه الرب، وهذا لم يأت به غير محمد صلى الله عليه وسلم فانه تضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة هذا كله. «وايضاً» فان المسيح قال «اذا جاء الفارقليط الذي ارسله ابي فهو يشهد لي، قلت لكم هذا حتى اذا كان تؤمنوا به، فاخبر انه شهد له، وهذه صفة نبي بشر به المسيح ويشهد للمسيح، كما قال تعالى: (واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)[١٠] واخبر انه يوبخ العالم على الخطيئة وهذا يستحيل حمله على معنى يقوم بقلب الحواريين فانهم آمنوا به وشهدوا له قبل ذهابه فكيف يقول اذا جاء فانه يشهد لي ويوصيهم بالايمان به أفترى الحواريين لم يكونوا مؤمنين بالمسيح فهذا من اعظم جهل النصارى وضلالهم؟! «وايضاً» فانه لم يوجد أحد وبخ جميع العالم على الخطيئة الا محمد صلى الله عليه وسلم، فانه انذر جميع العالم من اصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ولم

---

(٩) الصافات/٣٥- ٣٦

(١٠) الصف/٦

يقتصر على مجرد الامر والنهى بل وبخهم وفزعهم وتهددهم. «وايضاً» فانه أخبر انه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع. وهذا إخبار بان كلما يتكلم به فهو وحي يسمعه ليس هو شيئاً تعلمه من الناس او عرفه باستنباط، وهذه خاصة محمد صلى الله عليه وسلم، واما المسيح فكان عنده علم بما جاء به موسى قبله يشاركه به اهل الكتاب تلقاه عمن قبله، ثم جاءه وحي خاص من الله فوق ما كان عنده قال تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل)[11] فاخبر سبحانه انه يعلمه التوراة التي تعلمها بنو اسرائيل، وزاده تعليم الانجيل الذي اختص به، والكتاب الذي هو الكتابة ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم قبل الوحي شيئاً البتة، كما قال تعالى: (وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان)[12] وقال تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين)[13] فلم يكن صلى الله عليه وسلم ينطق من تلقاء نفسه بل انما كان ينطق بالوحي كما قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى)[14] أي ما نطقه الا وحي يوحى، وهذا مطابق لقول المسيح انه لا يتكلم من تلقاء نفسه بل انما يتكلم بما يوحى اليه، والله تعالى امره ان يبلغ ما انزل اليه، وضمن له العصمة في تبليغ رسالاته، فلهذا ارشد الناس الى جميع الحق والقى للناس ما لم يمكن غيره من الأنبياء القاه خوفاً ان يقتله قومه، وقد أخبر المسيح بانه لم يذكر لهم جميع ما عنده، وأنهم لا يطيقون حمله وهم معترفون بانه كان يخاف منهم اذا اخبرهم بحقائق الأمور، ومحمد صلى الله عليه وسلم ايده الله سبحانه تأييداً لم يؤيده لغيره: فعصمه من الناس حتى لم يخف من شيء يقوله، واعطاه من البيان والعلم ما لم يؤته غيره، وأيد أمته تأييداً اطاقت به حمل ما القاه اليهم، فلا يكونوا كأهل التوراة الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، ولا كأهل الانجيل الذين قال لهم المسيح: «ان لي كلاماً كثيراً اريد ان اقوله لكم ولكن لا تستطيعون حمله»: ولا ريب ان أمة محمد صلى

---

(١١) آل عمران/٤٨

(١٢) الشورى/٥٢

(١٣) يوسف/٣

(١٤) النجم/٣- ٤

الله عليه وسلم اكمل عقولا واعظم ايماناً واتم تصديقاً وجهاداً؛ ولهذا كانت علومهم واعمالهم القلبية وايمانهم اعظم، وكانت العبادات البدنية لغيرهم أعظم.«وايضاً» فانه أخبر عن الفارقليط انه شهد له، وانه يعلمهم كل شيء ، وانه يذكرهم كل ما قال المسيح ، ومعلوم ان هذا لا يكون الا اذا شهد له شهادة يسمعها الناس لا يكون هذا في قلب طائفة قليلة، ولم يشهد أحد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس الا محمد صلى الله عليه وسلم، فانه اظهر امر المسيح وشهد له بالحق حتى سمع شهادته له عامة اهل الأرض، وعلموا انه صدق المسيح ونزهه عما افترته عليه اليهود وما غلت فيه النصارى، فهو الذي شهد له بالحق، ولهذا لما سمع النجاشي من الصحابة ما شهد به محمد صلى الله عليه وسلم للمسيح قال لهم ما زاد عيسى على ما قلتم هذا العود، وجعل الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم (شهداء على الناس)[١٥] شهدوا عليهم بما علموا من الحق، اذ كانوا وسطاً عدولاً لا يشهدون بباطل ، فان الشاهد لا يكون الا عدلا؛ بخلاف من جار في شهادته فزاد على الحق او نقص منه كشهادة اليهود للنصارى في المسيح . «وايضاً» فان معنى الفارقليط ان كان هو الحامد أو الحماد أو المحمود أو الحمد فهذا الوصف ظاهر في محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه وامته الحمادون الذين يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته ومفتاح صلاته، ولما كان حماداً سمي بمثل وصفه فهو محمد وزن مكرم ومعظم ومقدس، وهو الذي يحمد اكثر مما يحمد غيره ويستحق ذلك، فلما كان حماداً لله كان محمداً وفي شعر حسان:

اغرّ عليه للنبوة خاتم	من الله ميمون يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه	اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

واما «أحمد» فهو افعل التفضيل، اي هو احمد من غيره اي احق بان يكون محموداً اكثر من غيره، يقال: هذا احمد من هذا اي هذا احق بان يحمد من هذا،

---

(١٥) سورة البقرة/١٤٣، والحج/٧٨.

فيكون تفضيل على غيره في كونه محموداً فلفظ «محمد» يقتضي زيادة في الكمية، ولفظ احمد يقتضي زيادة في الكيفية ومن الناس من يقول: معناه أنه أكثر حمداً لله من غيره، وعلى هذا فيكون بمعنى الحامد والحماد، وعلى الأول بمعنى المحمود. وان كان الفارقليط بمعنى الحمد فهو تسمية بالمصدر مبالغة في كثرة الحمد، كما يقال: رجل عدل ورضى ونظائر ذلك، وبهذا يظهر سر ما اخبر به القرآن عن المسيح من قوله (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمة أحمد)[١٦] فان هذا هو معنى الفارقليط كما تقدم، وفي التوراة ما ترجمتهُ بالعربية: «وأما في اسماعيل فقد قبلت دعاك ها أنا قد باركت فيه وأثمره واكبرهُ بمأذ مأذ» هكذا هذه اللفظة «مأذ» على وزن عمر، وقد اختلف فيها علماء اهل الكتاب فطائفة يقولون معناها جداً جداً اي كثيراً كثيراً، فان كان هذا معناها فهو بشارة بمن عظم من بنيه كثيراً كثيراً، ومعلوم أنه لم يعظم من بنيه اكثر مما عظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة اخرى: بل هي صريح اسم محمد، قالوا ويدل عليه ان الفاظ العبرانية من الفاظ العربية فهي اقرب اللغات الى العربية، فانهم يقولون لاسماعيل شماعيل وسمعتك شمعتيني، واياه اوثو، وقدسك قد شيخا، وانت انا، واسرائيل سيرائيل، فتأمل قوله في التوراة «قدس لي خل بخور خل ريخم بني سرائيل باذام وبيبمالي» معناه قدس لي كل بكر كل اول مولود رحم في بني اسرائيل من انسان الى بهيمة لي. وتأمل قوله «نابي اقيم لاهيم تقارب اخيهم كانوا أخا ايلاوْه شماعون» فان معناه نبياً اقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك به يؤمنون، وكذلك قوله: «انتم عابر تم بعيولي اجيخيم بنوا عيصاه» معناه انتم عابرون في تخم اخوتكم بني العيص، ونظائر ذلك اكثر من ان تذكر، فاذا اخذت لفظة «مؤذ مؤذ» وجدتها اقرب شيء الى لفظة محمد، واذا اردت تحقيق ذلك فطابق بين الفاظ العبرانية والعربية، وكذلك يقولون «اصبوع او لو هم هوم» اي اصبح الله كتب بها التوراة، ويدل على ذلك اداة الباء في قوله «بمأذ مأذ» ولا يقال اعظمه بجداً جداً؛ بخلاف اعظمه بمحمد. وكذلك هو فانه عظم به وازداد به شرفاً الى شرفه؛ بل تعظيمه؛ بمحمد ابنه صلى الله عليه وسلم فوق تعظيم كل والد بولده

---

(١٦) سورة الصف ٦

العظيم القدر، فالله سبحانه كبره بمحمد صلى الله عليه وسلم، وعلى التقديرين فالنص من اظهر البشارات به، أما على هذا التفسير فظاهر جداً، وأما على التفسير الاول فانما كبر اسمعيل وعظم على اسحق جداً جداً بابنه محمد صلى الله عليه وسلم.

فاذا طابقت بين معنى «الفارقليط» ومعنى «مؤذ مؤذ» ومعنى «محمد، واحمد» ونظرت الى خصال الحمد التي فيه وتسمية امته بالحمادين وافتتاح كتابه بالحمد وافتتاح الصلاة بالحمد وكثرة خصال الحمد التي فيه وفي امته وفي دينه وفي كتابه وعرفت ما خلص به العالم من انواع الشرك والكفر والخطايا والبدع والقول على الله بلا علم وما اعز الله به الحق واهله وقمع به الباطل وحزبه تيقنت انه الفارقليط بالاعتبارات كلها، فمن هذا الذي هو روح الحق الذي لا يتكلم الاّ بما يوحى اليه؟! ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به والمصدق له بمجيئه؟! ومن الذي اخبرنا بالحوادث في الازمنة المستقبلة كخروج الدجال وظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج ونزول المسيح بن مريم وظهور النار التي تحشر الناس واضعاف اضعـاف ذلك من الغيوب التي قبل يوم القيامة والغيوب الواقعة من الصراط والميزان والحساب واخذ الكتب بالأيمان والشمائل وتفاصيل ما في الجنة والنار ما لم يذكر في التوراة والانجيل غير محمد صلى الله عليه وسلم؟! ومن الذي وبخ العالم على الخطايا سواه؟! ومن الذي عرف الأمة ما ينبغي لله حق التعريف غيره؟! ومن الذي تكلم في هذا الباب بما لم يطق اكثر العالم ان يقبلوه غيره حتى عجزت عنه عقول كثير ممن صدقه وآمن به فساموه انواع التحريف والتأويل لعجز عقولهم عن حمله كما قال اخوه المسيح صلوات الله عليهما وسلامه؟! ومن الذي ارسل الى جميع الخلق بالحق قولاً وعملا واعتقاداً في معرفة الله واسمائه وصفاته واحكامه وافعاله وقضائه وقدره وغيره؟! ومن هو اركون العالم الذي اتى بعد المسيح غيره؟! «واركون العالم» هو عظيم العالم وكبير العالم وتأمل قول المسيح في هذه البشارة التي لا ينكرونها «ان اركون العالم سيأتي وليس لي من الأمر شيء» كيف هي شاهدة بنبوة المسيح ونبوة محمد معاً فانه لما جاءَ صار الأمر له دون المسيح. فوجب على العالم كلهم طاعته والانقياد لامره، وصار الأمر له حقيقة. ولم يبق بايدي النصارى الا دين باطله

اضعاف اضعاف حقه، وحقه منسوخ بما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، فطابق قول المسيح قول اخيه محمد صلى الله عليه وسلم «ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلا واماماً مقسطاً فيحكم بكتاب ربكم» وقوله في اللفظ الآخر «يأتيكم بكتاب ربكم» فطابق قول الرسولين الكريمين وبشر الأول بالثاني وصدق الثاني بالأول. وتأمل قوله في البشارة الأخرى «الم تر الى الحجر الذي أخره البناؤون صار أساً للزاوية» كيف تجده مطابقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم «مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فاكملها وأتمها الا موضع لبنة منها، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها، ويقولون هلّا وضعت تلك اللبنة؟! فكنت أنا تلك اللبنة» وتأمل قول المسيح في هذه البشارة: «ان ذلك عجيب في اعيننا» وتأمل قوله فيها «ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى أمة أخرى» كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون)[17] وقوله: (وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)[18] وتأمل قوله في الفارقليط المبشر به: «يفشي لكم الاسرار، ويفسر لكم كل شيء، فاني اجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل» وكيف تجده مطابقاً للواقع من كل وجه ولقوله تعالى: (وانزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)[19] ولقوله تعالى: (ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[20] واذا تأملت التوراة والانجيل والكتب وتأملت القرآن وجدته كالتفصيل لمجملها والتأويل لأمثالها والشرح لرموزها، وهذا حقيقة قول المسيح «اجيئكم بالامثال ويجيئكم بالتأويل، ويفسر لكم كل شيء» واذا تأملت قوله «وكل شيء عده الله لكم به»

(١٧) سورة الأنبياء/١٠٥

(١٨) النور/٥٥

(١٩) سورة النحل/٨٩

(٢٠) يوسف/١١١

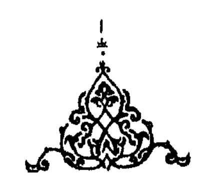
وتفاصيل ما اخبر به من الجنة والنار والثواب والعقاب تيقنت صدق الرسولين الكريمين، ومطابقة الاخبار المفصلة من محمد صلى الله عليه وسلم للخبر المجمل من اخيه المسيح. وتأمل قوله في الفارقليط «وهو يشهد لي كما شهدت له» كيف تجده منطبقاً على محمد بن عبد الله، وكيف تجده شاهداً بصدق الرسولين، وكيف تجده صريحاً في رجل يأتي بعد المسيح يشهد له بانه عبد الله ورسوله كما شهد له المسيح؟! فلقد اذن المسيح بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما أذاناً لم يؤذنه نبي قبله، واعلن بتكبير ربه ان يكون له صاحبة أو ولد، ثم رفع صوته بشهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً احداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد، ثم اعلن بشهادة ان محمداً عبده ورسوله الشاهد له بنبوته المؤيد بروح الحق الذي لا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بما يوحى اليه ويعلمهم كل شيء ويخبرهم ما اعد الله لهم، ثم رفع صوته بحي على الفلاح باتباعه والايمان وتصديقه وانه ليس له من الأمر معه شيءٍ، وختم التأذين بان ملكوت الله سيؤخذ ممن كذبه ويدفع الى اتباعه والمؤمنين به، فهلك من هلك عن بينة وعاش من عاش عن بينة فاستجاب اتباع المسيح حقا لهذا التأذين، واباه الكافرون والجاحدون، فقال تعالى: (اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة، ثم اليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم فيه تختلفون[٢١]) وهذه بشارة بان المسلمين لا يزالون فوق النصارى الى يوم القيامة فان المسلمين هم اتباع المرسلين في الحقيقة واتباع جميع الأنبياء لا أعداؤه، واعداؤه عباد الصليب الذين رضوا ان يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولا ولم يرضوا أن يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه، فهؤلاء اعداؤه حقا والمسلمون اتباعه حقاً. والمقصود أن بشارة المسيح بالنبي صلى الله عليه وسلم فوق كل بشارة لما كان أقرب الأنبياء اليه واولاهم به ليس بينه وبينه نبي.

وتأمل قول المسيح «إن أركون العالم سيأتي» واركون العالم هو سيد العالم وعظيمه. ومن الذي ساد العالم واطاعه العالم بعد المسيح غير النبي صلى الله عليه

(٢١) آل عمران/٥٥

وسلم؟! وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل ما أول امرك قال «انا دعوة أبي ابراهيم، وبشرى عيسى» وطابق بين هذا وبين هذه البشارات التي ذكرها المسيح، فمن الذي ساد العالم باطناً وظاهراً وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعد مماته في جميع الأعصار، وافضل الأقاليم والأمصار، وسارت دعوته مسير الشمس، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وخرت لمجيئه الأمم على الاذقان، وبطلت به عبادة الاوثان، وقامت به دعوة الرحمن، واضمحلت به دعوة الشيطان، واذل الكافرين والجاحدين، وأعز المؤمنين وجاء بالحق وصدق المرسلين، حتى اعلن بالتوحيد على رؤوس الأشهاد، وعبد الله وحده لا شريك له في كل حاضر وباد ، وامتلأت به الارض تحميداً وتكبيراً لله وتهليلا، وتسبيحاً، واكتسب به بعد الظلم والظلام عدلا ونوراً.

وطابق بين قول المسيح «ان أركون العالم سيأتيكم» وقول أخيه محمد صلى الله عليه وسلم «انا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي، وانا خطيب الانبياء اذا وفدوا وإمامهم اذا اجتمعوا ومبشرهم اذا ايسوا، لواء الحمد بيدي، وانا اكرم ولد آدم على ربي».



الفصل الخامس

[النصارى آمنوا بمسيح لا وجود له!]
[واليهود ينتظرون المسيح الدجال!!]

وفي قول المسيح في هذه البشارة «وليس لي من الأمر شيء» إشارة الى التوحيد وان الأمر كله لله، فتضمنت هذه البشارة اصليّ الدين: اثبات التوحيد، واثبات النبوة وهذا الذي قاله المسيح مطابق لما جاء به أخوه محمد بن عبد الله عن ربه من قوله له (ليس لك من الامر شيء)[1] فمن تأمل حال الرسولين الكريمين ودعوتهما وجدهما متوافقين متطابقين حذو القذة بالقذة، وانه لا يمكن التصديق باحدهما مع التكذيب بالآخر البتة، وان المكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد تكذيباً للمسيح الذي هو المسيح ابن مريم عبد الله ورسوله؛ وان آمن بمسيح لا حقيقة له ولا وجود وهو ابطل الباطل، وقد قال يوحنا في كتاب اخبار الحواريين وهو ما يسمونه اقراكيس: «أحبابي اياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الارواح التي من عند الله من غيرها واعلموا أن كل روح تؤمن بان يسوع المسيح قد جاء وكان جسدانياً فهي من عند الله وكل روح لا تؤمن بان المسيح قد جاء وكان جسدانياً فليست من عند الله من المسيح الكذاب الذي هو الآن في العالم» فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول، والنصارى انما تؤمن بمسيح دعى الى عبادة نفسه وأمه وانه ثالث ثلاثة وانه الله وابن الله، وهذا هو اخو المسيح الكذاب لو كان له وجود، فان المسيح الكذاب يزعم انه الله، والنصارى في الحقيقة اتباع هذا المسيح، كما ان اليهود انما ينتظرون خروجه، وهم يزعمون انهم ينتظرون النبي الذي بشروا به، فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الايمان به انتظاراً للمسيح الدجال. وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل.

---

(١) آل عمران/ ١٢٨

[ما عوض به ابليس والنصارى وكل مستكبر عن حق]

وأصل هذا ان ابليس لما أعرض عن السجود لآدم كبراً ان يخضع له تعوض بذلك ذل القيادة لكل فاسق ومجرم من بنيه، فلا بتلك النخوة ولا بهذه الحرفة، والنصارى لما أنفوا ان يكون المسيح عبدا لله تعوضوا من هذه الأنفة بان رضوا بجعله مصفعة اليهود ومصلوبهم الذي يسخرون منه ويهزؤن به، ثم عقدوا له تاجاً من الشوك بدل تاج الملك، وساقوه في حبل الى خشبة الصلب يصفقون حوله ويرقصون. فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله ولا بهذه النسبة له الى أعظم الذل والضيق والقهر، وكذلك أنفوا ان يكون للبترك والراهب زوجة أو ولد وجعلوا لله رب العالمين الولد، وكذلك أنفوا ان يعبدوا الله وحده لا شريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم رضوا بعبادة الصليب والصور المصنوعة بالأيدي في الحيطان وطاعة كل من يحرم عليهم ما شاء ويحلل لهم ما شاء ويشرع لهم من الدين ما شاء من تلقاء نفسه. ونظير هذا التعويض أنفه الجهمية ان يكون الله سبحانه فوق سماواته على عرشه بائناً من خلقه حتى لا يكون محصوراً بزعمهم في جهة معينة ثم قالوا هو في كل مكان بذاته. فحصروه في الآبار والسجون والانجاس والاخباث، وعوضوه بهذه الأمكنة عن عرشه المجيد. فليتأمل العاقل لعب الشيطان بعقول هذا الخلق، وضحكه عليهم، واستهزائه بهم!!!

وقول المسيح: «اذا انطلقت أرسلته اليكم» معناه أني أرسله بدعاء ربي وطلبي منه ان يرسله، كما يطلب الطالب من ولي الأمر ان يرسل رسولا او يولي نائباً أويعطي أحداً، فيقول انا أرسلت هذا ووليته وأعطيته. يعني أني كنت سبباً في ذلك؛ فان الله سبحانه اذا قضى ان يكون الشيء فانه يقدر له أسباباً يكون بها، ومن تلك الأسباب دعاء بعض عباده بان يفعل ذلك فيكون في ذلك من النعمة اجابة دعائه مضافاً الى نعمته بايجاد ما قضى كونه، محمد صلى الله عليه وسلم قد دعا به الخليل ابوه فقال: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم)[٢] مع ان الله سبحانه قد قضى بارساله وأعلن

---

(٢) سورة البقرة/ ١٢٩

باسمه قبل ذلك، كما قيل له: يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال «وآدم بين الروح والجسد» وقال: «اني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته» وهذا كما قضى الله سبحانه نصره يوم بدر ومن اسباب ذلك استعانته بربه ودعاؤه وابتهاله بالنصر، وكذلك ما يقضيه من انزال الغيث قد يجعله بسبب ابتهال عباده ودعائهم وتضرعهم اليه، وكذلك ما يقضيه من مغفرة ورحمة وهداية ونصر قد يسبب له أدعية يحصل بها ممن ينال ذلك، او من غيره، فلا يمتنع ان يكون المسيح سأل ربه بعد صعوده ان يرسل اخاه محمداً الى العالم، ويكون ذلك من اسباب الرسالة المضافة الى دعوة ابيه إبراهيم، لكن إبراهيم سأل ربه ان يرسله في الدنيا فلذلك ذكره الله سبحانه، واما المسيح فانما سأله بعد رفعه وصعوده الى السماء.

وتأمل قول المسيح «اني لست ادعكم أيتاماً لأني سآتيكم عن قريب» كيف هو مطابق لقول أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما «ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلا، واماماً مقسطاً، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية» وأوصى أمته بان «يقرئه السلام منه من لقيه منهم» وفي حديث آخر: «كيف تهلك أمة أنا في اولها وعيسى في آخرها »؟!

(فصل) وقد تقدم نص التوراة «تجلى الله من طور سينا، واشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»، قال علماء الاسلام- وهذا لفظ ابي محمد بن قتيبة- ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض لان مجيء الله من طور سيناء انزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذي هو عند اهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب ان يكون «اشراقه من ساعير» انزاله الانجيل على المسيح، وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة، وباسمها تسمى من اتبع نصارى، وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير بالمسيح فكذلك يجب أن يكون «استعلانه من جبال فاران» انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، وجبال فار ان هي جبال مكة، قال: وليس بين المسلمين واهل الكتاب حلاف في أن فاران هي مكة، فان ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وافكهم، قلنا اليس في التوراة ان ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران؟! وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران،

والنبي الذي أنزل عليه كتاباً بعد المسيح؟! أو ليس استعلن وعلن بمعنى واحد، وهما ظهر وانكشف فهل تعلمون ديناً ظهر ظهور دين الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه؟! قال علماء الاسلام «وساعير» جبل بالشام منه ظهور نبوة المسيح، والى جانبه قرية بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح تسمى اليوم «ساعير» ولها جبال تسمى ساعير، وفي التوراة ان نسل العيص كانوا سكاناً بساعير، وامر الله موسى ان لا يؤذيهم. قال شيخ الاسلام[٣] وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة «حراء» الذي ليس حول مكة أعلى منه، وفيه ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه، وحوله جبال كثيرة، وذلك المكان يسمى فاران الى هذا اليوم، والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران، ولا يمكن احداً ان يدعى انه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الارض ولا بعث نبي، فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم، وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على ترتيب الزمان، فذكر انزال التوراة ثم الانجيل، ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهداه، وقال في الاول: «جاء وظهر» وفي الثاني «اشرق» وفي الثالث «استعلن» فكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، ونزول الانجيل مثل اشراق الشمس، ونزول القرآن بمنزلة ظهور الشمس في السماء؛ ولهذا قال «واستعلن من جبال فاران» فان محمداً صلى الله عليه وسلم ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها اعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس في مشارق الارض ومغاربها اذا استعلنت وتوسطت السماء؛ ولهذا سماه الله (سراجاً منيراً)[٤] وسمى الشمس (سراجاً وهاجاً)[٥] والخلق يحتاجون الى السراج المنير اعظم من حاجتهم الى السراج الوهاج؛ فان هذا يحتاجون اليه في وقت دون وقت، واما السراج المنير فيحتاجون اليه كل وقت وفي كل مكان ليلا ونهاراً سراً وعلانية، وقد ذكر الله تعالى هذه الاماكن الثلاثة في قوله: (والتين والزيتون وطور سنين . وهذا البلد

(٣) يعني الإمام ابن تيمية رحمه الله

(٤) سورة الأحزاب/ ٤٦

(٥) سورة النبأ/١٣

الامين)[٦]. فالتين والزيتون هو في الارض المقدسة التي بعث منها المسيح ، وأنزل عليه فيها الانجيل (وطور سنين) وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليمًا وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التي فيه، واقسم (بالبلد الامين) وهو مكة التي أسكن إبراهيم واسماعيل وأمه فيه وهو فاران كما تقدم ، ولما كان ما في التوراة خبراً عن ذلك أخبر به على الترتيب الزماني، فقدم الأسبق، ثم الذي يليه، وأما القرآن فانه أقسم بها تعظيمًا لشأنها واظهاراً لقدرته وآياته وكتبه ورسله، فأقسم بها على وجه التدريج درجة بعد درجة، فبدأ بالعالي، ثم انتقل الى أعلا منه،ثم أعلا منها فان أشرف الكتب القرآن ، ثم التوراة، ثم الانجيل، وكذلك الانبياء.

وهذا الذي ذكره ابن قتيبة وغيره من علماء المسلمين. من تأمل التوراة وجدها ناطقة به صريحة فيه فان فيها «وعاد ابراهيم فاخذ الغلام واخذ خبزاً وسقاء من ماء ودفعه الى هاجر وحمله عليها، وقال لها اذهبي، فانطلقت هاجر، ونفد الماء الذي كان معها، فطرحت الغلام تحت شجرة، وجلست مقابلته على مقدار رمية الحجر لئلا تبصر الغلام حين يموت، ورفعت صوتها بالبكاء، وسمع الله صوت الغلام حيث هو، فقال لها الملك: قومي فاحملي الغلام وشدي يدك به فاني جاعله لأمة عظيمة، وفتح الله عينيها فبصرت ببئر ماء فسقت الغلام وملأت سقاءها، وكان الله مع الغلام فتربى وسكن في برية فاران» فهذا نص التوراة ان اسماعيل «إنما رُبّي وسكن في برية فاران بعد ان كاد يموت من العطش، وان الله سقاه من بئر ماء» وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم ان اسماعيل انما ربي بمكة، وهو وابوه ابراهيم بنيا البيت، فعلم قطعاً ان «فاران» هي أرض مكة.

ومثل هذه البشارة من كلام شمعون فيما قبلوه ورضوا ترجمته «جاء الله من جبال فاران، وامتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح أمته» ولم يخرج احد من جبال فاران التي امتلأت السموات والارض من تسبيحه وتسبيح امته سوى محمد صلى الله عليه وسلم؛ فان المسيح لم يكن بارض فاران البتة، وموسى انما كلم من

---

(٦) سورة التين/ ١-٣

الطور والطور ليس من أرض فاران، وان كانت البرية التي بين مكة والطور تسمى برية فاران فلم ينزل الله فيها التوراة، وبشارة التوراة قد تقدمت بجبل الطور، وبشارة الانجيل بجبل ساعير.

ونظير هذا ما نقلوه ورضوا ترجمته في نبوة حتقوق «جاء الله من التين، وظهر القدس على جبال فاران ، وامتلأت الارض من تحميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأنارت الارض لنوره، وحملت خيله في البحر» قال ابن قتيبة: وزاد فيه بعض أهل الكتاب «وستنزع في قسيك(٧) اعراقا وترتوي السهام بأمرك يا محمد أرتواء» وهذا إفصاح باسمه وصفاته، فان ادعوا انه غيره فمن أحمد هذا الذي امتلأت الارض من تحميده، والذي جاء من جبال فاران فملك رقاب الأمم؟!!

(الوجه السادس) قوله في الفصل التاسع من السفر الاول من التوراة «ان هاجر لما فارقت سارة وخاطبها الملك فقال يا هاجر من أين أقبلت؟ والى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال قال ارجعي فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا اسمه اسماعيل؛ لأن الله قد سمع ذُلّك وخضوعك، وولدك يكون وحش الناس، يده فوق يد الجميع، ويد الكل به، ويكون مسكنه على تخوم جميع اخوته» قال المستخرجون لهذه البشارة: معلوم أن يد بني اسماعيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن فوق أيدي بني اسحق؛ بل كان في أيدي بني اسحق النبوة والكتاب، وقد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب فلم يكن لبني اسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بعث موسى وكانوا مع موسى من أعز أهل الارض ولم يكن لأحد عليهم يد؛ ولذلك كانوا مع يوشع الى زمن داود وملك سليمان الملك الذي لم يؤت الله احداً مثله فلم تكن يد بني اسماعيل عليهم، ثم بعث الله المسيح فكفروا به وكذبوه فدمر عليهم تكذيبهم اياه وزال ملكهم ولم يقم لهم بعده قائمة، وقطعهم الله في الارض أمماً، وكانوا تحت حكم الروم والفرس وقهرهم، ولم تكن يد ولد اسماعيل عليهم في هذا الحال، ولا كانت فوق يد الجميع الى أن بعث الله محمداً

(٧) القِسِيّ: جمع مفرده القوس. يذكر ويؤنث.

صلى الله عليه وسلم برسالته وأكرمه الله بنبوته فصارت بمبعثه يد بني اسماعيل فوق الجميع، فلم يبق في الارض سلطان أعز من سلطانهم بحيث قهروا سلطان فارس والروم والترك والديلم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والصابئة وعباد الاصنام، فظهر بذلك تأويل قوله في التوراة «وتكون يده فوق يد الجميع، ويد الكل» وهذا امر مستمر الى آخر الدهر. قالت اليهود: نحن لا ننكر هذا؛ ولكن إن هذه بشارة بملكه وظهوره وقهره لا برسالته ونبوته. قال المسلمون: الملك ملكان ملك ليس معه نبوة بل ملك جبار متسلط، وملك نفسه نبوة؛ والبشارة لم تقع بالملك الأول؛ ولا سيما ان ادعى صاحبه النبوة والرسالة وهو كاذب مفتر على الله فهو من شر الخلق وأفجرهم وأكفرهم، فهذا لا تقع البشارة بملكه وانما يقع التحذير من فتنته كما وقع التحذير من فتنة الدجال، بل هذا شر من سنحاريب وبخت نصر والملوك الظلمة الفجرة الذين يكذبون على الله، فالاخبار لا تكون بشارة، ولا تفرح به هاجر وابراهيم، ولا بشر أحد بذلك، ولا يكون ذلك اثابة لها من خضوعها وذلها وأن الله قد سمع ذلك ويعظم هذا المولود ويجعله لأمة عظيمة، وهذا عند الجاحدين بمنزلة أن يقال: انك ستلدين جبارا ظالماً طاغياً يقهر الناس بالباطل، ويقتل أولياء الله، ويسبي حريمهم، ويأخذ أموالهم بالباطل، ويبدل أديان الأنبياء، ويكذب على الله، ونحو ذلك فمن حمل هذه البشارة على هذا فهو أعظم الخلق بهتاناً وفرية على الله؛ وليس هذا بمستنكر لأمة الغضب، وقتلة الانبياء، وقوم البهت.

(الوجه السابع) قول داود في الزبور: «سبحوا الله تسبيحاً جديداً، وليفرح اسرائيل بخالقه، وبيوت صهيون[٨] من أجل ان الله اصطفى له امته وأعطاه النصر، وسدد الصالحين بالكرامة يسبحون على مضاجعهم، ويكبرون الله باصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، ولينتقم بهم من الامم الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود، واشرافهم بالاغلال» وهذه الصفات انما تنطبق على محمد وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصواتهم مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وعلى الاماكن

---

(٨) في نسخة: وبنو صهيون يبتهجون بملكهم.

العالية، قال جابر: «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا علونا كبرنا، واذا هبطنا سبحنا، فوضعت الصلاة على ذلك» وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في الأذان، وفي عيد الفطر، وعيد النحر، وفي عشر ذي الحجة، وعقيب الصلوات في أيام منى، وذكر البخاري عن عمر بن الخطاب انه كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره، فيسمعهم أهل الاسواق فيكبرون، حتى ترتج منى تكبيراً، وكان أبو هريرة وابن عمر يخرجان الى السوق ايام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما، ويكبرون أيضاً على قرابينهم وضحاياهم، وعند رمى الجمار، وعلى الصفا والمروة، وعند محاذاة الحجر الاسود، وفي أدبار الصلوات الخمس؛ وليس هذا لأحد من الأمم لا أهل الكتاب ولا غيرهم سواهم؛ فان اليهود يجمعون الناس بالبوق، والنصارى بالناقوس. وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد بن عبد الله وأمته وقوله «بأيديهم سيوف ذات شفرتين» فهي السيوف العربية التي فتح الصحابة بها البلاد، وهي الى اليوم معروفة لهم وقوله «يسبحون على مضاجعهم» هو نعت للمؤمنين (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم[٩]) ومعلوم قطعاً ان هذه البشارة لا تنطبق على النصارى ولا تناسبهم؛ فانهم لا يكبرون الله بأصوات مرتفعة، ولا بأيديهم سيوف ذات شفرتين ينتقم الله بهم من الامم والنصارى تعيب من يقاتل الكفار بالسيف؛ وفيهم من يجعل هذا من أسباب التنفير عن محمد صلى الله عليه وسلم، ولجهلهم وضلالهم لا يعلمون ان موسى قاتل الكفار، وبعده يوشع بن نون، وبعده داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء، وقبلهم ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(الوجه الثامن) قول داود: «ومن أجل هذا بارك الله عليك الى الابد فتقلد أيها الجبار السيف، لان البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، أركب كلمة الحق، وسبحت التأله؛ فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والامم يخزون تحتك» وليس متقلد السيف بعد داود من الانبياء سوى محمد صلى الله

(٩) آل عمران/ ١٩١

عليه وسلم ، وهو الذي خرت الامم تحته، وقرنت شرائعه بالهيبة : إما القبول وإما الجزية، وإما السيف وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وقد أخبر داود ان له ناموساً وشرائع ، وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعداء الله؛ بخلاف المستضعف المقهور، وهو صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، ونبي الملحمة، وامته اشداء على الكفار رحماء بينهم، اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، بخلاف الاذلاء المقهورين المستكبرين ، الذين يذلون لاعداء الله ويتكبرون عن قبول الحق.

(الوجه التاسع) قول داود في مزمور آخر «ان الله سبحانه أظهر من صهيون اكليلاً محموداً وضرب الأكليل مثلا للرياسة والامامة»، ومحمود هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال في صفته: «ويحوز من البحر الى البحر، ومن لدن الانهار الى منقطع الارض، وانه لتخر اهل الجزائر بين يديه على ركبهم، وتلحس أعداؤه التراب تأتيه ملوك الفرس وتسجد له، وتدين له الامم بالطاعة والانقياد، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له ويرأف بالمساكين والضعفاء ويصلى عليه في كل وقت ويبارك» ولا يشك عاقل تدبر أمور الممالك والنبوات وعرف سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة امته من بعده ان هذه الاوصاف لا تنطبق الا عليه وعلى أمته لا على المسيح ولا على نبي غيره، فانه حاز من البحر الرومي الى البحر الفارسي، ومن لدن الانهار جيحون وسيحون والفرات الى منقطع الارض بالغرب، وهذا مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم «زويت[10] لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها» وهو الذي يصلى عليه ويبارك في كل حين وفي كل صلاة من الصلوات الخمس وغيرها، وهو الذي خرت اهل الجزائر بين يديه: أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل جزيرة الاندلس، واهل جزيرة قبرص، وخضعت له ملوك الفرس فلم يبق فيهم الا من أسلم أو أدى الجزية عن يد وهم صاغرون؛ بخلاف ملوك الروم فان فيهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية؛ فلهذا ذكر في البشارة ملوك الفرس

(١٠) يقال: زوى الشيء يزويه زياً: جمعه وقبضه.

خاصة، ودانت له الامم التي سمعت به وبامته، فهم بين مؤمن به ومسالم له ومنافق معه وخائف منه، وانقذ الضعفاء من الجبارين؛ وهذا بخلاف المسيح فانه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد رفعه الى السماء، ولا حازوا ما ذكر، ولا يصلون عليه ويباركون في اليوم والليلة؛ فان القوم يدعون الاهيته ويصلون له.

(الوجه العاشر) قوله في مزمور آخر «لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قيذار مروجاً، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب، ويذيعوا تسابيحه في الجو» فمن أهل البوادي من الأمم سوى امة محمد؟ ومن «قيذار» غير ولد اسماعيل أحد أجداده صلى الله عليه وسلم ؟! ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب ؟! ومن هذا الذي دام ذكره الى الابد غيره؟!

(الوجه الحادي عشر) قوله في مزمور آخر: «ان ربنا عظم محمودا» وفي مكان آخر «الهنا قدوس ومحمد قد عم الارض كلها فرحاً» فقد نص داود على اسم محمد وبلده وان كلمته قد عمت الارض.

(الوجه الثاني عشر) قوله في الزبور لداود: «سيولد لك ولد أدعى له أباً ويدعى لي إبناً ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس انه بشر» وهذه اخبار عن المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم قبل ظهورهما بزمن طويل، يريد ابعث محمداً حتى يعلم الناس ان المسيح بشر ليس إلهاً، وانه ابن البشر لا ابن خالق البشر، فبعث الله هادي الامة وكاشف الغمة فبين للامم حقيقة امر المسيح وانه عبد كريم ونبي مرسل؛ لا كما ادعته فيه النصارى ولا كما رمته به اليهود.

(الوجه الثالث عشر) قوله في نبوة اشعيا: «قيل لي قم نظارا فانظر ما ترى تخبر به، قلت ارى راكبين مقبلين احدهما على حمار والآخر على جمل، يقول احدهما لصاحبه سقطت بابل واصنامها للبحر» صاحب الحمار عندنا وعند النصارى هو المسيح وراكب الجمل هو محمد صلوات الله وسلامه عليهما، وهو اشهر بركوب الجمل من المسيح بركوب الحمار، وبمحمد صلى الله عليه وسلم سقطت اصنام بابل

لا بالمسيح، ولم يزل في اقليم بابل من يعبد الاوثان من عهد ابراهيم الخليل الى ان سقطت بمحمد صلى الله عليه وسلم.

(الوجه الرابع عشر) قوله في نبوةاشعيا انه قال عن مكة: «ارفعي الى ما حولك بصرك، فستبهجين وتفرحين من اجل ان الله تعالى يصير اليك ذخائر البحر، وتحج اليك عساكر الامم، حتى تعم بك قطر الابل المؤبلة، وتضيق ارضك عن المقطرات التي تجتمع اليك، وتساق اليك كباش مدين، ويأتيك اهل سبأ وتسير اليك اغنام فاران، وتخدمك رجل نباوت» يريد سدنة الكعبة وهم اولاد نبت بن اسماعيل، قالوا فهذه الصفات كلها حصلت لمكة، فانها حملت اليها ذخائر البحر، وحج اليها عساكر الامم، وسيق اليها اغنام فاران هدايا واضاحي وقرابين، وضاقت الارض عن قطرات الابل المؤبلة الحاملة للناس وازوادهم، وأتاها أهل سبأ وهم اهل اليمن.

(الوجه الخامس عشر) قول اشعيا في مكة ايضاً: «وقد اقسمت بنفسي كقسمي ايام نوح اني اغرق الارض بالطوفان اني لا أسخط عليك ولا ارفضك، وان الجبال تزول وان التلاع تنحط ورحمتي عليك لا تزول، ثم قال: يا مسكينة، يا مضطهدة! ها اناذا بان بالحسن حجارتك، ومزاينك بالجواهر، ومكلل باللؤلؤ سقفك وبالزبرجد أبوابك، وتبعدين من الظلم فلا تخافي، ومن الضعف فلا تضعفي، وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك، وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها، ويسميك الله اسمًا جديداً ـ يريد أنه سماها المسجد الحرام ـ فقومي فاشرقي فانه قد دنا نورك وقار الله عليك، انظري بعينيك حولك، فانهم مجتمعون يأتونك بنوك وبناتك عدواً فحينئذ تسرين وتزدهين، ويخاف عدوك، وليتسع قلبك، وكل غنم قيذار تجتمع اليك، وسادات نباوت يخدمونك» «ونباوت» هم اولاد نبت بن اسماعيل. «وقيذار» جد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو اخو بنت ابن اسماعيل. ثم قال: «وتفتح ابوابك الليل والنهار لا تغلق، ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب».

(الوجه السادس عشر) قوله ايضاً في مكة: «سري واهتزى ايتها العاقر التي لم

تلد وانطقي بالتسبيح، وافرحي ولم تحبلي ، فان أهلك يكونون اكثر من أهلي» يعني باهله بيت المقدس، ويعني بالعاقر مكة لانها لم تلد قبل محمد النبي صلى الله عليه وسلم نبياً، ولا يجوز ان يريدبالعاقر بيت المقدس لانه بيت الانبياء ومعدن الوحي، وقد ولد انبياء كثيراً

(الوجه السابع عشر) قول أشعيا ايضاً لمكة شرفها الله «اني اعطي البادية كرامة لبنان وبهاء الكترمال» وهما الشام وبيت المقدس؛ يريد أجعل الكرامة التي كانت هناك بالوحي، في ظهور الانبياء للبادية بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالحج. ثم قال: «ويشق البادية مياه وسواق في الارض الفلاة، ويكون بالفيافي والاماكن العطاش ينابيع ومياه، ويصير هناك محجة وطريق الحرم، لا يمر به انجاس الامم، والجاهل به لا يصل هناك، ولا يكون بها سباع ولا اسد، ويكون هناك ممرّ المخلصين».

(الوجه الثامن عشر) قول اشعيا ايضاً في كتابه عن الحرم «ان الذئب والجمل فيه يرتعان معاً» اشارة الى امنه الذي خصه الله به دون بقاع الارض، ولذلك سماه «البلد الامين» وقال: (او لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)[11] وقال يعدد نعمه على أهله: (لإ يلاف قريش إيلافهم. رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف[12])

(الوجه التاسع عشر) قول أشعيا ايضاً معلناً باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اني جعلت امرك يا محمد بالحمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الابد» فهل بقي بعد ذلك لزايغ مقال او لطاعن مجال؟! وقوله: «يا قدوس الرب» معناه يا من طهره الرب وخلصه واصطفاه وقوله: «اسمك موجود من الابد» مطابق لقول داود في مزمور له «اسمك موجود قبل الشمس».

(الوجه العشرون) قول اشعيا في ذكر الحجر الاسود قال: «الرب والسيد ها

---

(١١) سورة القصص/٥٧

(١٢) سورة قريش/ ١-٤

انذا مؤسس بصهيون حجراً في زاوية ركن منه، فمن كان مؤمناً فلا يستعجلنا، واجعل العدل مثل الشاقول، والصدق مثل الميزان، فيهلك الذين ولعوا بالكذب» فصهيون هي مكة عند اهل الكتاب، وهذا الحجر الاسود الذي يقبله الملوك فمن دونهم، وهو مما اختص به محمد وامته.

(الوجه الحادي والعشرون) قول اشعيا في موضع آخر: «انه ستملأ البادية والمدن قصوراً الى قيذار ومن رؤوس الجبال، وينادونهم الذين يجعلون لله الكرامة ويثنون بتسبيحه في البر والبحر» وقال «ارفع علمًا لجميع الامم من بعيد، فيصفر بهم من اقصى الارض فاذا هم سراع يأتون» وبنو قيذار هم العرب؟ لأن قيذار هو ابن اسماعيل باجماع الناس، والعلم الذي يرفع هو النبوة، والصفير بهم دعاؤهم من اقاصي الارض الى الحج فاذا هم سراع يأتون، وهذا مطابق لقوله عز وجل: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)[13]

(الوجه الثاني والعشرون) قول أشعيا في موضع آخر «سأبعث من الصبا قوما ياتون من المشرق مجيبين افواجاً كالصعيد كثرة، ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين» «والصبا» يأتي من نحو مطلع الشمس، بعث الله سبحانه من هناك قوما من اهل المشرق مجيبين بالتلبية كالتراب كثرة. وقوله: «ومثل الطيان الذي يدوس برجله الطين» اما ان يراد به الهرولة بالطواف والسعي، واما ان يراد به رجال قد كلت ارجلهم من المشي.

(الوجه الثالث والعشرون) قول في كتاب أشعيا ايضاً: «عبدي وخيرتي ورضا نفسي، افيض عليه روحي» أو قال «انزل عليه روحي، فيظهر في الأمم عدلي ويوصي الأمم بالوصايا، لا يضحك، ولا يسمع صوته، يفتح العيون العمى العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف، وما اعطيه لا اعطي غيره، لا يضعف ولا يغلب، ولا يميل الى اللهو، ولا يسمع في الاسواق صوته، ركن للمتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفى ولا يخصم، حتى يثبت في الارض حجتي،

---

(١٣) الحج / ٢٧

وتنقطع به المعذرة» فمن وجد بهذا الوصف غير محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه؟! فلو اجتمع اهل الارض لم يقدروا ان يذكروا نبياً جمع هذه الاوصاف كلها- وهي باقيه في امته الى يوم القيامة- غيره لم يجدوا الى ذلك سبيلا فقوله «عبدي» موافق لقوله في القرآن (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا)[١٤] وقوله (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً)[١٥] وقوله (وانه لما قام عبد الله يدعوه)[١٦] وقوله (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا)[١٧] وقوله «وخيرتي ورضا نفسي» مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم : «إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ، وصطفى بني هاشم من قريش، وصطفاني من بني هاشم» وقوله «لا يضحك» مبق لوصفه الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة : «ما رؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً حتى تبدو لهواته ؛ انما كان يتبسم تبسمًا» وهذا لان كثرة الضحك من خفة الروح ونقصان العقل؛ بخلاف التبسم فانه من حسن الخلق وكمال الادراك، واما صفته صلى الله عليه وسلم في بعض الكتب المتقدمة بانه «الضحوك القتال» فالمراد به انه لا يمنعه ضحكه وحسن خلقه اذا كان حداًلله وحقاً له، ولا يمنعه ذلك عن تبسمه في موضعه، فيعطى كل حال ما يليق بتلك الحال فترك الضحك بالكلية من الكبر والتجبر وسوء الخلق، وكثرته من الخفة والطيش، والاعتدال بين ذلك وقوله: « انزل عليه روحي» مطابق لقوله تعالى: (وكذلك اوحينا اليك روحاً من أمرنا) [١٨]وقوله: (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عبادة ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون) [١٩]وقوله: (يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق)[٢٠]فسمى الوحي روحاً لأن حياة القلوب والارواح به، كما ان حياة الابدان

---

(١٤) سورة البقرة/ ٢٣

(١٥) سورة الفرقان/ ١

(١٦) سورة الجن/ ١٩

(١٧) سورة الاسراء/١

(١٨) الشورى/ ٥٢

(١٩) سورة النحل/٢

(٢٠) غافر/ ١٥

بالارواح. وقوله« فيظهر في الأمم عدلي» مطابق قوله تعالى: (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب، وأمرت لاعدل بينكم)[٢١]وقوله عن أهل الكتاب: (فان حاجوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط)[٢٢]وقوله: « يوصي الامم بالوصايا» مطابق لقوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[٢٣]وقوله في سورة الأنعام(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) الى قوله(ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) [٢٤]ثم قال: (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده) الى قوله(ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)[٢٥]ثم قال(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [٢٦]ووصاياه صلى الله عليه وسلم هي عهوده الى الأمة بتقوى الله وعبادته وحده لا شريك له، والتمسك بما بعثه الله به من الهدى ودين الحق، والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وقوله: « ولا تسمع صوته» يعني ليس بصخاب له فديد[٢٧]كحال من ليس له حلم ولا وقار وقوله« يفتح العيون العمي والآذان الصم والقلوب الغلف» اشارة الى تكميل مراتب العلم والهدى الحاصل بدعوته في القلوب والأبصار والاسماع، فباينوا بذلك احوال الصم البكم العمي الذين لهم قلوب لا يعقلون بها، فان الهدى يصل الى العبد من هذه الابواب الثلاثة، وهي مغلفة عن كل أحد لا تفتح إلا على أيدي الرسل، ففتح الله بمحمد صلى الله عليه وسلم الأعين العمي فأبصرت بالله، والآذان الصم

---

(٢١) الشورى/١٥

(٢٢) المائدة/٤٢

(٢٣) الشورى/١٣

(٢٤) الانعام/١٥١

(٢٥) الانعام/ ١٥٢

(٢٦) الانعام/١٥٣

(٢٧) الفديد: الصوت. وفي الحديث: إن الجفاء والقسوة في الفدّادين. وهم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.

فسمعت عن الله، والقلوب الغلف فعقلت عن الله، فانقادت لطاعته عقلا وقولا وعملا، وسلكت سبل مرضاته ذللا، وقوله: « وما أعطيه فلا أعطي غيره» مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: « أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء قبلي» ولقول الملائكة لما ضربوا له المثل: « لقد أعطي هذا النبي ما لم يعط نبي قبله ان عينيه تنامان وقلبه يقظان» فمن ذلك انه بعث الى الخلق عامة، وختم به ديوان الأنبياء، وأنزل عليه القرآن الذى لم ينزل من السماء كتاب يشبهه ولا يقاربه، وأنزل على قلبه محفوظاً متلواً، وضمن له حفظه الى أن يأتي الله بأمره، وأوتي جوامع الكلم، ونصر بالرعب في قلوب أعدائه وبينهما مسيرة شهر، وجعلت صفوف امته في الصلاة على مثال صفوف الملائكة في السماء، وجعلت الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً، وأسري به الى أن جاوز السموات السبع ورأى ما لم يره بشر قبله، ورفع على سائر النبيين، وجعل سيد ولد آدم، وانتشرت دعوته في مشارق الارض ومغاربها، واتبعه على دينه أتباع أكثر من أتباع سائر النبيين من عهد نوح الى المسيح، فأمته ثلثا أهل الجنة، وخصه بالوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة، وبالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وبالشفاعة العظمى التي يتأخر عنها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى، وأعز الله به الحق وأهله عزاً لم يعزه بأحد قبله، وأذل به الباطل وحزبه ذلا لم يحصل بأحد قبله، وآتاه من العلم والشجاعة والصبر والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة والعبادات القلبية والمعارف الالهية ما لم يؤته نبي قبله، وجعلت الحسنة منه ومن أمته بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة، وتجاوز له عن أمته الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، وصلى عليه هو وجميع ملائكته عليهم صلوات الله وسلامه، وأمر عباده المؤمنين كلهم أن يصلوا عليه ويسلموا تسليمًا، وقرن اسمه باسمه فاذا ذكر الله ذكر معه كما في الخطبة والتشهد والأذان، فلا يصح لأحد أذان ولا خطبة ولا صلاة حتى يشهد انه عبده ورسوله، ولم يجعل لاحد معه أمراً يطاع لاممن قبله ولا ممن هو كائن بعده الى أن تطوى الدنيا ومن عليها، وأغلق أبواب الجنة الا عمن سلك خلفه واقتدى به، وجعل لواء الحمد بيده فآدم وجميع الانبياء تحت لوائه يوم القيامة، وجعله أول من تنشق عنه الارض، وأول شافع وأول مشفع، وأول من

يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها فلا يدخلها احد من الاولين والآخرين الا بشفاعته، وأعطى من اليقين والايمان والصبر والثبات والقوة في أمر الله والعزيمة على تنفيذ أوامره والرضا عنه والشكر له والقنوع في مرضاته وطاعته ظاهراً وباطناً سرا وعلانية في نفسه وفي الخلق ما لم يعطه نبي قبله. ومن عرف أحوال العالم وسير الأنبياء وأممهم تبين له ان الأمر فوق ذلك، فاذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر انه يكون أبداً. قوله: «ولا يضعف ولا يغلب» هكذا كان حاله صلوات الله وسلامه عليه ما ضعف في ذات الله قط، ولا في حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه واجتماع أهل الارض على حربه، بل هو أقوى الخلق وأثبتهم جأشاً وأشجعهم قلباً، حتى انه يوم أحد قتل أصحابه وجرحوا وما ضعف ولا استكان، بل خرج من الغد في طلب عدوه على شدة القرح حتى أرعب منه العدو وكر خاسئاً على كثرة عددهم وضعف أصحابه، وكذلك يوم حنين أفرد عن الناس في نفر يسير دون العشرة والعدو قد أحاطوا به وهم ألوف مؤلفة فجعل يثب في العدو ويقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

ويتقدم اليهم، ثم أخذ قبضة من التراب فرمى بها وجوههم فولوا منهزمين ومن تأمل سيرته وحروبه علم أنه لم يطرق العالم أشجع منه ولا أثبت ولا أصبر، وكان أصحابه مع انهم أشجع الامم اذا حمي البأس واشتدت الحرب اتقوا به وتترسوا به فكان أقربهم الى العدو، وأشجعهم هو الذي يكون قريباً منه، وقوله «ولا يميل الى اللهو» هكذا كانت سيرته كان أبعد الناس من اللهو واللعب؛ بل أمره كله جد وحزم وعزم، مجلسه مجلس حياء وكرم وعلم وإيمان ووقار وسكينة. وقوله: «ولا يسمع في الأسواق صوته» أي ليس من الصاخبين في الأسواق في طلب الدنيا والحرص عليها كحال أهلها الطالبين لها. وقوله: «ركن للمتواضعين» فان من تأمل سيرته وجده أعظم الناس تواضعاً للصغير والكبير والمسكين والأرملة والحر والعبد: يجلس معهم على التراب، ويجيب دعوتهم، ويسمع كلامهم، وينطلق مع أحدهم في حاجته،

ويأخذ له حقه ممن لا يستطيع أن يطالبه به. ويخصف نعله[٢٨]، ويخيط ثوبه، وقوله «وهو نور الله الذي لا يطفأ ولا يخصم حتى يثبت في الارض حجته وينقطع به العذر» وهذا مطابق لحاله وأمره، ولما شهد به القرآن في غير موضع كقوله تعالى: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون).[٢٩] وقوله (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً وداعياً الله الى باذنه وسراجاً منيراً)[٣٠]. وقوله: (يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام)[٣١] وقوله: (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً)[٣٢]. وقوله: (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)[٣٣] ونظائره في القرآن كثيرة وقوله «حتى ينقطع به العذر وتثبت به الحجة» مطابق لقوله تعالى: (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[٣٤]. وقوله: (والمرسلات عرفاً ـ الى قوله ـ فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً)[٣٥] وقوله: (ولو لا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لو لا أرسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)[٣٦]. وقوله: (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو نقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة)[٣٧] فالحجة إنما قامت على الخلق بالرسل، وبهم انقطعت المعذرة، فلا يمكن

---

(٢٨) يخصف نعله: أي يخرزها، يشير المصنف رحمه الله الى تواضع رسول الله (ﷺ)، والى قيامه بأمور نفسه بنفسه، على غير ما اعتاد الناس من الملوك وعِلية القوم.

(٢٩) التوبة/ ٣٢

(٣٠) الأحزاب/٤٥

(٣١) المائدة/ ١٦

(٣٢) النساء/١٧٤

(٣٣) الأعراف/ ١٥٧

(٣٤) النساء/١٦٥

(٣٥) المرسلات/١-٦

(٣٦) القصص/ ٤٧

(٣٧) الأنعام/ ١٥٦ـ ١٥٧

من بلغته دعوتهم وخالفها أن يعتذر الى الله يوم القيامه إذ ليس له عذر يقبل منه .

(فصل) وهذه البشارة مطابقة لما في صحيح البخاري انه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، فقال: «إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيراً)[٣٨] وحرزا للاميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فافتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمًا، وقلوباً غلفاً: بأن يقولوا لا إله الا الله» وقوله: «إن هذا في التوراة» لا يريد به التوراة المعينة التي هي كتاب موسى؛ فان لفظ التوراة والانجيل والقرآن والزبور يراد به الكتب المعينة تارة، ويراد به الجنس تارة. فيعبر بلفظ القرآن عن الزبور، وبلفظ التوراة عن القرآن ، وبلفظ الانجيل عن القرآن أيضاً وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته الى أن يركبها يقرأ القرآن» فالمراد به قرآنه وهو الزبور، وكذلك قوله في البشارة التي في التوراة: «نبياً أقيم لبني اسرائيل من إخوتهم، أنزل عليه توراة مثل توراة موسى» وكذلك في صفة أمته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة «أناجيلهم في صدورهم» فقوله «اخبرني بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة» إما ان يريد التوراة المعينة أو جنس الكتب المتقدمة، وعلى التقديرين فاجابة عبد الله بن عمرو بما هو في التوراة أي التي هي أعم من الكتاب المعين ، فان هذا الذي ذكره ليس في التوراة المعينة بل هو في كتاب أشعيا كما حكيناه عنه، وقد ترجموه أيضاً بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة: «عبدي ورسولي الذي سرت به نفسي، انزل عليه وحيي فيظهر في الامم عدلي ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، والآذان الصم، ويحي القلوب الغلف، وما أعطيه لا أعطيه أحداً، يحمد الله حمداً جديداً يأتي به من أقطار الأرض، وتفرح البرية

(٣٨) الأحزاب/ ٤٥

وسكانها، يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف، ولا يغلب، ولا يميل الى الهوى، مشفَّح ، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة، بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفى، أثر سلطانه على كتفيه». وقوله: «مشفح» بالشين المعجمة والفاء المشددة بوزن مكرم، وهي لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد معنى ولفظاً مقارباً كمطابقة مؤذ مؤذ بل أشد مطابقة ، ولا يمكن العرب أن يتلفظوا بها بلفظ العبرانية فانها بين الحاء والهاء، وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة، ولا يستريب عالم من علمائهم منصف انها مطابقة لاسم محمد، قال أبو محمد بن قتيبة «مشفح» محمد بغير شك، واعتباره انهم يقولون: شفحالاها. اذا أرادوا أن يقولوا الحمدلله، واذا كان الحمد شفحا فمشفح محمد بغير شك، وقد قال لي ولغيري بعض من أسلم من علمائهم «ان مئذ مئذ» هو محمد، وهو بكسر الميم والهمزة، وبعضهم يفتح الميم ويدنيها من الضمة قال؛ ولا يشك العلماء منهم بأنه محمد وإن سكتنا عن إيراد ذلك، واذا ضربنا عن هذا صفحاً فمن هذا الذي انطبقت عليه وعلى أمته هذه الصفات سواه؟! ومن هذا الذي أثر سلطانه وهو خاتم النبوة على كتفيه رآه الناس عياناً مثل زر الحجلة؟! فماذا بعد الحق الا الضلال، وبعد البصيرة إلا العمى (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور[٣٩]) فصفات هذا النبي ومخرجه ومبعثه وعلاماته وصفات أمته في كتبهم يقرؤونها في كنائسهم ويدرسونها في مجالسهم لا ينكرها منهم عالم ولا يأباها جاهل؛ ولكنهم يقولون لم يظهر بعد، وسيظهر ونتبعه. قال ابن اسحاق: حدثني محمد بن ابي محمد، عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولونه فيه، فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود ابن سلمة: يا معشر يهود: اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه نبي مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال

(٣٩) النور/٤٠

سلام بن مسلم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فانزل الله عز وجل: (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)(٤٠) وقال أبو العالية: كان اليهود اذا استنصروا بمحمد على مشركي العرب يقولون: اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده مكتوبا عندنا حتى يعذب المشركين ويقتلهم، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً للعرب وهم يعلمون انه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات: (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال ابن اسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري، عن رجال من قومه، قالوا: ومما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله وهداه ما كنا نسمع من رجال اليهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدونا به، فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات التي في البقرة (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)

(الوجه الرابع والعشرون) قوله في كتاب أشعيا: «أشكر حبيبي وابني أحمد» فلهذا جاء ذكره في نبوة شعيا أكثر من غيرها من النبوات، واعلن شعيا بذكره ووصفه ووصف أمته، ونادى بها في نبوته سراً وجهراً لمعرفته بقدره ومنزلته عند الله. وقال شعيا أيضاً: «إنا سمعنا من أطراف الارض صوت محمد» وهذا إفصاح باسمه صلى الله عليه وسلم، فليرنا أهل الكتاب نبياً نصّت الانبياء على اسمه وصفته ونعته وسيرته وصفة أمته وأحوالهم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

---

(٤٠) سورة البقرة/ ٨٩

(الوجه الخامس والعشرون) قول حبقوق في كتابه: «إن الله جاء من اليمن، والقدوس من جبال فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الارض من حمده، وشاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزة، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام يمسح الارض فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي، فتزعزعت اسوار مدين، ولقد حاز المساعي القديمة» ثم قال: «زجرك في الأنهار، واحتدام صوتك في البحار، ركبت الخيول، وعلوت مراكب الاتقياء، وستنزع في قسيك اعراقا، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء ولقد رأتك الجبال فارتاعت، عنك شؤبوب(٤١) السيل، وتغيرت المهاري(٤٢) تغيراً رفعت أيديها وجلا وخوفاً، وسارت العساكر في بريق سهامك ولمعان نيازكك تدوخ الارض وتدوس الامم، لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك» فمن رام صرف هذه البشارة عن محمد فقد رام ستر الشمس بالنهار وتغطية البحار، وانى يقدر على ذلك وقد وصفه بصفات عينت شخصه وأزالت عن الحيران لبسه؟!! بل قد صرح باسمه مرتين، حتى انكشف الصبح لمن كان ذا عينين، وأخبر بقوة أمته وسير المنايا أمامهم واتباع جوارح الطير آثارهم، وهذه النبوة لا تليق إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تصلح إلا له ولا تنزل إلا عليه، فمن حاول صرفها عنه فقد حاول صرف الانهار العظيمة عن مجراها، وحبسها عن غايتها ومنتهاها، وهيهات ما يروم المبطلون والجاحدون، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فمن الذي امتلأت الارض من حمده وحمد أمته لله في صلواتهم وخطبهم وأد بار صلواتهم وعلى السراء والضراء وجميع الاحوال سواء؟! حتى سماهم الله قبل ظهورهم الحمادين! ومن الذي كان وجهه كأن الشمس والقمر يجريان فيه في ضيائه ونوره؟!

قد عود الطير عادات وثقن بها   شاهده في وجهه ينطق
لو لم يقل إني رسول أما   فهن يتبعنه في كل مرتحل

---

(٤١) الشؤبوب: مفرد جمعه شآبيب: شدة اندفاع كل شيء، ويقال للدفعة من المطر: شؤبوب.

(٤٢) لعل المراد بها؛ جمع المهرة: الفرس. لكن هذه تجمع على مُهَر، ومهرات. ويقال مِهار، وأمهار لجمع المهر ولد الفرس.

ومن الذي سارت المنايا أمامه وصحبت سباع الطير جنوده لعلمها بما يقرب من ذبح الكفار لله الواحد القهار؟!

يتــطايــرون بقــربــه قــربــانهم بــدمــاء من علقــوا من الكفــار

ومن الذي تضعضعت له الجبال وانخفضت له الروابي وداس الأمم ودوخ العالم وانتفضت بنبوته الممالك وخلص الأمة من الشرك والكفر والجهل والظلم سواه؟!

(**الوجه السادس والعشرون**)قوله في كتاب حزقيل يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم« وان الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبياً، وينزل عليه كتاباً، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بني قيذار في جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين يوقعون بكم، وتكون عاقبتكم الى النار» فمن الذي أظهره الله على اليهود حتى قهرهم وأذلهم وأوقع بهم وأنزل عليه كتاباً ؟! ومن هم بنو قيذار غير بني اسرائيل الذين خرجوا معه ومعهم جماعات الشعوب؟! ومن الذي نزلت عليه وعلى أمته الملائكة على خيل بيض يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين حتى عاينوها عياناً تقاتل بين يديه وعن يمينه وعن شماله، حتى غلب ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ليس معهم غير فرسين ألف رجل مقنعين في الحديد معدودين من فرسان العرب فأصبحوا بين قتيل وأسير ومنهزم !!!

(**الوجه السابع والعشرون**) قول دانيال وذكره باسمه الصريح ، من غير تعريض ولا تلويح ، وقال: « سينزع في قسيك اعراقاً ، وترتوى السهام بأمرك يامحمد إرتواء» وقال دانيال النبي أيضاً حين سأله بخت نصر عن تأويل رؤيا رآها ثم أنسيها: «رأيت أيها الملك صنمًا عظيمًا قائمًا بين يديك، رأسه من ذهب، وساعداه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من الخزف، فبينا أنت متعجب منه إذ أقبلت صخرة فدقت ذلك الصنم فتفتت وتلاشى وعاد رفاتاً ثم نسفته الرياح وذهب، وتحول ذلك الحجر إنساناً عظيمًا ملأ الارض، فهذا ما رأيت ايها الملك» فقال بخت نصر: صدقت فما تأويلها ؟ قال: أنت الرأس الذي رأيته من الذهب، ويقوم

بعدك ولدك وهو الذي رأيته من الفضة وهو دونك، وتقوم بعده مملكة اخرى هي دونه وهي تشبه النحاس، ويعدها مملكة قويه مثل الحديد، واما الرجلان اللذان رأيت من خزف فمملكة ضعيفة ، واما الحجر العظيم الذي رأيته دق الصنم ففتته فهو نبي يقيمه إلّه الارض والسماء بشريعة قوية فيدق جميع ملوك الارض وأممها حتى تمتلىء الارض منه ومن امته ، ويدوم سلطان ذلك النبي الى انقضاء الدنيا فهذا تعبير رؤياك أيها الملك. ومعلوم ان هذا منطبق على محمد بن عبد الله حذو القذة بالقذة؛ لا على المسيح ولا على نبي سواه، فهو الذي بعث بشريعة قوية ودق جميع ملوك الارض وأممها حتى امتلأت الارض من أمته، وسلطانه دائم الى آخر الدهر، لا يقدر أحد أن يزيله كما ازال سلطان اليهود من الارض، وازال سلطان النصارى عن خيار الارض ووسطها فصار في بعض اطرافها، وازال سلطان المجوس وعباد الاصنام وسلطان الصابئين.

(الوجه الثامن والعشرون) قول دانيال ايضاً: «سألت الله وتضرعت اليه أن يبين لي ما يكون من بني اسرائيل، وهل يتوب عليهم ويرد اليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك في غيرهم، فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول ان بني اسرائيل اغضبوني وتمردوا علي وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم الى الجهل، ومن بعد الصدق الى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم مسجدهم، وحرق كتبهم، وكذلك يفعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيلهم عثراتهم، فلا يزالون في سخطي حتى ابعث مسيحي ابن العذراء البتول فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى ابعث نبي بني اسماعيل الذي بشرت به هاجر، وارسلت إليها ملاكي فبشرها ، فأوحي الى ذلك النبي، وأعلمه الاسماء، وازينه بالتقوى، واجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، اخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، اسري به الي، وأرقيه من سماء الى سماء حتى يعلو فادنيه واسلم عليه، واوحي اليه وأرقيه ثم ارده

الى عبادي بالسرور والغبطة، حافظاً لما استودع، صادقاً بما امر، يدعو الى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق،رؤوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه الى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه» ثم سرد دانيال قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا. وهذه البشارة ايضاً عند اليهود والنصارى يقرؤنها ويقرون بها، ويقولون لم يظهر صاحبها بعد. قال أبو العالية لما فتح المسلمون تستر وجدوا دانيال ميتاً ووجدوا عنده مصحفاً قال ابو العالية أنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم واخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم، وكان أهل الناحية إذا اجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون، فكتب ابو موسى الأشعري في ذلك الى عمر بن الخطاب، فكتب عمر أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به.

(الوجه التاسع والعشرون) قال كعب وذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ويريد بها التوراة التي هي أعم من التوراة المعينة «أحمد عبدي المختار لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، يعفو ويغفر، مولده بكاء، وهجرته طابا[43]، وملكه بالشام، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل نجد، ويسبحونه في كل منزلة، ويوضؤن أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس، ومؤذنهم في جو السماء، وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، رهبان بالليل، أسد بالنهار، ولهم دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم ولو على كناسة».

(الوجه الثلاثون) قال ابن ابي الزناد حدثني عبد الرحمن بن الحارث، عن عمر ابن حفص وكان من خيار الناس، قال كان عند أبي وجدي ورقة يتوارثونها قبل الاسلام فيها «اسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين في تبار، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يتزرون على أوساطهم، ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحور الى

---

(٤٣) يريد: طيبة.

أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا بالطوفان، وفي ثمود ما هلكوا بالصيحة»

(الوجه الحادي والثلاثون) قال شعيا وذكر قصة العرب فقال: «ويدوسون الامم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسي موترة من شدة الملحمة» وهذا إخبار عما حل بعبدة الاوثان من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر ويوم حنين وفي غيرهما من الوقائع.

(الفصل الثاني والثلاثون) قوله في الانجيل الذي بأيدي النصارى عن يوحنا «ان المسيح قال للحواريين من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أني صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد لم يكن لهم ذنب، ولكن من الآن بطروا فلا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس لأنهم أبغضوني مجافا، فلو قد جاء المنجمنا هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب روح القسط فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً لانكم قديما كنتم معي، هذا قولي لكم لكيلا تشكوا اذا جاء» «والمنجمنا» بالسريانية، وتفسيره بالرومية البارقليط، وهو بالعبرانية الحماد والمحموذ والحمد كما تقدم.

(الوجه الثالث والثلاثون) قوله في الانجيل أيضاً: «إن المسيح قال لليهود وتقولون: كنا في أيام آبائنا لم نساعدهم على قتل الانبياء، فأتموا كيل آبائكم ياثعابين بني الافاعي كيف لكم النجاة من عذاب النار» «وسأبعث اليكم أنبياء وعلماء تقتلون منهم وتصلبون وتجلدون، وتطلونهم من مدينة الى أخرى، لتتكامل عليكم دماء المؤمنين المهرقة على الارض من دم هابيل الصالح الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه عند المذبح، انه سيأتي جميع ما وصفت على هذه الامة، يا اورشلم التي تقتل الانبياء وترجم من بعث اليك، قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريخها تحت جناحها وكرهت أنت ذلك، سأقفر عليكم بيتكم، وأنا أقول لا تروني الآن حتى يأتي من يقولون له مبارك، يأتي على اسم الله» فاخبرهم المسيح انهم لا بد أن يستوفوا الصاع الذي قدر لهم، وانه سيقفر عليهم بيتهم أي يخليه منهم، وانه يذهب عنهم فلا يرونه حتى يأتي المبارك الذي يأتي على اسم الله. فهو الذي انتقم بعده لدماء

المؤمنين، وهذا نظير قوله في الموضع الآخر: «إن خيراً لكم أن أذهب عنكم حتى يأتيكم الفارقليط فانه لا يجيء ما لم أذهب» وقوله: أيضاً «ابن البشر ذاهب، والفارقليط من بعده» وفي موضع آخر «أنا أذهب وسيأتيك الفارقليط» والفارقليط والمبارك الذي جاء بعد المسيح هو محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم تقريره.

(الوجه الرابع والثلاثون) قوله في انجيل متى: «انه لما حبس يحي بن زكريا بعث تلاميذه الى المسيح وقال لهم: قولوا له أنت أيل أم نتوقع غيرك؟ فقال المسيح: الحق اليقين أقول لكم انه لم تقم النساء عن أفضل من يحي بن زكريا، وإن التوراة وكتب الانبياء تتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي حتى جاء يحي، وأما الآن فان شئتم فاقبلوا فان أيل مزمع أن يأتي، فمن كانت له أذنان سامعتان فليستمع» وهذه بشارة بمجيء الله سبحانه الذي هو «أيل» بالعبرانية، ومجيئه هو مجيء رسوله وكتابه ودينه، كما في التوراة: «جاء الله من طور سيناء» قال بعض عباد الصليب: إنما بشر بالياس النبي؛ وهذا لا ينكر من جهل أمة الضلال وعباد خشبة الصليب التي نحتتها أيدي اليهود؛ فان الياس قد تقدم إرساله على المسيح بدهور متطاولة.

(الوجه الخامس والثلاثون) قوله في نبوة أرميا: «قبل أن أخلقك قد عظمتك من قبل أن أصورك في البطن، وأرسلتك وجعلتك نبياً للاجناس كلهم» فهذه بشارة على لسان أرميا لمن بعده، وهو إما المسيح وإما محمد صلوات الله وسلامه عليهما لا يعدوهما الى غيرهما، ومحمد أولى بها لأن المسيح انما كان نبياً لبني اسرائيل، كما قال تعالى: (ورسولا الى بني اسرائيل)[٤٤] والنصارى تقر بهذا؛ ولم يدع المسيح انه رسول الى جميع أجناس أهل الارض؛ فان الانبياء من عهد موسى الى المسيح انما كانوا يبعثون الى قومهم؛ بل عندهم في الانجيل ان المسيح قال للحواريين: «لا تسلكوا الى سبيل الاجناس، ولكن اقتصروا على الغنم الرابضة من نسل اسرائيل» وأما محمد بن عبد الله فهو الذي بعثه الله الى جميع أجناس الارض وطوائف بني آدم، وهذه البشارة مطابقة لقوله تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً)[٤٥]

(٤٤) آل عمران/ ٤٩

(٤٥) الأعراف/ ١٥٨

ولقوله صلى الله عليه وسلم : «بعثت الى الأسود والأحمر» وقوله صلى الله عليه وسلم: «وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة» وقد اعترف النصارى بهذه البشارة ولم ينكروها؛ لكن قال بعض زعمائهم إنها بشارة بموسى بن عمران والياس واليسع، وانهم سيأتون في آخر الزمان وهذا من أعظم البهت والجرأة على الله والافتراء عليه؛ فانه لا يأتي من قد مات الى يوم الميقات المعلوم.

(الوجه السادس والثلاثون) قول المسيح في الانجيل الذي بأيديهم وقد ضرب مثل الدنيا فقال «كرجل اغترس كرماً وسيج حوله، وجعل فيه معصرة ، وشيد فيه قصراً، ووكل به اعواناً ، وتغرب عنه ، فلما دنى أوان قطافه بعث عبده الى أعوانه الموكلين بالكرم» ثم ضرب مثلا للأنبياء ولنفسه، ثم للنبي الموكل آخرا بالكرم، ثم أفصح عن أمته فقال «وأقول لكم سيزاح عنكم ملك الله، وتعطاه الامة المطيعة العاملة». ثم ضرب لنبي هذه الأمة مثلاً بصخرة وقال: «من سقط على هذه الصخرة سينكسر، ومن سقطت عليه ينهشم» وهذه صفة محمد ومن ناوأه وحاربه من الناس لا تنطبق على أحد بعد المسيح سواه.

(الوجه السابع والثلاثون) قول شعيا في صحفه «لتفرح أرض البادية العطشى ولتبتهج البراري والفلوات لانها ستعطى بأحمد محاسن لبنان ومثل حسن الدساكر» وتا الله ما بعد هذا الا المكابرة وجحد الحق بعد ماتبين.

(الوجه الثامن والثلاثون) قول حزقيل في صحفه التي بأيديهم يقول الله عز وجل- بعد ما ذكر معاصي بني اسرائيل وشبههم بكرمة غذاها وقال لم- تلبث الكرمة ان قلعت بالسخطة ورمى بها على الارض وأحرقت السمائم[٤٦] ثمارها، فعند ذلك غرس في البدو وفي الارض المهملة العطشى وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب» وهذا تصريح لا تلويح به صلى الله عليه وسلم، وببلده وهي مكة العطشى المهملة من النبوة قبله من عهد إسماعيل.

---

(٤٦) السمائم: جمع مفرده السموم: الريح الحارة.

(الوجه التاسع والثلاثون) ما في صحف دانيال وقد نعت الكشدانين الكذابين فقال «لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل ولا يقوم لمدع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة» وفي التوراة ما يشبه هذا، وهذا تصريح بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فان الذين اتبعوه بعد موته أضعاف أضعاف الذين اتبعوه في حياته، وهذه دعوته قد مرت عليها القرون من السنين وهي باقية مستمرة وكذلك الى آخر الدهر، ولم يقع هذا الملك قط فضلاً عن كذاب مفتر على الله وأنبيائه مفسد للعالم مغير لدعوة الرسل، ومن ظن هذا بالله فقد ظن به أسوأ الظن وقدح في علمه وقدرته وحكمته.



الفصل السادس
[مناظرة المؤلف لأحد كبار اليهود]

وقد جرت لي «مناظرة» بمصر مع أكبر من يشير اليه اليهود بالعلم والرياسة، فقلت له في اثناء الكلام: أنتم بتكذيبكم محمداً صلى الله عليه وسلم قد شتمتم الله اعظم شتيمة. فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام! فقلت له: إسمع الآن تقريره، اذا قلتم: إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي انه رسول الله أرسله الى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحى الي كذا؛ ولم يكن من ذلك شيء، ويقول: انه أباح لي سبي ذراري من كذبني وخالفني ونساءهم وغنيمة أموالهم وقتل رجالهم؛ ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير الانبياء ومعاداة أممهم ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا أن الله سبحانه كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا انه خفى عنه ولم يعلم به، فان قلتم لم يعلم به نسبتموه الى أقبح الجهل وكان من علم ذلك أعلم منه، وان قلتم بل كان ذلك كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه فلا يخلو إما أن يكون قادراً على تغييره والأخذ على يديه ومنعه من ذلك، اولا، فان لم يكن قادراً فقد نسبتموه الى أقبح العجز المنافي للربوبيه، وإن كان قادراً وهو مع ذلك يعزه وينصره ويؤيده ويعليه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه ويمكنه من اعدائه ويظهر على يديه من انواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف ولا يقصده احد بسوء إلا أظفره به ولا يدعوه بدعوة الا استجابها له فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا يليق نسبته الى آحاد العقلاء فضلا عن رب الارض والسماء؛ فكيف وهو يشهد له باقراره على دعوته وبتأييده وبكلامه وهذه عندكم شهادة زور وكذب فلما سمع ذلك قال معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر بل هو نبي صادق من اتبعه أفلح وسعد. قلت: فمالك لا تدخل في دينه؟ قال: انما بعث الى الاميين

الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه. قلت له: غلبت كل الغلب، فانه قد علم الخاص والعام انه أخبر انه رسول الله الى جميع الخلق، وان من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، واذا صحت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به؛ فأمسك ولم يحر جواباً.

وقريب من هذه المناظره ما جرى لبعض علماء المسلمين مع بعض اليهود ببلاد المغرب قال له المسلم: في التوراة التي بأيديكم الى اليوم ان الله قال لموسى «اني أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبياً مثلك أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه» قال له اليهودى: ذلك يوشع بن نون، فقال المسلم: هذا محال من وجوه: (أحدها) انه قال عندك في آخر التوراة: «انه لا يقوم في بني اسرائيل نبي مثل موسى». (الثاني) انه قال «من اخوتهم» واخوة بني اسرائيل إما العرب وإما الروم، فان العرب بنو اسماعيل والروم بنو العيص، وهؤلاء اخوة بني اسرائيل، فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق الا العرب وهم بنو اسماعيل وهم اخوة بني اسرائيل، وقد قال الله في التوراة حين ذكر اسماعيل جد العرب «انه يضع فسطاطه في وسط بلاد اخوته» وهم بنو اسرائيل، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي نصب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني اسرائيل وهي الشام التي هي مظهر ملكه كما تقدم من قوله «وملكه بالشام» فقال له اليهودي: فعندكم في القرآن (والى مدين أخاهم شعيباً)[1] (والى عاد أخاهم هودا)[2] (والى ثمود أخاهم صالحاً)[3] والعرب تقول: يا أخا بني تميم للواحد منهم، فهكذا قوله «أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم» قال المسلم الفرق بين الموضعين ظاهر؛ فانه من المحال أن يقال: ان بني اسرائيل اخوة بني اسرائيل، وبني تميم اخوة بني تميم، وبني هاشم اخوة بني هاشم، هذا ما لا يعقل في لغة أمة من الامم، بخلاف قولك: زيد أخو بني تميم، وهود أخو عاد، وصالح أخو

(١) سورة الأعراف/ ٨٥
(٢) سورة هود/ ٥٠
(٣) هود/ ٦١

ثمود أي واحد منهم، فهو أخوهم في النسب ولو قيل عاد أخو عاد وثمود أخو ثمود ومدين أخو مدين لكان نقصاً، وكان نظير قولك بنو اسرائيل أخوة بني اسرائيل، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ ضريح قال اليهودي: فقد أخبر انه سيقيم هذا النبي لبني اسرائيل، ومحمد انما أقيم للعرب ولم يقم لبني اسرائيل، فهذا الاختصاص يشعر بأنه مبعوث اليهم لا الى غيرهم. قال المسلم: هذا من دلائل صدقه، فانه ادعى انه رسول الله الى أهل الارض كتابيهم وأميهم، ونص الله في التوراة على أنه يقيمه لهم لئلا يظنوا انه مرسل الى العرب والاميين خاصة، والشيء يخص بالذكر لحاجة المخاطب الى ذكره لئلا يتوهم السامع انه غير مراد باللفظ العام ولا داخل فيه، وللتنبيه على أن ما عداه أولى بحكمه ولغير ذلك من المقاصد، فكان في تعيين بني اسرائيل بالذكر إزالة لوهم من توهم انه مبعوث الى العرب خاصة، وقد قال تعالى: (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك)[٤] وهؤلاء قومه ولم ينف ذلك أن يكون نذيراً لغيرهم، فلو أمكنك أن تذكر عنه انه ادعى انه رسول الى العرب خاصة لكان ذلك حجة، فأما وقد نطق كتابه وعرف الخاص والعام بأنه ادعى انه مرسل الى بني اسرائيل وغيرهم فلا حجة لك. قال اليهودي: ان أسلافنا من اليهود كلهم على انه ادعى ذلك، ولكن العيسوية[٥] منا تزعم انه نبي العرب خاصة ولسنا بقولهم، ثم التفت الى يهودي معه فقال نحن قد جرى شأننا على اليهودية، وتالله ما أدري كيف التخلص من هذا العربي؛ إلا أنه أقل ما يجب علينا أن نأخذ به أنفسنا النهي عن ذكره بسوء.

(فصل) وقال محمد بن سعد في «الطبقات» حدثنا معن بن عيسى حدثنا معاوية بن صالح، عن أبي فروة عن ابن عباس انه سأل كعب الاحبار: كيف تجد

---

(٤) القصص/ ٤٦. والسجدة/ ٣

(٥) فرقة ينسبون الى أبي عيسى اسحاق بن يعقوب الأصفهاني، كان في خلافة المنصور العباسي، يعتقد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث الى العرب خاصة، فتبعه على ضلاله بشر كثير من اليهود وله كتاب وضعه، قد حرم فيه الذبائح وخالف اليهود في أحكام كثيرة. قاله الدميري. قال شيخ الاسلام: ورأيت عن ابن حزم أنه قال بلغني أن اسمه كان محمد بن عيسى. ا. هـ عن المصنف.

نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال: نجده «محمد بن عبد الله ، مولده بمكه، ومهاجره الى طابة، ويكون ملكه بالشام؛ ليس بفحاش ولا صخاب بالاسواق، ولا يكافيء السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح» وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الاعمش، عن أبي صالح قال: قال: كعب: نجد مكتوباً «محمد رسول الله لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، وأمته الحمادون يكبرون الله على كل نجد ويحمدونه في كل منزلة، يأتزرون على أنصافهم، ويتوضؤن على أطرافهم، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، لهم دوي كدوي النحل، مولده بمكة، ومهاجره بطابة، وملكه بالشام»، قال الدارمي وأخبرنا زيد بن عوف، حدثنا أبو عوانه، عن عبد الملك بن عمير، عن ذكوان أبي صالح، عن كعب قال: في السطر الاول «محمد رسول الله، عبدي المختار، لافظ ولا غليظ، ولا صخاب بالاسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام» وفي السطر الثاني «محمد رسول الله، أمته الحمادون يحمدون الله في كل حال ومنزلة، ويكبرونه على كل شرف، رعاة الشمس، يصلون الصلاة اذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة، يأتزرون على أوساطهم، ويوضئون اطرافهم، وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل» وقال عاصم بن عمر بن قتادة، عن نملة بن أبي نملة، عن أبيه قال: كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم، ويعلمون الولدان صفته واسمه ومهاجره، فلما ظهر حسدوا وبغوا وأنكروا. وذكر أبو نعيم في «دلائل النبوة» من حديث سليمان بن سحيم ورميح بن عبد الرحمن كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه، قال سمعت أبي مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم ونحن يومئذ في هدنة من الحرب، فسمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج نبي يقال له احمد يخرج من الحرم: فقال له خليفة بن ثعلبة الاشهلي كالمستهزيء به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة، ويركب الحمار، وهذا البلد مهاجره قال

فرجعت الى قومي بني خدرة وانا يومئذ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلا منا يقول: هذا وحده يقوله؟! كل يهود يثرب تقول هذا.قال أبي: فخرجت حتى جئت يهود بني قريظة فتذاكروا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال الزبير بن باطا: قد طلع الكوكب الاحمر الذي لم يطلع الا بخروج نبي وظهوره، ولم يبق أحد الا احمد، هذه مهاجره قال ابو سعيد: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخبره أبي هذا الخبر، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو أسلم الزبير وذووه من رؤساء يهود لأسلمت يهود كلها انما هم لهم تبع» وقال النضر بن سلمة حدثنا يحي بن ابراهيم، عن صالح بن محمد، عن أبيه، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن محمد بن مسلمة قال: لم يكن في بني عبد الأشهل الا يهودي واحد يقال له يوشع، فسمعته يقول واني لغلام: قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت، ثم أشار بيده الى نحو بيت الله الحرام، فمن أدركه فليصدقه، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا وهو بين أظهرنا ولم يسلم حسداً وبغياً.

قال النضر: وحدثنا عبد الجبار بن سعيد، عن أبي بكر بن عبد الله العامري، عن سليم بن يسار، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، قال: ما كان في الأوس والخزرج رجل أو صَفُ لمحمد من أبي عامر الراهب، كان يألف اليهود ويسائلهم عن الدين ويخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان هذه دار هجرته، ثم خرج الى يهود تيماء فأخبروه بمثل ذلك، ثم خرج الى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن مهاجره يثرب، فرجع أبو عامر وهو يقول: أنا على دين الحنيفية، وأقام مترهبا ولبس المسوح، وزعم انه على دين ابراهيم وانه ينتظر خروج النبي، فلما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة لم يخرج اليه وأقام على ما كان عليه، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حسده وبغى ونافق، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «يا محمد: بم بعثت؟ قال «بالحنيفية» قال أنت تخلطها بغيرها؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتيت بها بيضاء، أين ما كان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتي»؟ فقال: لست الذي وصفوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «كذبت» فقال: ما كذبت، فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: «الكاذب أماته الله وحيداً طريداً» قال: آمين، ثم رجع الى مكة وكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً.

وقال الواقدي: حدثني محمد بن سعد الثقفي وعبد الرحمن بن عبد العزيز في جماعة كل حدثني بطائفة من الحديث، عن المغيرة بن شعبة انه دخل على المقوقس وانه قال له: ان محمداً نبي مرسل، ولو أصاب القبطُ والرومُ اتبعوه قال المغيرة فأقمت بالاسكندرية لا أدع كنيسة الا دخلتها وسألت أساقفتها من قبطها وروما عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان أسقف من القبط وهو رأس كنيسة أبي محنس كانوا يأتونه بمرضاهم فيداويهم ويدعو لهم لم أر أحداً قط لا يصلي الخمس أشد اجتهاداً منه، فقلت: أخبرني هل بقي أحد من الانبياء؟ قال: نعم وهو آخرهم ليس بينه وبين عيسى أحد وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه، وهو النبي الأمي العربي اسمه احمد، ليس بالطويل ولا بالقصير في عينيه حمرة، وليس بالابيض ولا بالآدم[٦] يعفي شعره، ويلبس ما غلظ من الثياب، ويجتزي[٧] بما لقي من الطعام، سيفه على عاتقه ولا يبالي من لاقى يباشر القتال بنفسه، ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم هم له أشد حبا من أولادهم وآبائهم، يخرج من أرض القرظ[٨]، ومن حرم يأتي والى حرم يهاجر الى أرض مسبخة ونخل، يدين بدين ابراهيم، يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، ويخص بما لم يخص به الانبياء قبله، وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث الى الناس كافة، وجعلت له الارض مسجداً وطهوراً أينما أدركته الصلاة تيمم، وصلى ومن كان قبلهم مشدد عليهم لا يصلون الا في الكنائس والبيع.

وقال الطبراني حدثناعلي بن عبد العزيز، حدثنا عبد الله بن رجاء، حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن أبيه، عن جده سعيد بن زيد،

---

(٦) الأدم: السمرة، والآدم من الناس: الأسمر والجمع أدمان.

(٧) قوله: يجتزي بما لقي من الطعام: اي يكتفي ويرضى به.

(٨) القرَظ: ورق السَّلَم، يدبغ به. والسلم: جنس شجر شائك من فصيلة القطّانيات، ينمو في البلدان الحارة، ثمره أصفر يحوي حبة خضراء. يستعملون ورقه للدبغ.

ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا الى راهب بالموصل، فقال لزيد: من أين أقبلت؟ قال من بيت ابراهيم، قال: وما تلتمس؟ قال التمس الدين، قال ارجع فانه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك، فرجع وهو يقول: «لبيك حقاً حقاً. تعبّداً ورقّاً» وقال ابن قتيبة في كتاب الاعلام: حدثني يزيد ابن عمرو، حدثنا العلاء بن الفضل، حدثني أبي، عن أبيه عبد الملك بن أبي سوية، عن أبي سوية، عن أبيه خليفة بن عبدة المنقرى، قال سألت محمد بن عدي: كيف سماك أبوك عدي محمداً؟ قال: أما اني قد سألت أبي عما سألتني عنه، فقال خرجت رابع أربعة من بني تميم أنا أحدهم ومجاشع بن دارم ويزيد بن عمرو بن ربيعة واسامة بن مالك بن جندب نريد ابن جفنة الغساني، فلما قدمنا الشام نزلنا على غدير فيه شجرات وقربه ديراني فأشرف علينا، وقال: ان هذه اللغة ما هي لأهل هذه البلد، قلنا نعم نحن قوم من مضر، قال: من أي المضريين؟ قلنا من خندف، قال: أما إنه سيبعث فيكم وشيكا نبي فسارعوا اليه وخذوا بحظكم منه ترشدوا ، فانه خاتم النبيين، واسمه محمد فلما انصرفنا من عند ابن جفنة الغساني وصرنا الى أهلنا ولد لكل منا غلام فسماه محمداً. وقال الامام أحمد: حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنيسة فاذا هو بيهود، واذا بيهودي يقرأ عليهم التوراة فلما أتوا على صفة النبي صلى الله عليه وسلم أمسكوا، وفي ناحيتها رجل مريض، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما لكم امسكتم؟ قال المريض انهم اتوا على نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال هذه صفتك وصفة امتك: أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: خذوا أخاكم. وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر، قال حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه، عن عكرمة عن ابن عباس، عن أبي بن كعب قال: لما قدم «تبع» المدينة ونزل بقباء بعث الى أحبار اليهود فقال: إني مخرب هذا البلد حتى لا تقوم بها يهودية ويرجع الأمر الى العرب، فقال له شموال اليهودي وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك! ان هذا بلد يكون اليه مهاجر نبي من بني اسماعيل، مولده بمكة، اسمه أحمد، وهذه دار

هجرته، وان منزلك هذا الذي أنت به يكون به من القتل والجراح كثير في أصحابه وفي عدوهم، قال تبع: ومن يقاتله يومئذ وهو نبي كما تزعمون، قال: يسير اليه قومه فيُقتتلون هاهنا، قال: فأين قبره، قال بهذا البلد، قال: فاذا قوتل لمن تكون الدائرة؟ قال تكون له مرة وعليه مرة، وبهذا المكان الذي أنت به تكون عليه ويقتل أصحابه قتلا لم يُقتّلوه في موطن ثم تكون له العاقبة ويظهر فلا ينازعه هذا الامر أحد، قال: وما صفته؟ قال رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، في عينيه حمرة ، يركب البعير، ويلبس الشملة، سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى من أخ أو ابن عم أو عم حتى يظهر أمره، قال تبع: ما الى هذه البلدة من سبيل، وما يكون خرابها على يدي، فخرج تبع منصرفاً الى اليمن، قال يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه لم يمت تبع حتى صدق بالنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يهود شرب يخبرونه، وان تبع مات مسلمًا. وقال محمد بن سعد: حدثنا محمد بن عمر، حدثني عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود يقول: إني وجدت سفراً كان أبي يكتمه علي فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القرظ، صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث بعد، فما هو إلا أن سمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة فعمد الى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفته، وقال ليس به. قال محمد بن عمر وحدثني الضحاك بن عثمان، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب عن ابن عباس، قال: كان يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم عندهم قبل أن يبعث، وان دار هجرته المدينة، فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أحبار يهود: ولد أحمد الليلة، هذا الكوكب قد طلع، فلما تنبأ قالوا؛ تنبأ أحمد قد طلع الكوكب كانوا يعرفون ذلك ويقرون به وسصفونه فما منعهم الا الحسد والبغي. وقال محمد بن سعد: أخبرنا علي ابن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله وعبد بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات، فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش: هل كا فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه، قال انظروا يا معشر قريش

واحصوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة أحمد، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم ذكروه لأهاليهم فقيل لبعضهم ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً، فأتوا اليهودي في منزله فقالوا: علمت انه ولد فينا غلام، فقال: أبعد خبري أم قبله؟ فقالوا قبله، واسمه أحمد، قال، فاذهبوا بنا اليه، فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته اليهم فرأى الشامة في ظهره فغشي على اليهودي ثم أفاق، فقالوا مالك؟ ويلك! فقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل، وخرج الكتاب من أيديهم، فازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش؟! أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبأها من المشرق الى المغرب. قال ابن سعد وأخبرنا علي بن محمد عن علي بن مجاهد، عن محمد بن اسحق، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع، عن أبي هريرة، قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس، فقال أخرجوا اليَّ أعلَمَكم، فقالوا عبد الله ابن صوريا، فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم من الغمام ثم قال له: أتعلم أني رسول الله؟ قال اللهم نعم وان القوم ليعرفون ما أعرف، وان صفتك ونعتك لمبين في التوراة ولكن حسدوك، قال: فما يمنعك انت؟ قال: أكره خلاف قومي عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم. وقال أبو الشيخ الأصبهاني. حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا سهل ابن عثمان، حدثنا على بن مسهر، عن داود عن الشعبي، قال قال عمر بن الخطاب: كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة التوراة للقرآن وموافقة القرآن للتوراة، فقالوا: ياعمر ما أحد أحب الينا منك لأنك تغشانا، قلت: إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا صاحبك، فقلت أنشدكم الله وما أنزل عليكم من الكتاب أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال سيدهم: قد نشدكم الله فأخبروه، فقالوا: أنت سيدنا فأخبره، فقال إنا نعلم أنه رسول الله، قلت: فاني أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله لمَ لمْ تتبعوه؟! قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلماً من الملائكة، عدونا جبريل وهو ملك الفظاظة والغلظة، وسلمنا ميكائيل وهو ملك

الرأفه واللين. قلت: فاني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل ولا لميكائيل أن يعادى سلم جبريل ولا أن يسالم عدوه، ثم قمت فاستقبلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ألا أقرئك آيات نزلت على قبل، فتلا (من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) (٩)الآية، فقلت والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود» قال عمر فلقد رأيتني أشد في دين الله من حجر. وذكر أبو نعيم من حديث عمرو بن عبسه قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، وعرفت أنهم على الباطل يعبدون الحجارة وهي لا تضر ولا تنفع، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين؟ فقال يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه يأتي بأفضل الدين، فاذا سمعت به فاتبعه، فلم يكن لي هم الآ مكة آتيها فأسأل: هل حدث فيها خبر؟ فيقولون: لا فأنصرف إلى أهلي وأعترض الركبان فأسألهم فيقولون لا، فاني لقاعد إذ مرَّ بي راكب فقلت: من أين جئت؟ قال من مكة، قلت هل حدث حدث فيها: قال: نعم رجل رغب عن آلهة قومه ودعا الى غيرها، قلت صاحبي الذى أريد فشددت راحلتي وجئت فأسلمت. وقال عبد الغني بن سعيد: حدثنا موسى بن عبد الرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس: أن ثمانية من أساقفة نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم «العاقب» و«السيد» فأنزل الله تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) (١٠)الآية فقالوا أخرنا ثلاثة أيام، فذهبوا الى بني قريظة والنضير وبني قينقاع فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وقالوا: هو النبي الذى نجده في التوراة والانجيل، فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ألف حلة،(١١)، في صفر وألف حلة في رجب ودراهم. وقال يونس بن بكير عن قيس بن الربيع، عن يونس بن أبي سالم، عن عكرمة: ان ناساً من أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فلما بعث كفروا به، فذلك قوله تعالى:

---

(٩) سورة البقرة/ ٩٧

(١٠) آل عمران/ ٦١

(١١) الحُلّة: إزار ورداء من برود اليمن، ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين.

(وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) (١٢).

[حديث سهل مولى عثمة النصراني]

وقال ابن سعد: حدثنا محمد بن سعد عن اسماعيل بن أبي فديك عن موسى بن يعقوب الزمعي عن سهل مولى عثمة أنه كان نصرانياً وكان يتيمًا في حجر عمه وكان يقرأ الانجيل، قال فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة أنكرت كثافتها، فاذا هي ملصقة ففتقتها فوجدت فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم « أنه لا قصير ولا طويل، أبيض بين كتفيه خاتم النبوة، يكثر الاحتباء ولا يقبل الصدقة، ويركب الحمار والبعير، ويحتلب الشاة ويلبس قميصاً مرقعاً وهو من ذرية اسماعيل اسمه أحمد» قال فجاء عمي فرأى الورقة فضربني، وقال: مالك وفتح هذه الورقة؟ فقلت: فيها نعت النبي أحمد، فقال انه لم يأت بعد. وقال وهب« أوحى الله الى شعيا أني مبتعث نبياً أفتح به آذاناً صما وقلوباً غلفاً، أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله والوفاء والصدق طبيعته، والعفو والمغفرة، والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلّم به بعد الجهالة، وأكثر به بعد القلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم مختلفة، وأجعل أمته خير أمة، وهم رعاة الشمس، طوبى لتلك القلوب» وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عثمان ابن عبد الرحمن: ان رجلا من أهل الشام من النصارى قدم مكة، فأتى على نسوة قد اجتمعن في يوم عيد من أعيادهم وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهم، فقال: يا نساء تيماء، إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد، أيتما امرأة منكنّ استطاعت أن تكون له فراشا فلتفعل، فحفظت خديجة حديثه.

---

(١٢) آل عمران/ ١٠٦

[حديث وهب عن الزبور]

وقال عبد المنعم بن ادريس، عن أبيه، عن وهب، قال في قصة داود، ومما أوحى الله اليه في الزبور: «يا داود انه سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمد، صادقاً سيداً، لا أغضب عليه ابداً ولا يغضبني أبداً، قد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأمته مرحومة، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة، كما افترضت على الأنبياء قبلهم وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء قبلهم، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم وامرتهم بالجهاد كما امرت الرسل قبلهم. يا داود اني فضلت محمداً وامته على الامم كلها: اعطيتهم ست خصال لم اعطها غيرهم من الامم، لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنب ارتكبوه على غير عمد اذا استغفروني منه غفرته لهم، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافاً مضاعفة أفضل من ذلك، ولهم في المذخور عندي أضعافٌ مضاعفة أفضل من ذلك، وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا واسترجعوا الصلاة والرحمة والهدى فان دعوني استجبت لهم، يا داود من لقيني من أمة محمد يشهد أن لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي صادقاً بها فهو معي في جنتي وكرامتي، ومن لقيني وقد كذب محمداً أو كذب بما جاء به واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صباً وضرَبَتِ الملائكةُ وجهَه ودبره عند منشره في قبره ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار».

[خبر الحجر الذي وجد في قبر دانيال]

وقال عفان: حدثنا همام عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفي، عن مطرف بن مالك: أنه قال شهدت فتح تستر مع الاشعري فأصبنا قبر دانيال بالسوين، وكانوا اذا اجدبوا خرجوا فاستسقوا به فوجدوا معه رقعة فطلبها نصراني من الحيرة يسمى

نعيما فقرأها وفي أسفلها (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[١٣] فأسلم منهم يومئذ اثنان وأربعون حبراً، وذلك في خلافة معاوية فأتحفهم معاوية وأعطاهم. قال همام فأخبرني بسطام بن مسلم أن معاوية بن قرة قال: تذاكرنا الكتاب الى ما صار فمر علينا شهرُ بنُ حوشب فدعوناه فقال على الخبير سقطتم: ان الكتاب كان عند كعب فلما احتضر قال ألا رجل أئتمنه على أمانة يؤديها؟ قال شهر: فقال ابن عم لي يكنى أبا لبيد: أنا، فدفع اليه الكتاب، فقال: إذا بلغت موضع كذا فاركب قرقوراً ثم أقذف به في البحر ففعل، فانفرج الماء فقذفه فيه ورجع الى كعب فأخبره فقال صدقت إنه من التوراة التي أنزلها الله عز وجل.

ومن ذلك «أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي» ونحن نذكر بعضها. قال الزبير ابن بكار: حدثني عمي مصعب، عن مصعب بن عثمان، قال: كان أمية قد نظر في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً، وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر والاوثان والتمس الدين، وطمع في النبوة لإنه قرأ في الكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون هو، فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم قيل له: هذا الذي كنت تبشر به وتقول فيه، فحسده عدو الله وقال أنا كنت أرجو ان أكون هو، فانزل الله عز وجل فيه: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)[١٤] وهو الذي يقول.

كل دين يوم القيامة عند الله الا دين الحنيفية زورُ

قال الزبير وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، قال: كان أمية بن أبي الصلت يلتمس الدين ويطمع في النبوة فخرج الى الشام فمر بكنيسة، وكان معه جماعة من العرب من قريش وغيرهم فقال أمية: ان لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني، فدخل الكنيسة ثم خرج اليهم كاسفاً متغيراً فرمى بنفسه، فاقاموا عليه حتى سرّي عنه، ثم مضوا فقضوا حوائجهم، ثم رجعوا فلما صاروا الى الكنيسة قال لهم

(١٣) آل عمران/ ٨٥

(١٤) سورة الأعراف/ ١٧٥

انتظروني ودخل الكنيسة فأبطأ ثم خرج أسوأ من حاله الأول، فقال له أبو سفيان بن حرب: قد شققت على رفقتك، فقال: خلوني فاني أرتاد لنفسي وأطلب لمعادي، وان ههنا راهباً عالماً أخبرني أنه سيكون بعد عيسى ست رجفات وقد مضت منها خمس وبقيت واحدة، فخرجت وأنا أطمع أن أكون نبياً وأخاف أن يخطئني فأصابني ما رأيت، فلما رجعت أتيته فقال قد كانت الرجفة وقد بعث نبي من العرب فأيست من النبوة فأصابني ما رأيت إذ فاتني ما كنت أطمع فيه. قال وقال الزهري خرج أمية في سفر فنزلوا منزلا فأمَّ أمية وجها وصعد في كثيب فرفعت له كنيسة فانتهى اليها فاذا شيخ جالس، فقال لأمية حين رآه إنك لمتبوع فمن أين يأتيك رئيك[١٥]؟ قال من شقي الأيسر، قال: فأي الثياب أحب اليه أن تلقاه فيها؟ قال السواد، قال: كدت تكون نبي العرب ولست به، هذا خاطر من الجن وليس بملك وان نبي العرب صاحب هذا الأمر يأتيه الملك من شقه الأيمن، وأحب الثياب اليه أن يلقاه فيها البياض، قال الزهري وأتى أمية أبا بكر فقال له يا أبا بكر عمِيَ الخبر، فهل أحسست شيئاً؟ قال: لا والله، قال قد وجدته يخرج في هذا العام. وقال عمر بن شبة: سمعت خالد بن يزيد يقول: ان أمية وأبا سفيان بن حرب صحباني في تجارة الى الشام، فذكر نحو الحديث الأول، وزاد فيه فخرج من عند الراهب وهو ثقيل، فقال له أبو سفيان: إن بك لشراً فما قضيتك؟ قال خير، أخبرني عن عتبة بن ربيعة كم سِنُّه؟ فذكر سنا، قال: اخبرني عن ماله، فذكر مالا، فقال له: وضعته، قال أبو سفيان بل رفعته، فقال إن صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مال قال وكان الراهب أيأسه وأخبره أن الأمر لرجل من قريش. قال الزبير: وحدثني عمر بن أبي بكر المؤملي، قال حدثني رجل من أهل الكوفة، قال: كان أمية نائمًا فجاءه طائران فوقع أحدهما على باب البيت ودخل الآخر فشق عن قلبه ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر أوعى؟ قال نعم، قال أزكى؟ قال أبىٰ. وقال الزهري: دخل يوماً أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تهنأ أدماها[١٦]، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت قالت فانشق

(١٥) يقال: فلان به رئيٌّ من الجن: أي مسّ. فقوله من أين يأتيك رئيك: أي من أي يمسّك قرينك من الجن؟

(١٦) يقال: هنأ الإبل: إذا طلاها بالهناء أي القطران. والأدمال: القروح. وهي الدُّمَّل، وتجمع على دماميل.

جانب من السقف في البيت واذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشق الواقع صدره فأخرج قلبه فشقه، فقال الطائر الآخر للذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى، قال: أقبل؟ قال: أبى، قال فرد قلبه في موضعه ثم مضى فاتبعهما أمية طرفه وقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما. لا بريء فأعتذر ولا ذو عشيرة فأنتصر، فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه حتى أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الأعلى للواقع: اوعى؟ قال: وعى، قال: اقبل؟ قال: أبى، ونهض فاتبعهما أمية بصره فقال: لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما، لا مال لي يغنيني ولا عشيرة تحميني، فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه ثم أخرج قلبه فشقه فقال الطائر الأعلى: أوعى؟ قال: وعى، قال: أقبل؟ قال: أبىٰ، ونهض فاتبعه أمية بصره، فقال لبيكما لبيكما ها انا ذا لديكما، محفوف بالنعم محوط بالذنب، قال فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه فاخرج قلبه فشقه، فقال الأعلى: أوعى؟ قال: وعى، قال: أقبل؟ قال أبىٰ قال ونهض فاتبعهما طرفه فقال: لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما.

إن تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك لا ألما

ثم انطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره، فقلت يا أخي! هل تجد شيئاً؟ قال: لا ولكني أجد حرا في صدري، ثم أنشأ يقول:

ليتني كنت قبل ما قد بدالي   في قلال الجبال أرعى الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذر   غولة الدهر إن للدهر غولا

وقال مروان بن الحكم، عن معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب، قال: خرجت أنا وامية بن أبي الصلت تجاراً الى الشام، فكان كلما نزلنا منزلا أخرج منه سِفْراً يقرؤه، فكنا كذلك حتى نزلنا بقرية من قرى النصارى فرأوه فعرفوه وأهدوا له، وذهب معهم الى بِيعتهم[17]، ثم رجع في وسط النهار فطرح نفسه واستخرج ثوبين أسودين فلبسهما، ثم قال: يا أبا سفيان: هل لك في عالم من علماء النصارى اليه تناهى علم الكتب تسأله عما بدالك؟ قلت: لا، فمضى هو وحده وجاءنا بعد

(١٧) البِيعة: كنيسة للنصارى، تجمع على بِيَع.

هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم انجدل على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى اصبح واصبح كئيباً حزيناً ما يكلمنا ولا نكلمه، فسرنا ليلتين على ما به من الهم: فقلت له: ما رأيت مثل الذي رجعت به من عند صاحبك، قال: لمنقلبي، قلت: وهل لك من منقلب؟ قال: إي والله لأموتن ولأحاسبن، قلت: فهل أنت قابل اماني؟ قال: على ماذا؟ قلت: على أنك لا تبعث ولا تحاسب، فضحك وقال: بلى والله لتبعثن ولتحاسبن، ولتدخلن فريق في الجنة وفريق في السعير، قلت: ففي أيها أنت أأخبرك صاحبك؟ قال لا علم لصاحبي بذلك فيّ ولا في نفسه، فكنا في ذلك ليلتنا يعجب منا ونضحك منه حتى قدمنا غوطة دمشق، فبعنا متاعنا وأقمنا شهرين ثم ارتحلنا حتى نزلنا قرية من قرى النصارى فلما رأوه جاؤوه وأهدوا له وذهب معهم الى بيعتهم، حتى جاءنا مع نصف النهار فلبس ثوبيه الأسودين وذهب حتى جاءنا بعد هدأة من الليل فطرح ثوبيه ثم رمى بنفسه على فراشه، فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح مبثوثاً[18] حزيناً لا يكلمنا ولا نكلمه، فرحلنا فسرنا ليالي، ثم قال: يا صخر حدثني عن عتبة بن ربيعة ايجتنب المحارم والمظالم؟ قلت: إي والله، قال: أو يصل الرحم ويأمر بصلتها؟ قلت نعم، قال: فكريم الطرفين وسيط في العشيرة؟ قلت نعم، قال: فهل تعلم قرشياً أشرف منه؟ قلت لا والله، قال: أمحوج هو؟ قلت لا بل هو ذو مال كثير، قال كم أتى له من السنين؟ قلت هو ابن سبعين أو قد قاربها، قال: فالسن والشرف أزريا به، قلت والله بل زاده خيراً، قال هو ذاك، ثم ان الذي رأيت بي أني جئت هذا العالم فسألته عن هذا الذي يُنتظر، فقال رجل من العرب من أهل بيت تحجه العرب، فقلت: فينا بيت تحجه العرب، قال هو من إخوانكم وجيرانكم من قريش، فأصابني شيء ما أصابني مثله إذ خرج من يديّ فوز الدنيا والآخرة وكنت أرجو أن أكون أنا هو، فقلت: فصفه لي؟ فقال: رجل شاب حين دخل في الكهولة، بدؤ أمره أنه يجتنب المحارم والمظالم، ويصل الرحم ويأمر بصلتها، وهو كريم الطرفين، متوسط في العشيرة، أكثر جنده من الملائكة، قلت: وما آية ذلك؟ قال: رجفت الشام منذ هلك عيسى بن مريم عدة رجفات كلها فيها مصيبة، وبقيت رجفة

---

(١٨) البثّ: الحال والحزن.

عامة فيها مصيبة، يخرج على أثرها،فقلت هذا هو الباطل، لئن بعث الله رسولا لا يأخذه إلا مُسِنّاً شريفاً، قال أمية: والذي يحلف به إنه لهكذا، فخرجنا حتى اذا كان بيننا وبين مكة ليلتان أدركنا راكباً من خلفنا فاذا هو يقول أصابت الشام من بعدكم رجفة دثر أهلها فيها فأصابتهم مصائب عظيمة، فقال أمية كيف ترى يا أبا سفيان؟ فقلت: والله ما أظن صاحبك إلا صادقاً، وقدمنا مكة ثم انطلقت حتى اتيت ارض الحبشة تاجراً وكنت فيها خمسة اشهر ثم قدمت مكة فجاءني الناس يسلمون عليّ وفي آخرهم محمد وهند تلاعب صبيانها، فسلم عليّ ورحب بي، وسألني عن سفري ومقدمي، ثم انطلق فقلت والله ان هذا الفتى لعجب ما جاءني من قريش أحد له معي بضاعة إلا سألني عنها وما بلغت، والله ان له معي لبضاعة ما هو بأغناهم عنها ثم ما سألني عنها فقالت: أو ما علمت بشأنه؟ فقلت ـ وفزعت ـ وما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله فذكرت قول النصراني فوجمت، ثم قدمت الطائف فنزلت على أمية فقلت: هل تذكر حديث النصراني؟ قال نعم، فقلت قد كان، قال ومن؟ قلت محمد بن عبد الله، فتصبب عرقاً: فقلت: قد كان من أمر الرجل ما كان فأين أنت منه؟ فقال: والله لا أؤمن بنبي من غير ثقيف أبداً. فهذا حديث أبي سفيان عن أمية، وذلك حديثه عن هرقل وهو في صحيح البخاري، وكلاهما من أعلام النبوة المأخوذة عن علماء أهل الكتاب.

وذكر الترمذي وغيره من حديث عبد الرحمن بن غزوان وهو ثقة: أخبرنا يونس ابن أبي اسحاق، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه، قال: خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب حطوا عن رحالهم، فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى اذا جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدون إلا لنبي، واني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفيه مثل التفاحة، ثم رجع

فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعية الابل قال أرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظلمه، فلما دنى من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه، قال فبينا هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه واذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم، وقال ما جاء بكم؟ قالوا: بلغنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس، وانا قد خبرنا خبره فبعثنا الى طريقك هذا فقال: لعل خلفكم احد هو خير منكم: قالوا انا قد اخبرنا خبره بطريقك هذا، قال أفرأيتم أمرًا أراد الله أن يقضيه فهل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا، قال فبايعوه وأقاموا معه، قال: انشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا ابو طالب، فلم يزل يناشدهم حتى رده، وقد روى محمد بن سعد هذه القصة مطولة. قال ابن سعد حدثنا محمد بن عمر بن واقد، حدثنا محمد بن صالح وعبد الله بن جعفر الزبيري، قال محمد بن عمر وحدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين، قال لما خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرة الأولى وهو ابن ثنتي عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا على بحيرا وكانوا كثيراً ما يمرون به ولا يكلمهم حتى اذا كان ذلك العام ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم، وانما حمله على دعائهم انه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله صلى الله عليه وسلم من دونهم حتى نزلوا تحت الشجرة، ثم نظر الى تلك الغمامة اظلت تلك الشجرة فأخضلت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما راى بحيرا ذلك نزل من صومعته وامر بذلك الطعام فأتي به وارسل اليهم، وقال إني صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش وانا احب ان تحضروه كلكم، ولا تخلّفوا احداً منكم كبيراً ولا صغيراً حراً ولا عبداً فان هذا شيء تكرموني به، فقال رجل إن لك لشأناً يا بحيرا ما كنت تصنع هذا فما شأنك اليوم؟ قال إني احب ان اكرمكم ولكم حق، فاجتمع القوم اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه

وسلم من بين القوم لحداثة سنة في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا الى القوم فلم ير الصفة التي يعرفها ويجدها عنده وجعل ينظر فلا يرى الغمامة على أحد من القوم ويراها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بحيرا يا معشر قريش لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي؟ قالوا ما تخلف احد الا غلام هو أحدث القوم سناً في رحالهم، فقال ادعوه ليحضر طعامي فما اقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني اراه من أنفسكم، فقال القوم هو الله اوسطنا نسباً وهو ابن اخي هذا الرجل يعنون ابا طالب، وهو من ولد عبد المطلب، فقال الحارث بن عبد المطلب: والله إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا، ثم قام اليه فاحتضنه واقبل به حتى اجلسه على الطعام والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده في صفته، فلما تفرقوا عن الطعام قام اليه الراهب فقال: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتني عما أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسألني باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيئاً بغضهما، قال: فبالله الا اخبرتني عما أسألك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم، وقالت قريش: ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا، وجعل ابو طالب لما يرى من الراهب يخاف على ابن اخيه، فقال الراهب لأبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: هو ابني، قال ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فابن أخي، قال فما فعل ابوه؟ قال هلك وامه حبلى به، قال فما فعلت أمه؟ قال: توفيت قريباً، قال: صدقت ارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن عرفوا منه ما اعرف ليبغنه عنتاً[١٩] فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم نجده في كتابنا، واعلم أني قد أديت اليك النصيحة، فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوا صفته فارادوا أن يغتالوه فذهبوا الى بحيرا فذكروا له أمره فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: أتجدون صفته؟ قالوا: نعم،

(١٩) العنت: الوقوع في أمر شاق. يريد: إذا عرفت اليهود شأنه أرادت به شراً.

قال فمالكم اليه سبيل. فصدقوه وتركوه، ورجع أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفا عليه.

[خبر عن هرقل أيضاً]

وذكر الحاكم والبيهقي وغيرهما من حديث عبد الله بن ادريس، عن شر حبيل ابن مسلم، عن أبي أمامة، عن هشام بن العاص، قال ذهبت أنا ورجل آخر من قريش الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام، فخرجنا حتى قدمنا غوطة دمشق، فنزلنا على جبلة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه فاذا هو على سرير له، فأرسل الينا برسول نكلمه، فقلنا لا والله لا نكلم رسولا، إنا بعثنا الى الملك فان أذن لنا كلمناه والا لم نكلم الرسول، فرجع اليه الرسول فأخبره بذلك، قال فأذن لنا، فقال: تكلموا، فكلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام واذا عليه ثياب سوداء فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام، قلنا ومجلسك هذا فوالله لنأخذنه منك، ولنأخذن ملك الملك الأعظم أخبرنا بذلك نبينا، فقال لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويفطرون بالليل، فكيف صومكم؟ فأخبرناه فملىء وجهه سوادا، فقال قوموا، وبعث معنا رسولا الى الملك فخرجنا حتى اذا كنا قريبا من المدينة قال لنا الذي معنا: إن دوابكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين[20] وبغال، قلنا والله لا ندخل الا عليها، فارسلوا الى الملك أنهم يأبون، فدخلنا على رواحلنا متقلدين سيوفنا حتى انتهينا الى غرفة له فانخنافي أصلها وهو ينظر الينا، فقلنا لا اله الا الله والله أكبر، والله يعلم لقد انتفضت الغرفة حتى صارت كأنها عذق تصفقه الرياح، فارسل الينا ليس لكم ان تجهروا علينا بدينكم، وأرسل الينا أن ادخلوا، فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقته من الروم وكل شيء في مجلسه احمر وما حوله حمرة وعليه ثياب من الحمرة، فدنونا منه فضحك، وقال: ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم؟! واذا رجل فصيح بالعربية كثير الكلام، فقلنا ان تحيتنا فيما بيننا

---

(٢٠) البرذَوْن: مؤنثه برذونة ويجمع على براذين: دابة الحمل الثقيله، وهو بين الحمار والبغل.

لا تحل لك وتحيتك التي تحيّا بها لا يحل لنا ان نحييك بها، قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ فقلنا السلام عليكم، قال: كيف تحيون ملككم؟ قلنا بها، قال: كيف يرد عليكم؟ قلنا بها، قال فما أعظم كلامكم؟ قلنا لا إله إلا الله والله أكبر. فلما تكلمنا بها- والله يعلم- لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه اليها، قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة، كلما قلتموها في بيوتكم تنتفض عليكم بيوتكم، قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك، قال، وددت أنكم كلما قلتموها ينتفض كل شيء عليكم واني خرجت من نصف ملكي، قلنا لم؟ قال: لأنه يكون أيسر لشأنها واجدر ان لا تكون من أمر النبوة وان تكون من حيل الناس، ثم سألنا عما أراد فاخبرناه، ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فاخبرناه، فقال: قوموا. فقمنا فأمر لنا بمنزل حسن ونزل كثير، فأقمنا ثلاثاً، فأرسل الينا ليلاً فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا فأعدناه، ثم دعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح بيتاً وقفلا واستخرج منه حريرة سوداء فنشرها، فاذا فيها صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الإليتين لم أر مثل طول عنقه واذا ليست له لحية واذا له ظفيرتان[٢١] أحسن ما خلق الله، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا آدم عليه السلام، واذا هو أكثر الناس شعراً، ثم فتح باباً آخر واستخرج منه حريرة سوداء، واذا فيها صورة بيضاء، واذا له شعر قطط[٢٢] أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا نوح عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها صورة رجل شديد البياض حسن العينين صلت الجبين[٢٣] طويل الخد أبيض اللحية كأنه يتبسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال هذا ابراهيم عليه السلام، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة فاذا صورة بيضاء واذا والله رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أتعرفون هذا؟ قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا، قال والله يعلم انه قام قائما ثم جلس فقال والله انه لهو؟ قلنا

---

(٢١) الظفَرة- بفتحتين- : الجُلَيْدة التي تغشيّ العين. ولعل المراد: ضفيرتان، بالضاد لا بالظاء كما ورد في النسخ التي بأيدينا والضفيرة: العقيقة، وهي الشعر الذي يكون على المولود حين ولادته.

(٢٢) شعر قطط: أي جعد شديد الجعودة.

(٢٣) أي مشرق الجبين، أو عريض الجبهة.

نعم انه لهو كأنما ننظر اليه، فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما انه كان آخر البيوت ولكن عجلته لكم لأنظر ما عندكم، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فاذا فيها صورة أدماء سمحاء واذا رجل جعد قطط غائر العينين حديد النظر عابس متراكب الاسنان مقلص الشفة كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون من هذا؟ قلنا لا. قال هذا موسى بن عمران، وإلى جنبه صورة تشبهه إلا انه مدهان[٢٤] الرأس عريض الجبين في عينيه قبل[٢٥]، فقال هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا هارون، ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل آدم سبط ربعة[٢٦] كانه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال هذا لوط، ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فاذا فيها صورة رجل أبيض مشرب حمرة اقنى[٢٧] خفيف العارضين[٢٨] حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال هذا اسحاق ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل تشبه اسحاق الا انه على شفته السفلى خال فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا يعقوب، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة رجل ابيض حسن الوجه اقنى الانف حسن القامة يعلو وجهه نوره، يعرف في وجهه الخشوع يضرب الى الحمرة فقال: هل تعرفون هذا قلنا لا، قال هذا اسماعيل جد نبيكم ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء. فيها صورة كانها صورة آدم كأن وجهه الشمس، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا يوسف، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل احمر خشن الساقين اخفش العينين[٢٩] ضخم البطن ربعة متقلد سيفا، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا داود، ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة بيضاء فيها صورة رجل ضخم الإليتين، طويل الرجلين، راكب

---

(٢٤) يقال: دهن الرأس: إذا طلاه بزيت أو طيب أو نحوهما.

(٢٥) القَبَل في العين: إقبال سوادها على الأنف. وفي العينين: إقبال نظر كل منهما على الأخرى.

(٢٦) الآدم: الأسمر. وسبط: أي جعد الشعر. والربعة: الوسيط القامة.

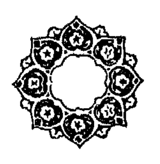
(٢٧) الاقنى من الأنوف: ما ارتفع وسط قصبته وضاق منخره.

(٢٨) العارض: صفحة الخد.

(٢٩) الخَفَش - بفتحتين - : صغر العين، والضعف في البصر خِلقةً يقال له خفش أيضاً.

فرسا، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال هذا سلبمان بن داود، ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء واذا رجل شاب شديد سواد اللحية لين الشعر حسن الوجه حسن العينين، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا لا، قال: هذا عيسى قلنا من اين لك هذه الصور لانا نعلم انها على ما صورت عليه الانبياء لانا رأينا صورة نبينا مثله؟ قال ان آدم سأل ربه أن يريه الأنبياء من ولده فانزل عليه صورهم، وكانوا في خزانة آدم عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين فصارت الى دانيال، ثم قال أما والله ان نفسي طابت بالخروج من ملكي واني كنت عبدا لاشدكم ملكة حتى أموت. ثم أجازنا وأحسن جائزتنا وسرحنا، فلما أتينا أبا بكر الصديق فاخبرناه بما رأينا وما قال لنا وما أجازنا فبكى أبو بكر، وقال لو أراد الله به خيراً لفعل.

فهذا في الاخبار بنبوته مما تلقاه المسلمون من أفواه علماء أهل الكتاب والمؤمنين منهم، والأول فيها نقلوه من كتبهم، وعلمائهم يقرون أنه في كتبهم. فالدليل بالوجه الأول يقام عليهم من كتبهم، وبهذا الوجه يقام بشهادة من لا يتهم عليهم لأنه اما من عظمائهم، واما ممن رغب عن رياسته وماله ووجاهته فيهم وآثر الايمان على الكفر والهدى على الضلال، وهو في هذا مدع ان علماءهم يعرفون ذلك ويقرون به ولكن لا يطلعون جهالهم عليه.



الفصل السابع
[الطرق الأربعة الدالة على صحة البشارة به]
[دفع اليهود والنصارى لها استكبارا]

فالاخبار والبشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق (أحدها) ما ذكرناه، وهو قليل من كثير وغيض من فيض. (الثاني) إخباره صلى الله عليه وسلم لهم أنه مذكور عندهم وأنهم وعدوا به وان الأنبياء بشرت به، واحتجاجه عليهم بذلك، ولو كان هذا الامر لا وجود له البته لكان مغريا لهم بتكذيبه منفرا لاتباعه محتجا على دعواه بما يشهد ببطلانها. (الثالث) أن هاتين الأمتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان نعته كيت وكيت، وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى. فاما «المسلمون» فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه وعرفوا أنه الحق من ربهم. وأما «اليهود» فعلماؤهم عرفوه وتيقنوا انه محمد بن عبد الله فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته وقالوا لأتباعه انه لم يخرج بعد. وأما «النصارى» فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح، ولا ريب ان بعضها صريح فيه وبعضها ممتنع حمله عليه وبعضها محتمل، وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين، واذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه أو سكتوا عنه وقالوا لا ندري من المراد به (الرابع) اعتراف من أسلم منهم بذلك وانه صريح في كتبهم، وعن المسلمين الصادقين منه تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم بها مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وانما يغالطون في تأويلها والمراد بها؟! وكل واحد من هذه «الطرق الاربعة» كاف في العلم بصحة هذه البشارات، وقد قدمنا أن إقدامه صلى الله عليه وسلم على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتبهم بنعته وصفته وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وتكراره ذلك عليهم مرة بعد

مرة في كل مجمع وتعريفهم بذلك وتوبيخهم والنداء عليهم به من أقوى الأدلة القطعية على وجوده من وجهين «أحدهما» قيام الدليل القطعي على صدقه «الثاني» دعوته لهم بذلك الى تصديقه ولو لم يكن له وجود لكان ذلك من أعظم دواعي تكذيبه والتنفير عنه.

[وقوع التحريف في التوراة، وفريتهم على الانبياء]

[سبعون كاهنا اجمعت على تبديل (١٣) حرفا من التوراة]

وهذه الطرق يسلكها من يساعدهم على أنهم لم يحرفوا ألفاظ التوراة والانجيل ولم يبدلوا شيئاً منها فيسلكها بعض نظار المسلمين معهم من غير تعرض الى التبديل والتحريف. وطائفة أخرى تزعم أنهم بدلوا وحرفوا كثيراً من ألفاظ الكتابين، مع أن الغرض الحامل لهم على ذلك دون الغرض الحامل لهم على تبديل البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم بكثير، وان البشارات لكثرتها لم يمكنهم إخفاؤها كلها وتبديلها، ففضحهم ما عجزوا عن كتمانه أو تبديله. وكيف ينكر من الأمة الغضبية قتلة الأنبياء الذين رموهم بالعظائم أن يكتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته والبشارة به موجود في كتبهم، ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته وإنكار بشارة الأنبياء به، ولم يفعل بهم ما فعله بهم محمد صلى الله عليه وسلم من القتل والسبي وغنيمة الأموال وتخريب الديار وإجلائهم منها، فكيف لا تتواصى هذه الأمة بكتمان نعته وصفته وتبدله من كتبها؟! وقد عاب الله سبحانه عليهم ذلك في غير موضع من كتابه ولعنهم عليه. ومن العجب أنهم والنصارى يقرون أن التوراة كانت طول مملكة بني اسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، واليهود تقر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم حيث زال الملك عنهم ولم يبق لهم ملك يخافونه ويأخذ على أيديهم. ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره، واليهود تُقرّ أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهراً وزادوا ونقصوا،

والسامرة تدعي ذلك عليهم. وأما «الانجيل» فقد تقدم ان الذي بأيدي النصارى منه أربع كتب مختلفة من تأليف أربعة رجال: يوحنا، ومتى، ومرقس، ولوقا فكيف ينكر تطرق التبديل والتحريف اليها؛ وعلى ما فيها من ذلك فقد صرفهم الله عن تبديل ما ذكرنا من البشارات بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وازالته وان قدروا على كتمانه عن اتباعهم وجهالهم.

وفي «التوراة» التي بأيديهم من التحريف والتبديل وما لا يجوز نسبته الى الأنبياء ما لا يشك فيه ذو بصيرة، والتوراة التي أنزلها الله على موسى بريئة من ذلك؛ ففيها عن لوط رسول الله أنه خرج من المدينة وسكن في كهف الجبل، ومعه ابنتاه، فقالت الصغرى للكبرى قد شاخ أبونا فارقدى بنا معه لنأخذ منه نسلا، فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى، ثم فعلتا ذلك في الليلة الثانية وحملتا منه بولدين مواب وعمون، فهل يحسن أن يكون نبي رسول كريم على الله يوقعه الله سبحانه في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره، ثم يذيعها عنه ويحكيها للامم؟! وفيها «ان الله تجلى لموسى في طور سيناء وقال له بعد كلام كثير أدخل يـدك في حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج» وهذا من النمط الأول. والله سبحانه لم يتجل لموسى وإنما أمره أن يدخل يده في جيبه وأخبره أنها تخرج بيضاء من غير سوء أي من غير برص. وفيها أن هارون هو الذي صاغ لهم العجل، وهذا ان لم يكن من زياداتهم وافترائهم فهرون اسم السامري الذي صاغه ليس هو بهرون أخي موسى. وفيها أن الله قال لابراهيم: «اذبح إبنك بكرك اسحاق» وهذا من بهتهم وزيادتهم في كلام الله، فقد جمعوا بين النقيضين؛ فان بكره هو اسمعيل فانه بكر أولاده، واسحق إنما بشر به على الكبر بعد قصة الذبح وفيها: «ورأى الله ان قد كثر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم، وقال سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والخشاش[1] وطيور السماء لاني نادم على خلقها جداً» تعالى الله عن إفك المفترين وعما يقول الظالمون علواً كبيرا وفيها «أن الله سبحانه وتعالى علواً كبيرا تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض» وفيها «ان يهوذا بن يعقوب النبي زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها تامار، فكان يأتيها مستدبراً

(١) الخِشاش | ـ بالكسر وقد يفتح ـ : الحشرات.

فغضب الله من فعله فأماته، فزوج يهوذا ولده الآخر بها فكان اذا دخل بها أمنى على الأرض علمًا بانه إن أولدها كان أول الاولاد مدعواً باسم أخيه ومنسوباً الى أخيه، فكره الله ذلك من فعله فأماته، فأمرها يهوذا باللحاق ببيت أبيها الى أن يكبر ولده شيلا ويتم عقله، ثم ماتت زوجة يهوذا وذهب الى منزله ليجز غنمه، فلما أخبرت تامار لبست زي الزواني وجلست على طريقه، فلما مر بها خالها زانية فراودها فطالبته بالأجرة فوعدها بجدي، ورمى عندها عصاه وخاتمه فدخل بها فعلقت منه بولد ومن هذا الولد داود النبي» فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك الى التوراة، وكما جعلوا ولدي لوط ولدي زنا، ثم نسبوا داود وغيره من أنبيائهم الى ذينك الولدين.

وأما فريتهم[٢] على الله ورسله وأنبيائه ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جداً، كقولهم ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات والأرض، فأنزل الله عز وجل على رسوله تكذيبهم بقوله (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب)[٣] وقولهم: (ان الله فقير ونحن أغنياء)[٤] وقولهم: (يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان)[٥] وقولهم: (ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار)[٦] وقولهم: (لن تمسنا النار الا أياماً معدودة)[٧] وقولهم: ان الله تعالى بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة، وقولهم الذي حكيناه آنفا: «ان الله ندم على خلق بني آدم» وأدخلوا هذه الفرية في التوراة، وقولهم عن لوط: انه وطىء ابنتيه وأولدهما ولدين نسبوا اليهما جماعة من الأنبياء، وقولهم في بعض دعاء صلواتهم: انتبه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك. فتجرؤا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم ينخونه

---

(٢) الفرية: أعظم الكذب.
(٣) سورة ق/ ٣٨
(٤) آل عمران/ ١٨١
(٥) المائدة/ ٦٤
(٦) آل عمران/ ١٨٣
(٧) سورة البقرة/ ٨٠

بذلك لينتخي لهم ويحتمي، كأنهم يخبرونه انه قد اختار الخمول لنفسه وأحبابه فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت، قال بعض أكابرهم بعد إسلامه: فترى أحدهم اذا تلى هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده، ولا يشك أن كلامه يقع عند الله بموقع عظيم، وانه يؤثر في ربه ويحركه ويهزه وينخيه، وعندهم في توراتهم: «ان موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة وتحت رجليه كرسي منظره كمنظر البلور» وهذا من كذبهم وافترائهم على الله وعلى التوراة، وعندهم في توراتهم «ان الله سبحانه لما رأى فساد قوم نوح وان شرهم قد عظم ندم على خلق البشر في الأرض وشق عليه» وعندهم في توراتهم أيضاً «ان الله ندم على تمليكه شاؤل على اسرائيل» وعندهم فيها «ان نوحاً لما خرج من السفينة بنى بيتاً مذبحاً وقرب عليه قرابين، واستنشق الله رائحة القتار[8]، فقال في ذاته لن أعاود لعنة الأرض بسبب الناس لأن خاطر البشر مطبوع على الرداءة، ولن أهلك جميع الحيوان كما صنعت»

[سبب تبديل التوراة]

قال بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله الى الاسلام: لسنا نرى أن هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى، ولا نقول أيضاً أن اليهود قصدوا تغييرها وإفسادها؛ بل الحق أولى ما اتبع، قال: ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل التوراة، فان علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم انها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة لأن موسى صان التوراة عن بني اسرائيل ولم يبثها فيهم خوفاً من اختلافهم من بعده في تأويل التوراة المؤدي الى انقسامهم أحزاباً، وإنما سلمها الى عشيرته أولاد لاوى، قال: ودليل ذلك قول التوراة ما هذه ترجمته: «وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى أئمة بني لاوى، وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم، لأن الامامة وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم، ولم يبد موسى لبني اسرائيل من التوراة إلا نصف سورة، وقال الله لموسى عن هذه السورة: «وتكون لي هذه السورة شاهدة على

---

(٨) القتار: الغبار، يريد رائحة الارض.

بني اسرائيل ولا تنسى هذه السورة من أفواه أولادهم» وأما بقية التوراة فدفعها الى أولاد هرون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم، فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد، وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة، فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيم عزير غاية المبالغة، وقالوا فيه ما حكاه الله عنهم في كتابه، وزعموا ان النور على الارض الى الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم، فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزير وان كان فيها أو أكثرها من التوراة التي أنزلها الله على موسى، قال وهذا يدل على ان الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وما ينبغي له وما لا يجوز عليه، فلذلك نسب الى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه، وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بعازر الوراق، ويظن بعض الناس انه (الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه)[9] ويقول انه نبي ولا دليل على هاتين المقدمتين، ويجب التثبت في ذلك نفياً واثباتاً، فان كان هذا نبيا واسمه عزير فقد وافق صاحب التوراة في الاسم.

«وبالجملة» فنحن وكل عاقل نقطع ببراءة التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى من هذه الاكاذيب والمستحيلات والترهات، كما نقطع ببراءة صلاة موسى وبني اسرائيل معه من هذا الذي يقولونه في صلاتهم اليوم، فانهم في العشر الأول من المحرم في كل سنة يقولون في صلاتهم ما ترجمته: «يا أبانا إملك على جميع اهل الارض ليقول كل ذي نسمة الله إله اسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة» ويقولون فيها أيضاً «وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً واسمه

(٩) سورة البقرة/ ٢٥٩

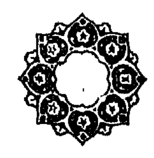
واحد» ويعنون بذلك انه لا يظهر كون الملك له وكونه واحداً الا إذا صارت الدولة لهم، فاما ما دامت الدولة لغيرهم فانه تعالى خامل الذكر عند الأمم، مشكوك في وحدانيته، مطعون في ملكه ومعلوم قطعاً أن موسى ورب موسى بريء من هذه الصلاة براءته من تلك الترهات.

[اليهود كذبوا مسيح الهدى، وينتظرون مسيح الضلال]
[المسيح وأصحابه يقتلونهم شر قتلة]

(فصل) وجحدهم نبوة محمد من الكتب التي بأيديهم نظير «جحدهم نبوة المسيح» وقد صرحت باسمه، ففي نص التوراة «لا يزول الملك من آل يهوذا، والراسم من بين ظهرانيهم الى أن يأتي المسيح» وكانوا أصحاب دولة حتى ظهر المسيح فكذبوه ورموه بالعظائم وبهتوا أمه فدمر الله عليهم وأزال ملكهم، وكذلك قوله «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» فأي نبوة أشرقت من ساعير غير نبوة المسيح، وهم لا ينكرون ذلك، ويزعمون ان قائماً يقوم فيهم من ولد داود النبي اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى الا اليهود، وهذا «المنتظر» بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به، قالوا ومن علامة مجيئه أن الذئب والتيس يربضان معاً، وان البقرة والذئب يرعيان معاً، وان الاسد يأكل التبن كالبقر، فلما بعث الله المسيح كفروا به عند مبعثه، وأقاموا ينتظرون متى يأكل الاسد التبن حتى تصح لهم علامة مبعث المسيح، ويعتقدون أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعهم باسرهم الى القدس، وتصير لهم الدولة، ويخلو العالم من غيرهم، ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة، وقد عوضوا من الايمان بالمسيح بن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال، فانه هو الذي ينتظرونه حقاً، وهم عسكره وأتبع الناس له، ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة الى ان ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتَظَرهم، ويضع هو واصحابه فيهم السيوف حتى يختبيء اليهودي وراء الحجر والشجر فيقولان يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، فاذا نظف الارض منهم ومن عباد الصليب فحينئذ يرعى الذئب والكبش معا، ويربضان معا، وترعى البقرة والذئب معا،

ويأكل الأسد التبن، ويلقى الامن في الارض، هكذا أخبر به شعيا في نبوته وطابق خبره ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح في خروج الدجال وقتل المسيح بن مريم له، وخروج يأجوج ومأجوج في أثره ومحقهم من الارض، وإرسال البركة والأمن في الارض حتى ترعى الشاة والذئب، وحتى ان الحيات والسباع لا تضر الناس فصلوات الله وسلامه على من جاء بالهدى والنور وتفصيل كل شيء وبيانه، فأهل الكتاب عندهم عن انبيائهم حق كثير لا يعرفونه ولا يحسنون أن يضعوه مواضعه، ولقد أكمل الله سبحانه بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ما أنزله على الأنبياء عليهم السلام من الحق وبينه وأظهره لأمته، وفصل على لسانه ما أجمله لهم وشرح ما رمزوا اليه، فجاء بالحق وصدق المرسلين، وتمت به نعمة الله على عباده المؤمنين، فالمسلمون واليهود والنصارى تنتظر مسيحاً يجيء في آخر الزمان، فمسيح اليهود هو الدجال، ومسيح النصارى لا حقيقة له، فانه عندهم إله وابن إله وخالق ومميت ومحيي، فمسيحهم الذي ينتظرونه هو المصلوب المسمر المكلل بالشوك بين اللصوص، المصفوع الذي هو مصفعة اليهود، وهو عندهم رب العالمين وخالق السموات والأرضين، ومسيح المسلمين الذي ينتظرونه هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول عيسى بن مريم، أخو عبد الله ورسوله محمد ابن عبد الله، فيظهر دين الله وتوحيده، ويقتل أعداءه عباد الصليب الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله، وأعداءه اليهود الذين رموه وأمه بالعظائم فهذا هو الذي ينتظره المسلمون، وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق، واضعاً يديه على منكبي ملكين، يراه الناس عياناً بأبصارهم نازلا من السماء، فيحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحي ما أماتوه، وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما ابراهيم وملة سائر الانبياء، وهي الاسلام الذي من يبتغ غيره ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. وقد حمّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدركه من أمته السلام، وأمره أن يقرئه إياه منه، فأخبر عن موضع نزوله بأي بلد وبأي مكان منه، وبحاله وقت نزوله، وملبسه الذي كان عليه، وأنه «ممصرتان» أي ثوبان، وأخبر بما يفعل عند نزوله مفصلا حتى

كأن المسلمين يشاهدونه عياناً قبل أن يروه، وهذا من جملة الغيوب التي اخبر بها فوقعت مطابقة لخبره حذو القذة بالقذة، فهذا منتظر المسلمين لا منتظر المغضوب عليهم والضالين، ولا منتظر اخوانهم من الروافض المارقين، وسوف يعلم المغضوب عليهم اذا جاء منتظر المسلمين انه ليس بابن يوسف النجار، ولا هو ولد زينة، ولا كان طبيباً حاذقاً ماهراً في صناعته استولى على العقول بصناعته، ولا كان ساحراً مخرقا، ولا مكنوا من صلبه وتسميره وصفعه وقتله؛ بل كانوا أهون على الله من ذلك. ويعلم الضالون انه ابن البشر، وانه عبد الله ورسوله ليس بآله ولا ابن آله، وانه بشر بنبوة محمد اخيه اولاً وحكم بشريعته ودينه آخراً، وانه عدو المغضوب عليهم والضالين، وولي رسول الله واتباعه المؤمنين، وما كان أولياؤه الأرجاس الانجاس عبدة الصلبان والصور المدهونة في الحيطان، إن اولياؤه إلا الموحدون عباد الرحمن اهل الاسلام والايمان، الذين نزهوه وامه عما رماهما به اعداؤهما اليهود، ونزهوا ربه وخالقه ومالكه وسيده عما رماه به أهل الشرك والسب للواحد المعبود.



الفصل الثامن

فلنرجع الى الجواب على طريق من يقول: «إنهم غيروا الفاظ الكتب وزادوا ونقصوا» كما اجبنا على طريق من يقول: «انما غيروا معانيها وتأولوها على غير تأويلها» قال هؤلاء: نحن لا ندعي ولا طائفة من المسلمين ان الفاظ كل نسخة في العالم غيرت وبدلت؛ بل من المسلمين من يقول انه غير بعض الفاظها قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغيرت بعض النسخ بعد مبعثه، ولا يقولون انه غيرت كل نسخة في العالم بعد المبعث؛ بل غير البعض وظهر عند كثير من الناس تلك النسخ المغيرة المبدلة دون التي لم تبدل، والنسخ التي لم تبدل موجودة في العالم ومعلوم أن هذا مما لا يمكن نفيه والجزم بعدم وقوعه؛ فانه لا يمكن احدا ان يعلم ان كل نسخة في العالم على لفظ واحد بسائر الألسنة، ومن الذي احاط بذلك علمًا وعقلاً؟! أهل الكتاب يعلمون أن أحداً لا يمكنه ذلك. وأما من قال من المسلمين: أن التغيير وقع في أول الامر فانهم قالوا انه وقع اولاً من عازر الوراق، في «التوراة» في بعض الأمور إما عمداً وإما خطأ، فانه لم يقم دليل على عصمته ولا ان تلك الفصول التي جمعها من التوراة بعد احتراقها هي عين التوراة التي انزلت على موسى، وقد ذكرنا ان فيها ما لا يجوز نسبته إلى الله وأنه أنزله على رسوله وكليمه، وتركنا كثيراً لم نذكره.

[المناقضات في الانجيل]

وأما «الانجيل» فهي أربعة اناجيل اخذت عن اربعة نفر، اثنان منهم لم يريا المسيح اصلا، واثنان رأياه واجتمعا به وهما متى ويوحنا، وكل منهم يزيد وينقص ويخالف انجيله، انجيل اصحابه في اشياء، وفيها ذكر القول ونقيضه كما فيه انه قال «ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة؛ ولكن غيري يشهد لي» وقال في موضع

آخر «ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي حق لاني أعلم من اين جئت وإلى اين اذهب» وفيه انه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال: «قد جزعت نفسي الآن فماذا اقول؟! يا ابتاه سلمني من هذا الوقت، وانه لما رفع على خشبة الصلب صاح صياحا عظيما وقال: يا إلهي! لم اسلمتني؟!» فكيف يجتمع هذا مع قولكم: إنه هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا، واخرج بذلك آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي اختاره ورضيه؟! وكيف يشتد صياحه ويقول: «يا إلهي لم اسلمتني» وهو الذي أسلم نفسه؟! وكيف لم يخلصه ابوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب واهله ام كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود، وفيه ايضاً «ان اليهود سألته ان يظهر لهم برهاناً انه المسيح، فقال: تهدمون هذا البيت- يعني بيت المقدس- وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالوا له بيت مبني في خمس وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام» ثم ذكرتم في الانجيل أيضاً «انه لما ظفرت به اليهود وحمل الى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بينة أن شاهدي زور جاءا اليه وقالا سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام» فيالله العجب كيف يدعي ان تلك المعجزة والقدرة له ويدعي أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور؟!! وفيه أيضاً للوقا «ان المسيح قال لرجلين من تلامذته: إذهبا الى الحصن الذي يقابلكما، فاذا دخلتماه فستجدان فلواً[1] مربوطاً لم يركبه أحد فحُلّاه واقبلا به الي» وقال في انجيل متى في هذه القصة «انهاكانت حمارة متبعة» وفيه انه قال: «لا تحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض، لم آت لصلاحهم، لكن لألقي المحاربة بينهم؛ انما قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنت وأمها حتى يصير أعداء المرء أهل بيته» ثم فيه أيضاً: «انما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس» وانه قال « من لطم خدك اليمين فانصب له الآخر». وفيه أيضاً انه قال: «طوبا لك يا شمعون رأس الجماعة، وأنا أقول انك ابن الحجر وعلى هذا الحجر تبني بيعتي، فكلما أحللته على الارض يكون محللا في

(١) الفِلْوُ: الجحش والمهر فطِما أو بلغا السنة. يجمع على أفلاء وفِلاء.

السماء، وما عقدته على الارض يكون معقوداً في السماء» ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول له: «اذهب يا شيطان ولا تعارض فانك جاهل» فكيف يكون شيطان جاهل مطاع في السموات؟ وفي الانجيل نص «انه لم تلد النساء مثل يحي» هذا في انجيل متى، وفي انجيل يوحنا؟! «ان اليهود بعثت الى يحي من يكشف عن أمره، فسألوه من هو أهو المسيح؟ قال: لا، قالوا: نراك الياس؟ قال: لا، قالوا أنت نبي؟ قال: لا، قالوا أخبرنا من أنت؟ قال: أنا صوت منادي المفاوز[٢]» ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فانه يكون مخبراً بالكذب.

ومن العجب ان في انجيل متى نسبة المسيح الى انه ابن يوسف، فقال: عيسى ابن يوسف بن فلان، ثم عد الى ابراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً. ثم نسبه لوقا أيضاً في انجيله الى يوسف، وعدّ منه الى ابراهيم نيفا وخمسين أباً. فبينا هو إله تام إذ صيروه إبن الاله ثم جعلوه ابن يوسف النجار؟!!

[تواطؤ اليهود والنصارى على تغيير بعض النسخ غير ممتنع. من مثالب النصارى]

والمقصود أن هذا الاضطراب في «الانجيل» يشهد بان التغيير وقع فيه قطعاً، ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله؛ بل الاختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الاختلاف من عند غير الله، وأنت اذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التي بأيدي اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغيير والتبديل. وكذلك نسخ «الزبور» مختلفة جدا ومن المعلوم أن نسخ التوراة والانجيل انما هي عند رؤساء اليهود والنصارى وليست عند عامتهم، ولا يحفظونها في صدورهم كحفظ المسلمين للقرآن، ولا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ[٣] على تغيير بعض النسخ، ولا سيما إذا كان بقيتهم لا يحفظونها، فاذا قصد طائفة منهم تغيير

(٢) المفاوز: جمع مفازة: هي الفلاة لا ماء فيها.

(٣) التواطؤ: التوافق، وتغلب عليه السرية.

نسخة أو نسخ عندهم أمكن ذلك، ثم اذا تواطئوا على أن لا يذكروا ذلك لعوامهم وأتباعهم أمكن ذلك، وهذا واقع في العالم كثيراً، فهؤلاء اليهود تواطئوا وتواصوا بكتمان نبوة المسيح وجحد البشارة به وتحريفها واشتهر ذلك بين طائفتهم في الارض مشارقها ومغاربها، وكذلك تواطئوا على انه كان طبيبا ساحرا ممخرقا ابن زانية، وتواصوا به مع رؤيتهم الآيات الباهرات التي ارسل بها وعلمهم أنه أبعد خلق الله مما رمي به وشاع ما تواطئوا عليه وملؤوا به كتبهم شرقاً، وغرباً، وكذلك تواطئوا على أن لوطاً نكح ابنتيه وأولدهما أولاداً وشاع ذلك فيهم جميعهم، وتواطئوا على ان الله ندم وبكى على الطوفان وعض أنامله، وصارع يعقوب فصرعه يعقوب، وأنه راقد عنهم وانهم يسألونه أن ينتبه من رقدته وشاع ذلك في جميعهم، وكذلك تواطئوا على فصول لفقوها بعد زوال مملكتهم يصلون بها، لم تعرف عن موسى ولا عن أحد من أتباعه، كقولهم في صلاتهم: «اللهم اضرب ببوق عظيم لعتقنا، واقبضنا جميعاً من أربعة أقطار الارض الى قدسك، سبحانك، يا جامع تشتيت قوم اسرائيل» وقولهم فيها «أردد حكامنا منا كالأولين وسيرتنا كالابتداء، وابن أورشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها، سبحانك، ياباني أورشليم» ولم يكن موسى وقومه يقولون في صلاتهم شيئاً من ذلك، وكذلك تواطؤهم على قولهم في صلاتهم أول العام ما حكيناه عنهم، وكذلك تواطؤهم على شرع صوم احراق بيت المقدس وصوم حصا وصوم كدليا وفرضهم ذلك وصوم صلب هامان وقد اعترفوا بانهم زادوها لأسباب اقتضتها، وتواطؤوا بذلك على مخالفة ما نصت عليه التوراة من قوله: «لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً، ولا تنقصوا منه شيئاً» فتواطؤوا على الزيادة والنقصان وتبديل أحكام الله، كما تواطؤوا على تعطيل فريضة الرجم على الزاني وهو فى التوراة نصاً، وكذلك تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرعه لعباده تمسكا منهم باليهودية، وقد أكذبتهم التوراة وسائر النبوات. ومن العجائب حجرهم على الله أن ينسخ ما شرعه لئلا يلزم البداء ثم يقولون أنه ندم وبكى على الطوفان وعاد في رأيه وندم على خلق الانسان، وهذه مضارعة لاخوانهم من عباد الصليب الذين نزهوا رهبانهم عن الصاحبة والولد ثم نسبوهما الى الفرد الصمد، ومن ذلك تواطؤهم على

ان الملك يعود اليهم وترجع الملل كلها الى ملة اليهودية ويصيرون قاهرين لجميع أهل الملل، ومن ذلك تواطؤهم على تغطيل أحكام التوراة وفرائضها، وتر كهافي جل أمورهم الا اليسير منها وهم معترفون بذلك وانه أكبر أسباب زوال ملكهم وعزهم. فكيف ينكر من طائفة تواطأت على تكذيب المسيح وجحد نبوته وبهته وبهت أمه والكذب الصريح على الله وعلى أنبيائه وتعطيل أحكام الله والاستبدال بها وعلى قتلهم أنبياء الله ان تتواطأ على تحريف بعض التوراة وكتمان نعت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته فيها.

(فصل) وأما أمة الضلال وعبّاد الصليب والصور المزوّقة في الحيطان، واخوان الخنازير، وشاتموا خالقهم ورازقهم اقبح شتم، وجاعلوه مصفعة اليهود، وتواطؤهم على ذلك، وعلى ضروب المستحيلات وانواع الاباطيل، فلا إله إلا الله الذي ابرز للوجود مثل هذه الأمة التي هي أضل من الحمير ومن جميع الأنعام السائمة، وخلى بينهم وبين سبه وشتمه وتكذيب عبده ورسوله ومعاداة حزبه وأوليائه وموالاة الشيطان، والتعوض بعبادة الصور والصلبان عن عبادة الرحمن الرحيم، وعن قول الله أكبر بالتصليب على الوجه، وعن قراءة (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين)[٤] باللهم اعطنا خبزنا الملائم لنا، وغن السجود للواحد القهار بالسجود للصور المدهونة في الحائط بالأحمر والأصفر واللازورد. فهذا بعض شأن هاتين الأمتين اللتين عندهما آثار النبوة والكتاب فما الظن بسائر الأمم الذين ليس عندهم من النبوة والكتاب حس ولا خبر، ولا عين ولا أثر؟.

[قول السائل: هلا أتى ابن سلام . . بالنسخ الصحيحة؟]

(فصل) قال السائل: إن قلتم ان عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ونحوهما شهدوا لنا بذلك من كتبهم فهلا أتى ابن سلام وأصحابه الذين اسلموا بالنسخ التي لهم كي تكون شاهدة علينا، والجواب من وجوه.

---

(٤) سورة الفاتحة/ ٢ـ ٤

(احدها) ان شواهد النبوة وآياتها لا تنحصر فيها عند أهل الكتاب من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته، بل آياتها وشواهدها متنوعة متعددة جداً، ونعته وصفته في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها، وجمهور أهل الارض لم يكن إسلامهم عن الشواهد والاخبار التي في كتبهم، وأكثرهم لا يعلمونها ولا سمعوا بها بل أسلموا للشواهد التي عاينوها والآيات التي شاهدوها وجاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية عاضدة من باب تقوية البينة وقد تم النصاب بدونها، فهؤلاء العرب من أولهم الى آخرهم لم يتوقف اسلامهم على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد، وان كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه منهم قبل النبوة وبعدها كما كان الانصار يسمعون من اليهود صفة النبي صلى الله عليه وسلم ونعته ومخرجه، فلما عاينوه وأبصروه عرفوه بالنعت الذي أخبرهم به اليهود فسبقوهم اليه، فشرق أعداء الله بريقهم وغصوا بمائهم، وقالوا ليس هو الذي كنا نعِدهم به، فالعلم بنبوة محمد والمسيح وموسى صلوات الله وسلامه عليهم لا يتوقف على العلم بأن من قبلهم أخبر بهم وبشر بنبوتهم بل طرق العلم بها متعددة فاذا عرفت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بطريق من الطرق ثبتت نبوته ووجب اتباعه وان لم يكن من قبله بشّر به فاذا علمت نبوته بما قام عليها من البراهين. فاما أن يكون تبشير من قبله به لازماً لنبوته، وإما أن لا يكون لازماً، فان لم يكن لازماً لم يجب وقوعه ولا يتوقف تصديق النبي عليه بل يجب تصديقه بدونه، وإن كان لازماً علم قطعاً أنه قد وقع، وعدم نقله الينا لا يدل على عدم وقوعه إذ لا يلزم من وجود الشيء نقله العام، ولا الخاص، وليس كل ما أخبر به موسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء المتقدمين وصل الينا، وهذا مما يعلم بالاضطرار، فلو قدر ان البشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم ليست في الكتب الموجودة بأيديكم لم يلزم أن لا يكون المسيح وغيره بشّروا به، بل قد يبشرون ولا ينقل، ويمكن أن يكون في كتب غير هذه المشهورة المتداولة بينكم، فلم يزل عند كل أمة كتب لا يطلع عليها الا بعض خاصتهم فضلاً عن جميع عامتهم، ويمكن انه كان في بعضها فأزيل منه وبدل ونسخت النسخ من هذه التي قد غيرت واشتهرت بحيث لا يعرف غيرها وأخفى أمر تلك النسخ الاولى، وهذا كله ممكن، لا سيما من الامة التي

تواطأت على تبديل دين نبيها وشريعته هذا كله على تقدير عدم البشارة به في شيء من كتبهم أصلا. ونحن قد ذكرنا من البشارات به التي في كتبهم ما لا يمكن لمن له أدنا معرفة منهم جحده والمكابرة فيه، وان أمكنهم المغالطة بالتأويل عند رعاعهم وجهالهم.

(الوجه الثاني) أن عبد الله بن سلام قد قابل اليهود واوقفهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن ذكره ونعته وصفته في كتبهم وانهم يعلمون انه رسول الله وقد شهدوا بأنه أعلمهم وابن أعلمهم وخيرهم وابن خيرهم، فلم يضر قولهم بعد ذلك انه شرهم وابن شرهم وجاهلهم وابن جاهلهم، كما اذا شهد على رجل شاهد عند الحاكم فسأله عنه فعدله وقال إنه مقبول الشهادة عدل رضى لا يشهد الا بالحق وشهادته جائزة علي فلما أدى الشهادة قال انه كاذب شاهد زور، ومعلوم ان هذا لا يقدح في شهادته. واما كعب الأحبار فقد ملأ الدنيا من الأخبار بما في النبوات المتقدمة من البشارة به وصرح بها بين أظهر المسلمين واليهود والنصارى، وأذن بها على رؤس الملأ وصدقه مسلموا أهل الكتاب عليها، وأقروه على ما أخبر به، وانه كان أوسعهم علما بما في كتب الأنبياء، وقد كان الصحابة يمتحنون ما ينقله ويزنونه بما يعرفون صحته فيعلمون صدقه، وشهدوا له بانه اصدق الذين يحكون لهم عن أهل الكتاب أو من أصدقهم ونحن اليوم ننوب عن عبد الله بن سلام وقد اوجدناكم هذه البشارات في كتبكم فهي شاهدة لنا عليكم والكتب بايديكم فأتوا بها فاتلوها ان كنتم صادقين، وعندنا ممن وفقه الله للاسلام منكم من يواقفكم ويقابلكم ويحاققكم عليها، والا فاشهدوا على أنفسكم بما شهد الله وملائكته وأنبيائه ورسله وعبادة المؤمنون به عليكم من الكفر والتكذيب والجحد للحق ومعاداة الله ورسوله.

(الوجه الثالث) انه لو أتاكم عبد الله بن سلام بكل نسخة متضمنة لغاية البيان والصراحة لكان في بهتكم وعنادكم وكذبكم ما يدفع في وجوهها ويحرفها أنواع التحريف ما وجد اليه سبيلا، فاذا جاءكم بما لا قبل لكم به قلتم: ليس هو، ولم يأت بعد، وقلتم: نحن لا نفارق حكم التوراة، ولا نتبع نبي الأميين. وقد صرح اسلافكم الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاينوه أنه رسول حقاً، وانه

المبشر به الموعود به على ألسنة الانبياء المتقدمين، وقال من قال منهم في وجهه: نشهد انك نبي فقال: «ما يمنعك من اتباعي»؟ قال: إنا نخاف أن يقتلنا يهود، وقد قال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)(٥) وقد جاءكم بآيات هي أعظم من بشارات الأنبياء به وأظهر بحيث أن كل آية منها يصلح أن يؤمن على مثلها البشر، فما زادكم ذلك إلا نفوراً وتكذيباً وإباء لقبول الحق، فلو نزل الله اليكم ملائكته وكلمكم الموتى وشهد له بالنبوة كل رطب ويابس لغلبت عليكم الشقوة وصرتم الى ما سبق لكم في أم الكتاب، وقد رأى من كان أعقل منكم وأبعد من الحسد من آيات الأنبياء ما رأوا وما زادهم ذلك إلا تكذيباً وعناداً، فاسلافكم وقدوتكم في تكذيب الأنبياء من الأمم لا يحصيهم إلا الله حتى كأنكم تواصيتم بذلك أوصى به الاول للآخر واقتدى فيه الآخر بالاول، قال تعالى: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به ل بل قرم طاغون)(٦) وهبنا ضربنا عن إخبار الأنبياء المتقدمين به صفحاً أفليس في الآيات والبراهين التي ظهرت على يديه ما يشهد بصحة نبوته؟! وسنذكر منها بعد الفراغ من الأجوبة طرفاً يقطع المعذرة ويقيم الحجة، والله المستعان.

(فصل) قال السائل: «انكم نسبتم الأمتين العظيمتين المذكورتين الى اختيار الكفر على الايمان للغرض المذكور فابن سلام وأصحابه أولى بذلك الغرض؛ لأنهم قليلون جداً، وأضداده كثيرون لا يحصيهم عدد والجواب من وجوه:

(أحدها) أنا قد بينا أن جمهور هاتين الأمتين المذكورتين آمن به وصدقه وقد كانوا ملء الارض، وهذه الشام ومصر وما جاورهما واتصل بها من أعمالها، والجزيرة والموصل وأعمالها، وأكثر بلاد المغرب وكثير من بلاد المشرق، كانوا كلهم نصارى فأصبحت هذه البلاد كلها مسلمين، فالمتخلف من هاتين الأمتين عن الايمان به أقل القليل بالاضافة الى من آمن به وصدقه، وهؤلاء عباد الأوثان كلهم أطبقوا على

---

(٥) سورة يونس/ ٩٦

(٦) الذاريات/ ٥٣

الاسلام الا من كان منهم في أطراف الأرض بحيث لم تصل اليه الدعوة، وهذه أمة المجوس توازي هاتين الأمتين كثرة وشوكة وعدداً دخلوا في دينه وبقي من بقي منهم كما بقيتم أنتم تحت الذلة والجزية.

(الثاني) أنا قد بينا أن الغرض الحامل لهم على الكفر ليس هو مجرد المأكلة والرياسة فقط وان كان من جملة الاغراض؛ بل منهم من حمله ذلك، ومنهم من حمله الحسد، ومنهم من حمله الكبر، ومنهم من حمله الهوى، ومنهم من حمله محبة الآباء والاسلاف وحسن الظن بهم ومنهم من حمله إلفه للدين الذي نشأ عليه وجُبل بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الانسان ما طبع عليه، وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولي على أكثر بني آدم في إيثارهم ما اعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والديانات على ما هو خير منه وأوفق بكثير، ومنهم من حمله التقليد والجهل وهم الاتباع الذين ليس لهم علم، ومنهم من حمله الخوف من فوات محبوب أو حصول مرهوب، فلم تَنسبُ هاتين الامتين الى الغرض المذكور وحده.

(الثالث) أنا قد بينا أن الأمم الذين كانوا قبلهم كانوا أكثر عدداً وأغزر عقولا منهم وكلهم اختاروا العمى على الهدى والكفر على الايمان بعد البصيرة، فلهاتين الأمتين سلف كثير وهم أكثر الخلق.

(الرابع) ان عبد الله بن سلام وذويه إنما أسلموا في وقت شدة من الأمر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة وأهل الارض مطبقون على عداوتهم، واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والحلقة والسلاح، ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا ذاك قد أووا الى المدينة، واعداؤهم يتطلبونهم في كل وجه، وقد بذلوا الرغائب لمن جاءهم بهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وخادمهما فاستخفوا ثلاثاً في غار تحت الأرض، ثم خرجوا بعد ثلاث على غير الطريق الى أن قدموا المدينة، والشوكة والعدد والعدة فيها لليهود والمشركين، فأسلم عبد الله ابن سلام حين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لما رأى أعلام النبوة التي كان يعرفها وشاهدها فيه، وترك الاغراض التي منعت المغضوب عليهم من الاسلام من

الرياسة والمال والجاه بينهم، وقد شهدوا له كلهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رئيسهم وخيرهم وسيدهم، فعلم أنهم إن علموا باسلامه اخرجوه من تلك الرياسة والسيادة فأحب ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال أدخلني بعض بيوتك وسلهم عني ففعل، وسألهم عنه فاخبروه أنه سيدهم ورئيسهم وعالمهم، فخرج عليهم وذكرهم وأوقفهم على انهم يعلمون انه رسول الله، وقابلهم بذلك، فسبوه وقدحوا فيه وانكروا رياسته وسيادته وعلمه فلو كان عبد الله بن سلام ممن يؤثِرُ عَرَض الدنيا والرياسة لفعل كما فعله إخوان القردة وأمة الغضب قوم البهت، وهكذا شأن من أسلم من اليهود حينئذ وأما المتخلفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته، وقال: ان هؤلاء القوم قد عظمونا ورأسونا ومولونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عياناً، ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم فلما تبين له الحق بهت، فقلت له وأنا وهو خاليين: ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟ فقال لي: إذا قدمت على هؤلاء الحمير- هكذا لفظه- فرشوا لنا الشقاق تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني فيما آمرهم به، وأنا لا اعرف صنعة ولا احفظ قرآنا ولا نحواً ولا فقهاً، فلو أسلمت لدرت في الاسواق اتكفف الناس، فمن الذي يطيب نفساً بهذا؟! فقلت هذا لا يكون، وكيف تظن بالله انك اذا آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذلك ويحوجك؟! ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العروض عما فاتك فقال حتى يأذن الله، فقلت القدر لا يحتج به، ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة للمشركين على تكذيب الرسل، ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به؟! فقال دعنا الآن من هذا وأمسك.

(الخامس) أن جوابك في نفس سؤالك فانك أعترفت ان عبد الله بن سلام وذويه كانوا قليلين جداً وأضدادهم لا يحصون كثرة، ومعلوم ان الغرض الداعي لموافقة الجمهور الذين لا يحصون كثرة وهم أولو القوة والشوكة أقوى من الغرض الداعي لموافقة الأقلين المستضعفين والله الموفق.

الفصل التاسع

[المسلمون فوق كل الأمم في الأعمال والمعارف النافعة]

(فصل) قال السائل: «تدخل علينا الريبة من جهة عبد الله بن سلام وأصحابه، وهوانكم قد بنيتم أكثر اساس شرائعكم في الحلال والحرام والامر والنهي على أحاديث عوام من الصحابة الذين ليس لهم بحث في علم ولا دراسة ولا كتابة قبل مبعث نبيكم، فابن سلام هو وأصحابه أولى ان يؤخذ بأحاديثهم ورواياتهم، لأنهم كانوا أهل علم وبحث ودراسة وكتابة قبل مبعث نبيكم وبعده، ولا نراكم تروون عنهم من الحلال والحرام والامر والنهي الا شيئاً يسيراً جداً، وهو ضعيف عندكم» والجواب من وجوه.

(أحدها) ان هذا بهت من قائله، فانا لم نبن أساس شريعتنا في الحلال والحرام والامر والنهي الا على كتاب ربنا المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تحدى به الأمم كلها على اختلاف علومها وأجناسها وطبائعها وهو في غاية الضعف وأعداؤه طبق الأرض أن يعارضوه بمثله فيكونوا أولى بالحق منه ويظهر كذبه وصدقهم فعجزوا عن ذلك، فتحداهم بان يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، فتحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، هذا وأعداؤه الأدنون اليه أفصح الخلق وهم أهل البلاغة والفصاحة واللسن والنظم والنثر والخطب وأنواع الكلام، فما منهم من فاه في معارضته ببنت شفة، وكانوا احرص الناس على تكذيبه وأشدهم أذى له بالقول والفعل والتنفير عنه بكل طريق، فما نقل عن أحد منهم سورة واحدة عارضه بها؛ الا مسيلمة الكذاب بمثل قوله: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقي كم تنقين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين. ومثل: والطاحنات طحناً، والعاجنات عجناً، فالخابزات

خبزاً، اهالة[1] وسمناً. وأمثال هذه الألفاظ التي هي بالفاظ أهل الجنون والمعتوهين أشبه منها بالفاظ العقلاء فالمسلمون انما بنوا أساس دينهم ومعالم حلالهم وحرامهم على الكتاب الذي لم ينزل من السماء كتاب أعظم منه، فيه بيان كل شيء وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة وشفاء لما في الصدور، به هدى الله رسوله وأمته فهو أساس دينهم.

(الثاني) أن قولكم «إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة» من أعظم البهت وأفحش الكذب، فانهم وان كانوا أميين فمذ بعث الله فيهم رسوله زكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة وفضلهم في العلم والعمل والهدى والمعارف الالهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الامم، فلم تبق أمة من الأمم تدانيهم في فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم، فلو قيس ما عند جميع الامم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة الى ما عندهم لم يظهر له نسبة اليه بوجه ما؛ وان كان غيرهم من الامم أعلم بالحساب والهندسة، والكم المتصل والكم المنفصل، والنبض والقارورة والبول والقسطة، ووزن الأنهار ونقوش الحيطان، ووضع الآلات العجيبة، وصناعةالكيمياء، وعلم الفلاحة، وعلم الهيئة، وتسيير الكواكب، وعلم الموسيقا والألحان، وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة، وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد. فان أردتم أن الصحابة كانوا عواماً هذه العلوم فنعم اذاً «وتلك شكاة ظاهر عنك عارها» وإن أردتم أنهم كانوا عواماً في العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ودينه وشرعه وتفاصيله واليوم الآخر وتفاصيله وتفاصيل ما بعد الموت وعلم سعادة النفوس وشقاوتها وعلم صلاح القلوب وأمراضها فمن بهت نبيهم بما بهته به وجحد نبوته ورسالته التي هي للبصائر أظهر من الشمس للأبصار لم ينكر له أن يبهت أصحابه ويجحد فضلهم ومعرفتهم، وينكر ما خصهم الله به وميزهم على من قبلهم ومن هو كائن من بعدهم الى يوم القيامة؟! وكيف يكونون عواماً في ذلك وهم أذكى الناس فطرة وأزكاهم نفوساً، وهم يتلقونه غضاً طرياً ومحضاً لم يشب[2] عن نبيهم، وهم أحرص الناس عليه وأشوقهم

(١) الإهالة: الدسم.

(٢) لم يختلط بشائبة.

اليه، وخبر السماء يأتيهم على لسانه في ساعات الليل والنهار والحضر والسفر، وكتابهم قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين، وعلم ما كان من المبدأ والمعاد، وتخليق العالم وأحوال الأمم الماضية، والانبياء وسيرهم وأحوالهم مع أممهم، ودرجاتهم ومنازلهم عند الله، وعددهم، وعدد المرسلين منهم، وذكر كتبهم، وأنواع العقوبات التي عذب الله بها أعداءهم، وما أكرم به اتباعهم، وذكر الملائكة وأصنافهم وأنواعهم وما وكلوا به واستعملوا فيه، وذكر اليوم الآخر وتفاصيل أحواله، وذكر الجنة وتفاصيل نعيمها والنار وتفاصيل عذابها، وذكر البرزخ وتفاصيل أحوال الخلق فيه، وذكر اشراط الساعة والاخبار بها مفصلاً بما لم يتضمنه كتاب غيره من حين قامت الدنيا وإلى أن يرث الله الارض ومن عليها، كما أخبر به المسيح عنه من قوله في الانجيل وقد بشرهم به فقال: «وكل شيء أعده الله تعالى لكم يخبركم به» وفي موضع آخر منه: «ويخبركم بالحوادث والغيوب» وفي موضع آخر: «ويعلمكم كل شيء» وفي موضع آخر منه: «يحي لكم الاسرار، ويفسر لكم كل شيء، وأجيئكم بالامثال وهو يجيئكم بالتأويل» وفي موضع آخر: «إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله لكم ولكنكم لا تستطيعون حمله، لكن اذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم الى جميع الحق، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بكل ما يأتي، ويعرفكم جميع ما للأب» فمن هذا علمه بشهادة المسيح وأصحابه يتلقون ذلك جميعه عنه وهم أذكى الخلق وأحفظهم وأحرصهم كيف تدانيهم أمة من الأمم في هذه العلوم والمعارف؟! ولقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبهم حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى وصعد فخطبهم حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى وخطبهم حتى حضرت المغرب، فلم يدع شيئاً الى قيام الساعة الا أخبرهم به، فكان أعلمهم أحفظهم» وخطبهم مرة أخرى خطبة فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم. وقال يهودي لسلمان: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة! قال أجل؟! فهذا اليهودي كان أعلم بنبينا من هذا السائل وطائفته!

[الصحابة أعلم الناس وأفضلهم، علماء الأمة تلاميذهم]

[من أعلام الصحابة والأئمة]

وكيف يدعى في أصحاب نبينا أنهم عوام وهذه العلوم النافعة المبثوثة في الأمة على كثرتها واتساعها وتفنن ضروبها إنما هي عنهم مأخوذة ومن كلامهم وفتاويهم مستنبطة، وهذا عبد الله بن عباس كان من صبيانهم وفتيانهم وقد طبق الأرض علماً وبلغت فتاويه نحواً من ثلاثين سفراً، وكان بحراً لا ينزف لو نزل به أهل الارض لأوسعهم علماً، وكان اذا أخذ في الحلال والحرام والفرائض يقول القائل لا يحسن سواه، فاذا أخذ في تفسير القرآن ومعانيه يقول السامع لا يحسن سواه، فاذا أخذ في السنة والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول القائل لا يحسن سواه، فاذا أخذ في القصص وأخبار الامم وسير الماضين فكذلك، فاذا أخذ في أنساب العرب وقبائلها وأصولها وفروعها فكذلك فاذا أخذ في الشعر والغريب فكذلك. قال مجاهد: العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقال قتادة في قوله تعالى: (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق)[٣] قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ولما حضر معاذاً الموتُ قيل له: أوصنا، قال: أجلسوني، إن العلم والايمان بمكانهما من اقتفاهما وجدهما عند أربعة رهط: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان الفارسي، وعند عبد الله بن مسعود، وعند عبد الله بن سلام، فاني سمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنه عاشر عشرة في الجنة» وقال أبو اسحق السبيعي قال عبد الله: علماء الأرض ثلاثة؛ فرجل بالشام، وآخر بالكوفة، وآخر بالمدينة فأما هذان فيسألان الذي بالمدينة، والذي بالمدينة لا يسألهما عن شيء. وقيل لعلى بن أبي طالب: حدثنا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: عن أيهم؟ قالوا عن عبد الله بن مسعود، قال: قرأ القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى بذلك، قالوا: فحدثنا عن حذيفة: قال أعلم أصحاب محمد بالمنافقين، قالوا: فأبو ذر؟ قال كُنَيف

---

(٣) سورة سبأ/ ٦

ملئ علماً عجن فيه، قالوا فعمار؟ قال مؤمن نسي اذا ذكرته ذكر خلط الله الايمان بلحمه ودمه ليس للنار فيه نصيب، قالوا فأبو موسى؟ قال صبغ في العلم صبغة، قالوا فسلمان؟ قال: علم العلم الأول والآخر بحر لا ينزح، هو منا أهل البيت، قالوا فحدثنا عن نفسك يا أمير المؤمنين؟ قال إياها أردتم، كنت اذا سئلت أعطيت، راذا سكت ابتديت. وقال مسروق: شافهت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم ينتهي الى ستة الى علي وعبد الله وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي بن كعب، ثم، شافهت الستة فوجدت علمهم ينتهي الى علي وعبد الله. وقال مسروق: جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا كالإخاذ[(٥)]: الاخاذ يروي الراكب، والاخاذ يروي الراكبين، والاخاذ العشرة، والاخاذ لو نزل به أهل الارض لأصدرهم، وإن عبد الله من تلك الاخاذ؛ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أرى الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر» فقالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله قال: «العلم». وقال عبد الله: اني لاحسب أن عمر بن الخطاب قد ذهب بتسعة أعشار العلم. وقال عبد الله: لو أن علم عمر بن الخطاب وضع في كفة الميزان ووضع علم أهل الارض في كفة لرجح علم عمر. وقال حذيفة بن اليمان: كأن علم الناس مع علم عمر دس في حجر. وقال الشعبي: قضاة هذه الأمة أربعة عمر وعلي وزيد وأبو موسى. وقال قبيصة بن جابر: ما رأيت رجلا قط أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله من عمر. وقال علي: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وأنا حديث السن ليس لي علم بالقضاء، فقلت انك ترسلني الى قوم يكون فيهم الاحداث وليس لي علم بالقضاء، قال فضرب في صدري وقال: «ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين بعده. وفي الصحيح عن عيد الله بن مسعود قال: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال لي: «يا غلام هل من لبن»؟ فقلت: نعم ولكني

---

(٤) الكِنيف ـ بكسر الكاف ـ: وعاء يكون فيه أداة الراعي، وقد جاء هنا بالتصغير.

(٥) الإخاذ: جمع مفرده إخاذة بالكسر: شيء كالغدير.

مؤتمن، قال: «فهل من شاة لم ينز[٦] عليها الفحل»؟ قال فأتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص، قال ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، فمسح رأسي، وقال: «يرحمك الله انك عليم معلم» وقال عقبة بن عامر: ما أرى أحداً أعلم بما أنزل على محمد من عبد الله، فقال أبو موسى: إن تقل ذلك فانه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل. وقال مسروق: قال: عبد الله ما أنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيها انزلت، ولو أني أعلم أن رجلا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الابل والمطايا لأتيته. وقال عبد الله بن بريدة في قوله عز وجل: (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً)[٧] قال: هو عبد الله بن مسعود. وقيل لمسروق: كانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض. وقال أبو موسى: ما أشكل علينا أصحابَ محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. وقال شهر بن حوشب: كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا تحدثوا وفيهم معاذ بن جبل نظروا اليه هيبة له، وقال علّي بن أبي طالب: أبو ذر وعاء ملىء علماً، ثم وكي[٨] عليه فلم يخرج منه شيء حتى قبض. وقال مسروق: قدمت المدينة فوجدت زيد بن ثابت من الراسخين في العلم، ولما بلغ أبا الدرداء موت عبد الله بن مسعود قال: أما إنه لم يخلف بعده مثله. وقال أبو الدرداء: إن من الناس من أوتي علماً ولم يؤت حلماً. وشداد بن أوس ممن أوتي علماً وحلماً، ولما مات زيد بن ثابت قام ابن عباس على قبره وقال: هكذا يذهب العلم. وضم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس وقال «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب» وقال محمد بن الحنفية لما مات ابن عباس لقد مات ربانّي هذه الأمة. وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما رأيت أحَداً أعلم بالسنة ولا أجلد رأياً ولا أثقب نظراً حين ينظر من ابن عباس. وكان عمر بن الخطاب

(٦) نزا- ينزو: أي وثب.

(٧) سورة محمد (ﷺ) ١٦/

(٨) الوكاء: ما يشد به رأس القِربة.

يقول له: قد طرأت علينا عضل[٩] أقضية أنت لها ولأمثالها، ثم يقول عبيد الله، وعمر عمر في جده وحسن نظره للمسلمين. وقال عطاء بن أبي رباح: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس: أكثر فقهاً وأعظم جفنة[١٠]، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر، يصدرهم كلهم في واد واسع، وكان عمر بن الخطاب يسأله مع الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزيده الله علماً وفقهاً. وقال عبد الله بن مسعود: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عشره منا رجل. أي ما بلغ عشره. وقال ابن عباس: ما سألني أحد عن مسألة إلا عرفت أنه فقيه أو غير فقيه، وقيل له أنّى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول، وكان يسمى البحر من كثرة علمه. وقال طاووس: أدركت نحو خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر لهم ابن عباس شيئاً فخالفوه لم يزل بهم حتى يقررهم. وقال الأعمش: كان ابن عباس إذا رأيته قلت: أجمل الناس، فاذا تكلم قلت: أفصح الناس، فاذا حدث قلت: أعلم الناس. وقال مجاهد: كان ابن عباس إذا فسر الشيء رأيت عليه النور. وقال ابن سيرين: كانوا يرون أن الرجل الواحد يعلم من العلم ما لا يعلمه الناس أجمعون. قال ابن عون: فكأنه رآني أنكرت ذلك قال فقال: أليس أبو بكر كان يعلم ما لا يعلم الناس، ثم كان عمر يعلم ما لا يعلم الناس؟ !وقال عبد الله بن مسعود: لو وضع علم أحياء العرب في كفة وعلم عمر في كفة لرجح بهم علم عمر، قال الاعمش فذكروا ذلك لابراهيم فقال: عبد الله إن كنا لنحسبه قد ذهب بتسعة أعشار العلم. وقال سعيد بن المسيب: ما أعلم أحداً من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من عمر بن الخطاب، وقال الشعبي: قضاة الناس أربعة عمر وعلّي وزيد بن ثابت وأبو موسى الاشعري. وكانت عائشة رضي الله عنها مقدمة في العلم بالفرائض والسنن والأحكام والحلال والحرام والتفسير. قال عروة بن الزبير: ما جالست أحداً قط أعلم بقضاء ولا بحديث الجاهلية ولا اروى للشعر ولا أعلم

(٩) العَضَل والمعضلات: الشدائد. وقد أعضَل الأمر: أي اشتد واستغلق.

(١٠) الجفنة: كالقصعة، تجمع على جفان وجفنات. وقد كنى بها عن سعة العلم.

بفريضة ولا طب من عائشة. وقال عطاء: كانت عائشة أعلم الناس وأفقه الناس. وقال البخاري في تاريخه: روى العلم عن أبي هريرة ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع. وقال عبد الله بن مسعود: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلوا وزراءه. وقال ابن عباس في قوله تعالى: (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى)(١١) قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. وقال ابن مسعود: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فان الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لاقامة دينه وصحبة نبيه فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم. وقد أثنى الله سبحانه عليهم بما لم يثنه على أمة من الأمم سواهم فقال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) أي عدولا خياراً: (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)(١٢) وقال تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله)(١٣) وقال: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً، سيماهم في وجوهم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما)(١٤) وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)(١٥) وهم محمد وأصحابه. وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز

---

(١١) سورة النمل/ ٥٩

(١٢) سورة البقرة/ ١٤٣

(١٣) آل عمران/ ١١٠

(١٤) سورة الفتح/ ٢٩ وشطء الزرع والنبات: فراخه، وقال الأخفش: طَرَفه، وقد أشطأ الزرع: خرج شطؤه. وآزره: أي عاونه وساعده وقواه.

(١٥) التوبة/ ١١٩

وجل» وقال تعالى (والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)(١٦). وقال مالك عن نافع: كان ابن عباس وابن عمر يجلسان للناس عند قدوم الحاج وكنت أجلس إلى هذا يوماً وإلى هذا يوماً، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما يسأل عنه وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي. قال مالك: وسمعت «أن معاذ بن جبل يكون أمام العلماء برتوة»(١٧) يعني يكون أمامهم يوم القيامة برمية حجر. وقال مالك: أقام ابن عمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك وكان من أئمة الدين، وقال عمر لجرير: يرحمك الله إن كنت لسيداً في الجاهلية فقيهاً في الاسلام. وقال محمد بن المنكدر: ما قدم البصرة أحد أفضل من عمران بن حصين. وكان لجابر بن عبد الله حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ عنه العلم.

والعلم إنما انتشر في الآفاق عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم الذين فتحوا البلاد بالجهاد، والقلوب بالعلم والقرآن، فملؤوا الدنيا خيراً وعلماً، والناس اليوم في بقايا آثار علمهم. قال الشافعي في رسالته وقد ذكر الصحابة فعظمهم وأثنى عليهم ثم قال: وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل وأمر استدرك به علم، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا، ومن أدركنا ممن نرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا فيه سنة إلى قولهم ان اجتمعوا أو قول بعضهم إن تفرقوا، وكذلك نقول ولم نخرج من أقاويلهم كلهم. وقال الشافعي: وقد أثنى الله على الصحابة في التوراة والانجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم من الفضل ما ليس لأحد بعدهم. وقال أبو حنيفة: اذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة نختار من قولهم ولم نخرج عنه. وقال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: لما دخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام نظر اليهم رجل من أهل الكتاب فقال ما كان

---

(١٦) التوبة/١٠٠

(١٧) الرتوة: الخطوة.

أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمناشير وصلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً من هؤلاء. وقد شهد لهم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى بانهم خير القرون على الاطلاق، كما شهد لهم ربهم تبارك وتعالى بأنهم خير الأمم على الاطلاق.

وعلماؤهم وتلاميذهم هم الذين ملأوا الأرض علماً، فعلماء الاسلام كلهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وهلم جراً، وهؤلاء الائمة الأربعة الذين طبق علمهم الأرض شرقاً وغرباً هم تلاميذ تلاميذهم، وخيار ما عندهم ما كان عن الصحابة، وخيار الفقه ما كان عنهم، وأصح التفسير ما أخذ عنهم.. وأما كلامهم في باب معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وقضائه وقدره ففي أعلى المراتب، فمن وقف عليه وعرف ما قالته الأنبياء عرف انه مشتق منه مترجم عنه، وكل علم نافع في الأمة فهو مستنبط من كلامهم ومأخوذ عنهم، وهؤلاء تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم قد طبقت تصانيفهم وفتاويهم الأرض، فهذا مالك جمعت فتاويه في عدة أسفار، وكذلك أبو حنيفة، وهذه تصانيف الشافعي تقارب المائة، وهذا الامام أحمد بلغت فتاويه وتآليفه نحو مائة سفر، وفتاويه عندنا في نحو عشرين سفراً، وغالب تصانيفه بل كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين، وهذا علامتهم المتأخر «شيخ الاسلام ابن تيمية» جمع بعض أصحابه فتاواه في ثلاثين مجلداً ورأيتها في الديار المصرية، وهذه تآليف أئمة الاسلام التي لا يحصيها إلا الله، وكلهم من أولهم الى آخرهم يقر للصحابة بالعلم والفضل، ويعترف بان علمه بالنسبة إلى علومهم كعلومهم بالنسبة الى علم نبيهم.

وفي «الثقفيات» حدثنا قتيبة بن سعيد، عن سعيد بن عبد الرحمن المعافري، عن أبيه، أن كعباً رأى حبر اليهود يبكي، فقال له ما يبكيك؟ قال: ذكرت بعض الأمر، فقال كعب: أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقني؟ قال نعم، قال أنشدك الله: هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب اني أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال فاجعلهم أمتي

قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال: الحبر نعم، قال كعب: فانشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب اني أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا أمراً قالوا: نفعله إن شاء الله. فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم، فقال كعب فانشدك الله اتجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال: يا رب اني اجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف[18] كبر الله واذا هبط حمد الله؛ الصعيدُ طَهورهم[19] والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غراً محجلين[20] من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي، قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر نعم، قال كعب: فانشدك الله أتجد في كتاب الله أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب اني أجد أمة مرحومة ضعفاء أورثتهم الكتاب فاصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتي قال: هم أمة احمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم. قال كعب: أنشدك الله أتجد في كتاب الله أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم، يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة، اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل، لا يدخل النار منهم أحد إلا من برىء من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر. قال موسى: فاجعلهم أمتي قال: هم أمة أحمد يا موسى. قال الحبر: نعم، فلما عجب موسى من الخير الذي أعطى الله محمداً وأمته قال ليتني من أصحاب محمد، فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن (يا موسى إني اصطفيتك على الناس)[21] الآية. (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)[22]. (وكتبنا له في الألواح)[23] الآية، قال فرضي موسى كل الرضا. . وهذه

---

(١٨) أشرف المكانَ: عَلاه. والشرف: العلو، والمكان العالي.

(١٩) الطَهور- بفتح الطاء-: ما يتطهر به، كالقَطور والسَّحور والوَقود.

(٢٠) الغُرّة- بالضم- بياض في الجبهة فوق الدرهم. والتحجيل: بياض يكون في قوائم الفرس يجاوز الأرساغ. وقد استعيرت الصفتان لما يبدو على جبهة المسلم وساعديه من أثر الوضوء.

(٢١) الأعراف/ ١٤٤

(٢٢) الأعراف/ ١٥٩

(٢٣) الأعراف/ ١٤٥

الفصول بعضها في التوراة التي بايديهم وبعضها في نبوة شعيا، وبعضها في نبوة غيره «والتوراة» أعم من التوراة المعينة، وقد كان الله سبحانه كتب لموسى في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فلما كسرها رفع منها الكثير وبقي خير كثير، فلا يقدح في هذا النقل جهل أكثر أهل الكتاب به فلا يزال في العلم الموروث عن الأنبياء شيء لايعرفه الا الآحاد من الناس أو الواحد وهذه الأمة على قرب عهدها بنبيها، في العلم الموروث عنه ما لا يعرفه الا الافراد القليلون جداً من أمته وسائر الناس منكر له وجاهل به.

وسمع كعب رجلا يقول: رأيت في المنام كأن الناس جمعوا للحساب فدعي الأنبياء فجاء مع كل نبي أمته ورأيت لكل نبي نورين ولكل من اتبعه نوراً يمشي بين يديه، فدعي محمد صلى الله عليه وسلم فاذا لكل شعرة في رأسه ووجهه نور، ولكل من اتبعه نوران يمشي بهما، فقال كعب: من حدثك بهذا؟ قال: رؤيا رأيتها في منامي، قال: أنت رأيت هذا في منامك؟ قال: نعم، قال والذي نفسي بيده إنها لصفة محمد وأمته وصفة الأنبياء وأممهم لكأنما قرأتها من كتاب الله. وفي بعض الكتب القديمة أن عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه قيل له: يا روح الله! هل بعد هذه الأمة أمة؟: قال نعم، قيل: وأية أمة؟ قال: أمة أحمد، قيل: يا روح الله! وما أمة أحمد؟ قال: علماء حكماء أبرار أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق، ويرضى الله منهم باليسير من العمل، يدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله. وقال كعب: علماء هذه الأمة كأنبياء بني اسرائيل، وفيه حديث مرفوع لا أعرف حاله.

[هنيئاً لأمة الغضب والضلال بعلومهم. وبعلمائهم..!!]

ثم نقول: وما يدريكم معاشر المثلثة وعباد الصلبان وأمة اللعنة والغضب بالفقه والعلم؟ ومسمى هذا الاسم حيث تسلبونه أصحاب محمد الذين هم وتلاميذهم كأنبياء بني اسرائيل، وهل يميز بين العلماء والجهال ويعرف مقادير العلماء الا من هو من جملتهم ومعدود في زمرتهم؟!! فأما طائفة شبه الله علماءهم

بالحمير التي تحمل أسفاراً، وطائفة علماؤها يقولون في الله ما لا ترضاه أمة من الأمم فيمن تعظمه وتجله، وتأخذ دينها عن كل كاذب ومفتر على الله وعلى أنبيائه، فمثلها مثل عريان يحارب شاكي السلاح(٢٤)، ومن سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار، ولا يستكثر على من قال في الله ورسوله ما قال أن يقول في أعلم الخلق أنهم عوام.. فليهن أمة الغضب علم «المشنا، والتلمود» وما فيهما من الكذب على الله وعلى كليمه موسى. وما يحدث لهم أحبارهم وعلماء السوء منهم كل وقت، ولتهنهم علومٌ دلّتهم على أن الله ندم على خلق البشر حتى شق عليه، وبكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة، ودلتهم على أن يناجوا في صلاتهم بقولهم: يا إلهنا إنتبه من رقدتك كم تنام، ينخونه حتى يتنخى لهم ويعيد دولتهم، ولتهن أمة الضلال علومهم التي فارقوا بها جميع شرائع الأنبياء وخالفوا بها المسيح خلافاً تتحققه علماؤهم في كل أمره كما ستمر بك، وعلومهم التي قالوا بها في رب العالمين ما قالوا مما كادت السموات تنشق منه والأرض تنفطر والجبال تنهد لولا أن أمسكها الحليم الصبور، وعلومهم التي دلتهم على التثليث، وعبادة خشبة الصليب والصور المدهونة بالسيرقون والزنجفر، ودلتهم على قول عالمهم أفريم أن اليد التي جبلت طينة آدم هي التي علقت على الصلبوب، وأن الشبر الذي ذرعت به السموات هو الذي سمر على الخشبة، وقول عالمهم عريقودس(٢٥): من لم يقل أن مريم والدة الله فهو خارج عن ولاية الله!!!



(٢٤) أي الذي يتقلد السلاح، أو يلبس سلاحاً تاماً.

(٢٥) لعله: غريغوريوس.

الفصل العاشر

[معاصي الأمم لا تقدح في الرسل ولا في رسالتهم]

قال السائل: «نرى في دينكم أكثر الفواحش فيمن هو أعلم وأفقه في دينكم كالزنا واللواط والخيانة والحسد، والبخل، والغدر والتجبر والتكبر والخيلاء، وقلة الورع واليقين وقلة الرحمة والمروءة والحمية، وكثرة الهلع، والتكالب على الدنيا، والكسل في الخيرات وهذا الحال يكذب لسان المقال» والجواب من وجوه.

(أحدها) أن يقال: ماذا على الرسل الكرام من معاصي أممهم وأتباعهم؟! وهل يقدح ذلك شيئاً في نبوتهم أو يغير وجه رسالتهم؟! وهل سلم من الذنوب على اختلاف أنواعها وأجناسها إلا الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؟! وهل يجوز رد رسالتهم وتكذيبهم بمعصية بعض أتباعهم لهم؟! وهل هذا إلا من أقبح التعنت؟! وهو بمنزلة رجل مريض دعاه طبيب ناصح إلى سبب ينال به غاية عافيته فقال: لو كنت طبيباً لم يكن فلان وفلان مرضى! وهل يلزم الرسل أن يشفوا جميع المرضى بحيث لا يبقى في العالم مريض؟! هل تعنت أحد من الناس للرسل بمثل هذا التعنت؟!

[ذنوب الموحدين من المسلمين في جنب عظائم اليهود والنصارى كتفلة في بحر!]

(الوجه الثاني) أن الذنوب والمعاصي أمر مشترك بين الأمم لم تزل في العالم من طبقات بني آدم عالمهم وجاهلهم وزاهدهم في الدنيا وراغبهم وأميرهم ومأمورهم، وليس ذلك أمراً اختصت به هذه الأمة حتى يقدح به فيها وفي نبيها.

(الوجه الثالث) أن الذنوب والمعاصي لا تنافي الايمان بالرسل، بل يجتمع في

العبد الاسلام والايمان والذنوب والمعاصي، فيكون فيه هذا وهذا. فالمعاصي لا تنافي الايمان بالرسل وان قدحت في كماله وتمامه.

(الوجه الرابع) أن الذنوب تغفر بالتوبة النصوح، فلو بلغت ذنوب العبد عنان السماء وعدد الرمل والحصا ثم تاب منها تاب الله عليه، قال تعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)[٢٦] فهذا في حق التائب؛ فان التوبة تجبّ[٢٧] ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوحيد يكفر الذنوب، كما في الحديث الصحيح الالهي: «ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة» فالمسلمون ذنوبهم ذنوب موحد إن قوي التوحيد على محو آثارها بالكلية، وإلا فما معهم من التوحيد يخرجهم من النار إذا عذبوا بذنوبهم. وأما المشركون والكفار فان شركهم وكفرهم يحبط حسناتهم، فلا يلقون ربهم بحسنة يرجون بها النجاة، ولا يغفر لهم شيء من ذنوبهم، قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٢٨] وقال تعالى في حق الكفار والمشركين: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)[٢٩] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ابى الله أن يقبل من مشرك عملا» فالذنوب تزول آثارها بالتوبة النصوح، والتوحيد الخالص، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة لها، وشفاعة الشافعين في الموحدين، وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار؛ وأما الشرك بالله والكفر بالرسول فانه يحبط جميع الحسنات بحيث لا تبقى معه حسنة.

[من فضائح اليهود وقبائحهم المنكرة]

(الوجه الخامس) أن يقال لمورد هذا السؤال إن كان من الأمة الغضبية إخوان

(٢٦) الزمر/ ٥٣

(٢٧) تمحو وتستر.

(٢٨) سورة النساء/ ٤٨ و ١١٦

(٢٩) سورة الفرقان/ ٢٣

القردة: ألا يستحي من إيراد هذا السؤال من آباؤه وأسلافه كانوا يشاهدون في كل يوم من الآيات ما لم يره غيرهم من الأمم؟! وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وما جفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون)[٣٠] ولما ذهب لميقات ربه لم يمهلوه أن عبدوا بعد ذهابه العجل المصوغ، وغُلِب أخوه هرون معهم ولم يقدر على الانكار عليهم، وكانوا مع مشاهدتهم تلك الآيات والعجائب يهمون برجم موسى وأخيه هرون في كثير من الأوقات والوحي بين أظهرهم!! ولما ندبهم الى الجهاد قالوا (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)[٣١] وآذوا موسى أنواع الأذى حتى قالوا: إنه آدر- أي منتفخ الخصية- ولهذا يغتسل وحده، فاغتسل يوماً ووضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فعدا خلفه عرياناً حتى نظر بنو إسرائيل إلى عورته فرأوه احسن خلق الله متجرداً، ولما مات اخوه هرون قالوا: إن موسى قتله وغيبه. فرفعت الملائكة لهم تابوته بين السماء والارض حتى عاينوه ميتاً، وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء والعدس. هكذا عندهم. والذي حكاه الله عنهم أنهم آثروا ذلك على المن والسلوى؛ وانهماكهم على الزنا وموسى بين اظهرهم وعدوُّهم بازائهم حتى ضعفوا عنهم ولم يظفروا بهم، وهذا معروف عندهم، وعبادتهم الاصنام بعد عصر يوشع بن نون معروف، وتحيلهم على صيد الحيتان في يوم السبت لا تنسه، حتى مسخوا قردة خاسئين، وقتلهم الأنبياء بغير حق حتى قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً، في أول النهار وأقاموا السوق آخره كأنهم جزروا غنماً وذلك أمر معروف، وقتلهم يحيى ابن زكريا، ونشرهم إياه بالمنشار، وإصرارهم على العظائم، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة، ورميهم لوطاً بأنه وطىء أبنتيه وأولدهما، ورميهم يوسف بأنه حل سراويله وجلس من امرأة العزيز مجلس المرأة من القابلة حتى انشق له الحائط وخرجت له كف يعقوب وهو عاض على أنامله فقام وهرب. وهذا لو رآه افسق الناس وأفجرهم لقام ولم يقض غرضه، وطاعتهم للخارج على ولد سليمان بن داود

---

(٣٠) الأعراف/ ١٣٨

(٣١) المائدة/ ٢٤

لما وضع لهم كبشين من ذهب «عكفت جماعتهم على عبادتهما، الى أن جرت الحرب بينهم وبين المؤمنين الذين كانوا مع ولد سليمان، وقتل منهم في معركة واحدة ألوف مؤلفة. أفلا يستحي عباد الكباش والبقر من تعيير الموحدين بذنوبهم؟! أولا تستحي ذرية قتلة الأنبياء من تعيير المجاهدين لاعداء الله؟! فاين ذرية مَنْ سيوف آبائهم تقطر من دماء الأنبياء ممن تقطر سيوفهم من دماء الكفار والمشركين؟! وألا يستحي من يقول في صلاته لربه: انتبه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك، ينخيه بذلك ويحميه، من تعيير من يقول في صلاته (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين)[٣٢] فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا والرمال والتراب والانفاس ما بلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت الى قول إخوان القردة (إن الله فقير ونحن أغنياء)[٣٣] وقولهم (عزير ابن الله)[٣٤] وقولهم (نحن أبناء الله وأحباؤه)[٣٥] وقولهم: إن الله بكى على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعوده، وقولهم: إنه عض أنامله على ذلك، وقولهم: إنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم، وأعظم من ذلك نسبة هذا كله الى التوراة التي أنزلها على كليمه. فلو بلغت ذنوب المسلمين ما بلغت لكانت في جنب ذلك كتفلة في بحر، ولا تنس «قصة أسلافهم مع شاؤل الخارج على داود» فان سوادهم الأعظم انضم اليه وشدوا معه على حرب داود، ثم لما عادوا الى طاعة داود وجاءت وفودهم وعساكرهم مستغفرين معتذرين بحيث اختصموا في السبق اليه فنبغ منهم شخص ونادى بأعلى صوته: لا نصيب لنا في داود ولا حظ في شاؤل، ليمض كل منكم الى خبائه[٣٥] يا اسرائيليون، فلم يكن بأوشك من أن ذهب جميع عسكر بني اسرائيل الى أخبيتهم بسبب كلمته، ولما قتل هذا الصائح عادت العساكر جميعها الى خدمة داود، فما كان القوم الا مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصى!!

---

(٣٢) الفاتحة/ ٢ـ ٥

(٣٣) آل عمران/١٨١

(٣٤) المائدة/ ١٨

(٣٥) الخباء: خيمة من وبر أو صوف أو شعر، للسكن.

[افتراق اليهود، واختلاقهم كتاب علم الذباحة]

(فصل) وهذه «الأمة الغضبية» وان كانوا مفترقين افتراقاً كثيرا فيجمعهم فرقتان «القرابون والربانون» وكان لهم أسلاف فقهاء وهم صنفوا لهم كتابين: أحدهما يسمىٰ «المشنا» ومبلغ حجمه نحو ثمانمائة ورقة، والثاني يسمى «التلمود» ومبلغه قريب من نصف حمل بغل، ولم يكن المؤلفون له في عصر واحد وانما ألفوه في جيل بعد جيل، فلما نظر متأخروهم الى ذلك وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه، وفي الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيرا من أوله، علموا أنهم ان لم يقفلوا باب الزيادة والا أدى الى الخلل الفاحش فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهائهم وحرموا من يزيد عليه شيئاً فوقف الكتاب على ذلك المقدار، وكان فقهاؤهم قد حرموا عليهم في هذين الكتابين مؤاكلة من كان على غير ملتهم، وحظروا عليهم أكل اللحمان[٣٦] من ذبائح من لم يكن على دينهم، لأنهم علموا أن دينهم لا يبقى عليهم مع كونهم تحت الذل والعبودية وقهر الأمم لهم الا أن يصدوهم عن مخالطة من كان على غير ملتهم، وحرموا عليهم مناكحتهم والاكل من ذبائحهم، ولم يمكنهم ذلك الا بحجة يبتدعونها من أنفسهم ويكذبون فيها على الله، فان التوراة انما حرمت عليهم مناكحة غيرهم من الأمم لئلا يوافقوا أزواجهم في عبادة الأصنام والكفر بالله، وانما حرمت عليهم أكل ذبائح الامم التي يذبحونها قربانا للاصنام لأنه سمي عليها غير اسم الله، فاما ما ذكر عليه اسم الله وذبح لله فلم تنطق التوراة بتحريمه البتة بل نطقت بإباحة أكلهم من أيدي غيرهم من الأمم، وموسى إنما نهاهم عن مناكحة عباد الأصنام خاصة وأكل ما يذبحونه باسم الاصنام، قالوا: التوراة حرمت علينا أكل الطريفا، قيل لهم: الطريفا هي الفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيرهما من السباع كما قال في التوراة «ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا وللكلب القوه» فلما نظر فقهاؤهم الى أن التوراة غير ناطقة بتحريم مآكل الأمم عليهم إلا عباد الاصنام وصرحت التوراة بأن تحريم مؤاكلتهم ومخالطتهم خوف استدراج المخالطة الى المناكحة والمناكحة قد

---

(٣٦) اللَّحْم واللحام واللُّحمان بمعنى.

تستتبع الانتقال من دينهم الى اديانهم وموافقتهم في عبادة الأوثان ووجدوا جميع هذا واضحاً في التوراة اختلقوا كتابا سموه «هلكث شحيطا» وتفسيره! علم الذباحة، ووضعوا في هذا الكتاب من الآصار والاغلال ما شغلوهم به عما هم فيه من الذل والصغار والخزى، فامروهم فيه أن ينفخوا الرئة حتى يملؤوها هواء ويتأملونها هل يخرج الهواء من ثقب منها أم لا فان خرج منها الهواء حرموه، وان كانت بعض أطراف الرئة لا صقة ببعض لم يأكلوه، وأمروا الذي يتفقد الذبيحة أن يدخل يده في بطن الذبيحة ويتأمل بأصابعه فان وجد القلب ملتصقا إلى الظهر أو أحد الجانبين ولو كان الالتصاق بعرق دقيق كالشعرة حرموه ولم يأكلوه وسموه «طريفا» ومعنى هذه اللفظة عندهم أنه نجس حرام، وهذه التسمية عدوان منهم؛ فان معناها في لغتهم هي الفريسة التي يفترسها السبع ليس لها معنى في لغتهم سواه، ولذلك عندهم في التوراة ان إخوة يوسف لما جاؤا بقميصه ملطخاً بالدم قال يعقوب في جملة كلام «طاروف طوراف يوسيف» تفسيره: وحش ردي أكله افتراساً افترس يوسف، وفي التوراة «ولحم في الصحراء فريسة لا تأكلوا» فهذا الذي حرمته التوراة من الطريفا، وهذا نزل عليهم وهم في التيه وقد اشتد قرمهم[٣٧] الى اللحم فمنعوا من أكل الفريسة والميتة، ثم اختلفوا في خرافات وهذيانات تتعلق بالرئة وقالوا ما كان من الذبائح سليما من هذه الشروط فهو «دخيا» وتفسيره طاهر، وما كان خارجاً عن ذلك فهو «طريفا» وتفسيره نجس حرام ثم قالوا: معنى قوله في التوراة: «ولحم فريسة في الصحراء لا تأكلوه، للكلب القوه» يعني إذا ذبحتم ذبيحة ولم توجد فيها هذه الشروط فلا تأكلوها بل بيعوها على من ليس من أهل ملتكم، قالوا ومعنى قوله «للكلب القوه» أي لمن ليس على ملتكم فهو الكلب فأطعموه إياه بالثمن، فتأمل هذا التحريف والكذب على الله وعلى التوراة وعلى موسى، ولذلك كذبهم الله على لسان رسوله في تحريم ذلك فقال في السورة المدنية التي خاطب فيها أهل الكتاب (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون، إنما حرم عليكم الميتة والدم

---

(٣٧) قرِمَ الى اللحم قَرَماً: اشتدت شهوته اليه.

ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله)[٣٨] الآية وقال في سورة الانعام: (قل لا أجدُ فيما أوحيَ إليَّ محرَّماً على طاعم يطعَمُه إلا أن يكون مَيْتةً أو دماً مسفوحاً أو لحمَ خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهِلَّ لغير الله به، فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم. وعلى الذين هادوا حرَّمنا كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم)[٣٩] فهذا تحريم زائد على تحريم الاربعة المتقدمة، وقال في سورة النحل وهي بعد هذه السورة نزولا: (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل)[٤٠] فهذا المحرم عليهم بنص التوراة ونص القرآن.

فلما نظر «القرابون» منهم وهم أصحاب عايان وبنيامين الى هذه المحالات الشنيعة والافتراء الفاحش والكذب البارد على الله وعلى التوراة وعلى موسى وان أصحاب «التلمود والمشنا» كذابون على الله وعلى التوراة وعلى موسى، وأنهم أصحاب حماقات ورقاعات، وان أتباعهم ومشايخهم يزعمون أن الفقهاء منهم كانوا إذا اختلفوا في مسألة من هذه المسائل وغيرها يوحي الله اليهم بصوت يسمعونه «الحق في هذه المسألة مع الفقيه فلان» ويسمون هذا الصوت «بث قول» فلما نظر «القرابون» الى هذا الكذب المحال قالوا: قد فسق هؤلاء، ولا يجوز قبول خبر فاسق ولا فتواه، فخالفوهم في سائر ما أصلوه من الامور التي لم ينطق بها نص التوراة. وأما تلك الترهات التي الفها فقهاؤهم الذين يسمونهم «الحخاميم» في علم الذباحة ورتبوها ونسبوها الى الله فاطَّرحها القرابون كلها وألغوها، وصاروا لا يحرمون شيئاً من الذبائح التي يتولون ذبحها البتة، ولهم فقهاء أصحاب تصانيف الا أنهم يبالغون في الكذب على الله، وهم أصحاب ظواهر مجردة، والاولون أصحاب استنباط وقياسات.

(فصل) والفرقة الثانية يقال لهم «الربانون» وهم أكثر عددا، وفيهم الحخاميم

---

(٣٨) سورة البقرة/ ١٧٣

(٣٩) الأنعام/ ١٤٥

(٤٠) النحل/ ١١٨

الكذابون على الله الذين زعموا ان الله كان يخاطب جميعهم في كل مسألة بالصوت الذي يسمونه «بث قول» وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الامم، فان الحخاميم أوْ همَوهم بأن الذبائح لا يحل منها الا ما كان على الشروط التي ذكروها، فان سائر الامم لا تعرف هذا وانه شيء خصوا به وميزوا بهم عمن سواهم، وان الله شرفهم به كرامة لهم، فصار الواحد منهم ينظر الى من ليس على نحلته كما ينظر الى الدابة، وينظر الى ذبائحه كما ينظر الى الميتة، واما «القرابون» فاكثرهم خرجوا الى دين الاسلام ونفعهم تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها الى ان لم يبق منهم إلا القليل لأنهم أقرب استعدادا لقبول الاسلام لأمرين. . (أحدهما) اساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله وطعنهم عليهم. . (الثاني) تمسكهم بالظواهر وعدم تحريفها وابطال معانيها.

واما أولئك «الربانون» فان فقهاءهم وحخاميمهم حصروهم في مثل سَمِّ الخياط ووضعوا لهم من التشديدات والآصار والاغلال المضافة الى الآصار والاغلال التي شرعها الله عقوبة لهم، وكان لهم في ذلك مقاصد. . (منها) انهم قصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الامم حتى لا يختلطوا بهم فيؤدي اختلاطهم بهم الى موافقتهم والخروج من السبت واليهودية. . (القصد الثاني) أن اليهود مبددون في شرق الارض وغربها وجنوبها وشمالها كما قال تعالى: (وقطّعناهم في الأرض أمماً).

[حيل حخاميمهم الدنيئة]

وما من جماعة منهم في بلدة الا اذا قدم عليهم رجل من أهل دينهم من بلاد بعيدة يظهر لهم الخشونة في دينه والمبالغة في الاحتياط، فان كان من فقهائهم شرع في إنكار أشياء عليهم يوهمهم قلة دينهم وعلمهم، وكلما شدد عليهم قالوا هذا هو العالم، فأعلمهم أعظمهم تشديداً عليهم، فتراه أول ما ينزل عليهم لا يأكل من أطعمتهم وذبائحهم، ويتأمل سكين الذباح ويشرع في الانكار عليه ببعض أمره، ويقول لا آكل الا من ذبيحة يدي، فتراهم معه في عذاب، ويقولون هذا عالم غريب قدم علينا فلا يزال ينكر عليهم الحلال ويشدد عليهم الآصار والاغلال ويفتح لهم

أبواب المكر والاحتيال، وكلما فعل هذا قالوا: هذا هو العالم الرباني والجخيم الفاضل، فاذا رآه رئيسهم قد مشى حاله وقبل بينهم مقاله وزن نفسه معه فاذا رأى انه ازدرى به وطعن عليه لم يقبل منه، فان الناس في الغالب يميلون مع الغريب وينسبه اصحابه الى الجهل وقلة الدين، ولا يصدقونه لأنهم يرون القادم قد شدد عليهم وضيق، وكلما كان الرجل أعظم تضييقاً وتشديداً كان أفقه عندهم، فينصرف عن هذا الرأى فيأخذ في مدحه وشكره، فيقول: لقد عظم الله ثواب فلان إذ قوى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة، وشيد اساسه، واحكم سياج الشرع، فيبلغ القادم قوله فيقول ما عندكم أفقه منه ولا أعلم بالتوراة واذا لقيه يقول: لقد زين الله بك أهل بلدنا، ونعش[٤١] بك هذه الطائفة !!! وان كان القادم عليهم حبزاً من أحبارهم فهناك ترى العجب العجيب من الناموس التي تراه يعتمده والسنن التي يحدثها، ولا يعترض عليه أحد، بل تراهم مسلّمين له، وهو يحتلب درّهم ويجتلب درهمهم، واذا بلغه عن يهودي طعن عليه صبر عليه حتى يرى منه جلوسا على قارعة الطريق يوم السبت أو يبلغه أنه اشترى من مسلم لبناً أو خرج عن بعض أحكام «المشنا، والتلمود» فحرمه بين ملأ اليهود وأباحهم عرضه ونسبه الى الخروج عن اليهودية، فيضيق به البلد على هذه الحال، فلا يسعه إلا أن يصلح ما بينه وبين الحبر بما يقتضيه الحال، فيقول لليهود: إن فلاناً قد أبصر رشده وراجع الحق وأقلع عما كان فيه وهو اليوم يهودي على الوضع، فيعودون له بالتعظيم والاكرام!!!

[من شريعتهم نكاح امرأة الأخ أو العار!!!]

وأذكر لك مسألة من مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ تعرف بمسألة «البياما والجالوس» وهي ان عندهم في التوراة: اذا أقام أَخَوان في موضع واحد ومات أحدهما ولم يعقب ولداً فلا تصير امرأة الميت الى رجل أجنبي بل حموها ينكحها، وأول ولد يولدها ينسب الى أخيه الدارج، فان أبى ان ينكحها خرجت متشكية الى مشيخة قومه قائلة قد أبى حَمَوي أن يستبقي إسما لأخيه في بني اسرائيل ولم يرد نكاحي

(٤١) نعش: رفع. ولا يقال: أنعشه الله.

فيحضره ويكلفه أن يقف ويقول ما أردت نكاحها، فتتناول المرأة نعله فتخرجه من رجله وتمسكه بيدها وتبصق في وجهه وتنادي عليه: كذا فليصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. ويدعى فيما بعد بالمخلوع النعل، وينتبز بنوه بهذا اللقب، وفي هذا كالتلجئة له الى نكاحها، لانه اذا علم انه قد فرض على المرأة وعليه ذلك فربما استحيا وخجل من شيل نعله من رجله والبصق في وجهه ونبزه باللقب المستكره الذي يبقى عليه وعلى أولاده عاره ولم يجد بداً من نكاحها فان كان من الزهد فيها والكراهة لها بحيث يرى ان هذا كله اسهل عليه من أن يبتلى بها وهان عليه هذا كله في التخلص منها لم يكره على نكاحها، هذا عندهم في التوراة. ونشأ لهم من ذلك فرع مرتب عليه وهو: ان يكون مريداً للمرأة محباً لها وهي في غاية الكراهة له، فأحدثوا لهذا الفرع حكما في غاية الظلم والفضيحة فاذا جاءت الى الحاكم أحضروه معها ولقنوها أن تقول: ان حموى لا يقيم لاخيه اسما في بني اسرائيل، ولم يرد نكاحي، وهو عاشق لها- فيلزمونها بالكذب عليه وانها أرادته فامتنع- فاذا قالت ذلك ألزمه الحاكم أن يقوم ويقول: ما أردت نكاحها- ونكاحها غاية سؤله وأمنيته، فيأمرونه بالكذب عليها- فيخرج نعله من رجله الا انه لامسك هنا ولا ضرب بل يبصق في وجهه وينادى عليه: هذا جزاء من لا يبني بيت أخيه. فلم يكفهم أن كذبوا عليه حتى أقاموه مقام الخزي وألزموه بالكذب والبصاق في وجهه والعتاب على ذنب جره غيره، كما قيل:

وجــرم جــرّه ســفــهــاء قــوم   وحــلَّ بغــير جــارمــه العــذاب

أفلا يستحي من تعيير المسلمين من هذا شرعه ودينه؟!

[ما لاقاه اخوان القردة . . من الاذلال والصغار من مختلف الأمم والدول وكان سبب طمس معالم دينهم وآثارهم]

(فصل) ولا يستبعد اصطلاح الامة الغضبية على المحال واتفاقهم على أنواع من الكفر والضلال فان الدولة اذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذ بلادها انطمست حقائق سالف- أخبارها ودرست معالم دينها وآثارها، وتعذر الوقوف

على الصواب الذي كان عليه اولوها وأسلافها؛ لأن زوال الدولة عن الامة انما يكون بتتابع الغارات وخراب البلاد واحراقها وجلاء أهلها عنها، فلا تزال هذه البلايا متتابعة عليها الى ان تستحيل رسوم دياناتها وتضمحل أصول شرعها وتتلاشى قواعد دينها، وكلما كانت الامة أقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالاذلال والصغار كان حظها من اندراس دينها أوفر وهذه الأمة الغضبية أوفر الأمم حظاً من ذلك؛ فانها أقدم الأمم عهدا، واستولت عليها سائر الأمم من الكندانين والكلدانيين والبابليين والفرس واليونان والنصارى، وما من هذه الامم أمة الا وقصدت استئصالهم واحراق كتبهم وتخريب بلادهم، حتى لم يبق لهم مدينة ولا جيش ولا حصن الا بأرض الحجاز وخيبر فأعز ما كانوا هناك، فلما قام الاسلام واستعلن الرب تعالى من جبال فاران صادفهم تحت ذمة الفرس والنصارى وصادف هذه الشرذمة بخيبر والمدينة فأذاقهم الله بالمسلمين من القتل والسبي وتخريب الديار ذنوباً[٤٢] مثل ذنوب أصحابهم، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء فكتب الله عليهم الجلاء وشتتهم ومزقهم بالاسلام كل ممزق، ومع هذا فلم يكونوا مع أمة من الأمم أطيب منهم مع المسلمين ولا آمن، فأن الذي نالهم من النصارى والفرس وعباد الأصنام لم ينلهم من المسلمين مثله، وكذلك الذي نالهم مع ملوكهم العصاة الذين قتلوا الأنبياء وبالغوا في طلبهم وعبدوا الأصنام، وأحضروا من البلاد سدنة للأصنام لتعظيمها وتعظيم رسومها في العبادة وبنوا لها البيع والهياكل وعكفوا على عبادتها وتركوا لها أحكام التوراة وشرع موسى أزمنة طويلة وأعصاراً متصلة، فاذا كان هذا شأنهم مع ملوكهم فما الظن بشأنهم مع أعدائهم أشد الأعداء عليهم كالنصارى الذين عندهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه وصفعوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وكالفرس والكلدانيين وغيرهم.

[صلاتهم دعاء على الأمم.. وإفك على الله تعالى وتقدس]

وكثيراً ما منعهم ملوك الفرس من الختان وجعلوهم قُلفاً[٤٣]، وكثيراً ما

(٤٢) الذَّنوب: النصيب، وهو أيضاً الدلو الملأى ماءً.

(٤٣) يقال رجل أقلف: أي لم يُختَن. ويجمع على قُلْف.

منعوهم من الصلاة لمعرفتهم بان معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى بلادهم بالخراب إلا ارض كنعان، فلما رأوا أن صلاتهم هكذا منعوهم من الصلاة، فرأت اليهود أن الفرس قد جدوا في منعهم من الصلاة فاخترعوا أدعية مزجوا بها صلاتهم سموها «الخزانة» وصاغوا لها ألحاناً عديدة وصاروا يجتمعون على تلحينها وتلاوتها، والفرق بين الخزانة والصلاة أن الصلاة بغير لحن ويكون المصلي فيها وحده والخزانة بلحن يشاركه غيره فيه، فكانت الفرس إذا أنكروا ذلك عليهم قالت اليهود نحن نغني وننوح على أنفسنا فيخلون بينهم وبين ذلك، فجاءت دولة الاسلام فأمنوا فيها غاية الأمن، وتمكنوا من صلاتهم في كنائسهم، واستمرت الخزانة سنة فيهم في الأعياد والمواسم والأفراح وتعوضوا بها عن الصلاة.

والعجب أنهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسخ أسلافهم قردة لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة وتعطيلهم لاحكامها يقولون في كل يوم في صلاتهم «محبة الدهر» أحبنا يا إلهنا! يا أبانا! أنت أبونا منقذنا! ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه، وأنهم سيقيم الله لهم نبياً من آل داود اذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود، وهو بزعمهم المسيح الذي وعدوا به، وينبهون الله بزعمهم من رقدته في صلاتهم، وينخونه ويحمونه تعالى الله عن إفكهم وضلالهم علواً كبيراً. وضلال هذه الأمة الغضبية وكذبها وافتراؤها على الله ودينه وأنبيائه لا مزيد عليه.

وأما أكلهم الربا والسحت والرشا[٤٤]، واستبدادهم دون العالم بالخبث والمكر والبهت، وشدة الحرص على الدنيا، وقسوة القلوب، والذل والصغار، والخزي، والتحيل على الاغراض الفاسدة، ورمي البرآء[٤٥] بالعيوب، والطعن على الأنبياء: فأرخص شيء عندهم، وما عيروا به المسلمين مما ذكروه ومما لم يذكروه فهو في بعضهم

(٤٤) الرشا: بكسر الراء وضمها: جمع رشوة.

(٤٥) جمع بريء.

وليس في جميعهم ونبيهم وكتابه ودينه وشرعه بريء منه، وما عليه من معاصي أمته وذنوبهم، فالى الله إيابهم وعلى الله حسابهم.

[اساس دين النصارى قائم على شتم الله. والشرك به]

[خرافة الفداء]

(فصل) وإن كان المعير للمسلمين من أمة الضلال وعباد الصليب والصور المدهونة في الحيطان والسقوف فيقال له: ألا يستحي من أصل دينه الذي يدين به اعتقاده أن رب السموات والارض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض، فالتحم ببطنها، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو[٤٦] وبول ودم طمث، ثم خرج الى القماط والسرير كلما بكى ألقمته أمه ثديها، ثم انتقل الى المكتب بين الصبيان، ثم آل أمره الى لطم اليهود خديه، وصفعهم قفاه، وبصقهم في وجهه، ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبة في يده؛ استخفافاً به وانتهاكا لحرمته. ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه، فشدوه عليه وربطوه بالحبال، وسمروا يديه ورجليه، وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب؛ هذا وهو الذي خلق السموات والأرض، وقسم الأرزاق والآجال؛ ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعداءه من نفسه لينالوا منه ما نالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم، ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس؛ فان روح آدم وإبراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعداءه من صلبه!!!

[مقالة أشباه الحمير في مريم وابنها]

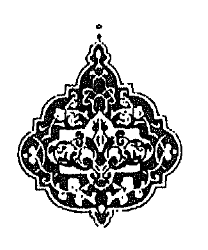
وأما قولهم في «مريم» فانهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة، ووالدته

---

(٤٦) النَّجو: ما يخرج من البطن.

في الحقيقة، لا أم لابن الله إلا هي؛ ولا والدة له غيرها، ولا أب لابنها إلا الله، ولا ولد له سواه، وان الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء، ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها، ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله، وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره، ولا والد له سواه، وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها، وابنها عن يمينه. والنصارى يدعونها ويسألونها سعة الرزق، وصحة البدن، وطول العمر، ومغفرة الذنوب، وأن تكون لهم عند إبنها ووالده ـ الذي يعتقد عامتهم أنه زوجها، ولا ينكرون ذلك عليهم ـ سوراً وسنداً وذخراً وشفيعاً وركناً، ويقولون في دعائهم: يا والدة الاله إشفعي لنا! وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين، ويسألونها ما يسأل الالّه من العافية والرزق والمغفرة، حتى أن «اليعقوبية» يقولون في مناجاتهم لها: يا مريم يا والدة الالّه، كوني لنا سوراً وسنداً وذخراً وركناً، «والنسطورية» يقولون: يا والدة المسيح كوني لنا كذلك! ويقولون لليعقوبية لا تقولوا يا والدة الالّه وقولوا يا والدة المسيح، فقالت لهم اليعقوبية: المسيح عندنا وعندكم إلّه في الحقيقة فأي فرق بيننا وبينكم في ذلك؟ ولكنكم أردتم مصالحة المسلمين ومقاربتهم في التوحيد. هذا والأوقاح الأرجاس من هذه الأمة تعتقد أن الله سبحانه اختار مريم لنفسه ولولده، وتخطاها كما يتخطى الرجل المرأة، قال النظّام بعد أن حكى ذلك عنهم: وهم يفصحون بهذا عند من يثقون به وقد قال ابن الاخشيد هذا عنهم في المعونة، وقال: اليه يشيرون، ألا ترون أنهم يقولون، من لم يكن والداً يكون عقيما والعقم آفة وعيب، وهذا قول جميعهم والى المباضعة يشيرون ومن خالط القوم وطاولهم وباطنهم عرف ذلك منهم فهذا كفرهم وشركهم برب العالمين ومسبتهم له، ولهذا قال فيهم أحد الخلفاء الراشدين: أهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في الحديث الصحيح أنه قال: شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وكذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، أما شتمه إياي فقوله اتخذ ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون

علي من إعادته» فلو أتى الموحدون بكل ذنب وفعلوا كل قبيح وارتكبوا كل معصية ما بلغت مثقال ذرة في جنب هذا الكفر العظيم برب العالمين، ومسبته هذا السب، وقول العظائم فيه. فما ظن هذه الطائفة برب العالمين أن يفعله بهم اذا لقوه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)[٤٧] ويُسأل المسيح على رؤوس الاشهاد وهم يسمعون (يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٓهين من دون الله) فيقول المسيح مكذباً لهم ومتبرئاً منهم: (سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علاّم الغيوب، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)[٤٨]؟!!



(٤٧) سورة آل عمران/ ١٠٦

(٤٨) المائدة/ ١١٦ـ ١١٧

الفصل الحادي عشر

[النصارى مخالفون للمسيح في كل فروع دينهم أيضاً:]

[في الطهارة والصلاة والصوم وأكل الخنزير وتعليق الصليب. . .]

(فصل) فهذا اصل دينهم واساسه الذي قام عليه واما فروعه وشرائعه فهم مخالفون للمسيح في جميعها، وأكثر ذلك بشهادتهم وإقرارهم ولكن يحيلون على البتاركة والاساقفة؛ فان المسيح صلوات الله وسلامه عليه كان يتدين بالطهارة، ويغتسل من الجنابة، ويوجب غسل الحائض. وطوائف النصارى عندهم أن ذلك كله غير واجب، وان الانسان يقوم من على بطن المرأة ويبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر، والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك وصلاته صحيحة تامة، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره فضلا عما سوى ذلك. ويقولون ان الصلاة بالجنابة والبول والغائط افضل من الصلاة بالطهارة، لأنها حينئذ ابعد من صلاة المسلمين واليهود واقرب الى مخالفة الأمتين. ويستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه، وهذه الصلاة رب العالمين بريء منها، وكذلك المسيح وسائر النبيين؛ فان هذه بالاستهزاء أشبه منها بالعبادة، وحاش المسيح أن تكون هذه صلاته أو صلاة أحد من الحواريين، والمسيح كان يقرأ في صلاته ما كان الانبياء وبنو اسرائيل يقرؤونه في صلاتهم من التوراة والزبور؛ وطوائف النصارى إنما يقرؤون في صلاتهم كلاما قد لحنه لهم الذين يتقدمون ويصلون بهم، يجري مجرى النوح والاغاني. فيقولون: هذا قداس فلان وهذا قداس فلان. ينسبونه الى الذين وضعوه، وهم يصلون الى الشرق. وما صلى المسيح الى الشرق قط، وما صلى الى أن توفاه الله الا الى بيت المقدس، وهي قبلة داود والأنبياء قبله، وقبله بني اسرائيل. والمسيح اختتن وأوجب الختان كما أوجبه موسى وهارون والأنبياء قبل المسيح. والمسيح حرم الخنزير، ولعن آكله، وبالغ في ذمه؛ والنصارى تقر بذلك ولقى الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة؛ والنصارى تتقرب اليه بأكله. والمسيح ما شرع لهم هذا الصوم

الذي يصومونه قط ولا صامه في عمره مرة واحدة ولا أحد من اصحابه، ولا صام صوم العذارى في عمره، ولا أكل في الصوم ما يأكلونه ولا حرم فيه ما يحرمونه، ولا عطل السبت يوماً واحداً حتى لقي الله، ولا اتخذ الأحد عيدا قط، والنصارى تقر أنه رقى مريم المجد الانسية فأخرج منها سبع شياطين، وان الشياطين قالت: له أين نأوي فقال لها: اسلكي هذه الدابة النجسة يعني الخنزير. فهذه حكاية النصارى عنه وهم يزعمون أن الخنزير من أطهر الدواب وأجملها، والمسيح سار في الذبائح والمناكح والطلاق والمواريث والحدود سيرة الأنبياء قبله.

[الراهب والقسيس يغفر ذنوبهم!! ويطيب لهم نسائهم!!!]

وليس عند النصارى على من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في الآخرة؛ لأن القس والراهب يغفره لهم فكلما أذنب أحدهم ذنبا أهدى للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره ليغفر له به!! واذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها وتبرك به!!!

[المسيح لم يفوض الأساقفة والبتاركة في التشريع]

[مناقضة النصارى لليهود]

وهم يقرون أن المسيح قال: «انما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضاً بل متمما، ولأن تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى؛ ومن نقض شيئاً من ذلك يدعى ناقضا في ملكوت السماء» وما زال هو وأصحابه كذلك الى أن خرج من الدنيا، وقال لاصحابه: «اعملوا بما رأيتموني أعمل، وارضوا من الناس بما أرضيتكم به، ووصوا الناس بما وصيتكم به، وكونوا معهم كما كنت معكم، وكونوا لهم كما كنت لكم» وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب الى

الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة.

فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح: إنه ساحر مجنون ممخرق ولد زانية فقالوا: هو إله تام وهو ابن الله!! ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان!! ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة!! ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها! ورأوهم يحرمون الخنزير، فاباحوه وجعلوه شعار دينهم، ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا ما دون الفيل الى البعوضة وقالوا: كل ما شئت ودع ما شئت لا حرج، ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق، ورأوهم يحرمون على الله نسخ شريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركتهم أن ينسخوا ما شاؤا ويحللوا ما شاؤا ويحرموا ما شاؤا، ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الاحد وأحلوا السبت مع اقرارهم بان المسيح كان يعظم السبت ويحفظه، ورأوهم ينفرون من الصليب، فان في التوراة «ملعون من تعلق بالصليب» والنصارى تقر بهذا، فعبدوا هم الصليب، كما ان في التوراة تحريم الخنزير نصاً فتعبدوا هم بأكله، وفيها الأمر بالختان فتعبدوا هم بتركه مع اقرار النصارى بأن المسيح قال لاصحابه: إنما جئتكم لاعمل بالتوراة ووصايا الأنبياء قبلي، وما جئت ناقضا بل متمما، ولأن تقع السماء على الارض أيسر عند الله من أن أنقض شيئا من شريعة موسى» فذهبت النصارى تنقضها شريعة شريعة في مكايدة اليهود ومغايظتهم وانضاف الى هذا السبب ما في كتابهم المعروف عندهم «بافر كسيس» ان قوماً من النصارى خرجوا من بيت المتدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام فدعوا الناس الى دين المسيح الصحيح، فدعوهم الى العمل بالتوراة وتحريم ذبائح من ليس من أهلها، والى الختان واقامة السبت، وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمته التوراة، فشق ذلك على الأمم واستثقلوه، فاجتمع النصارى ببيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم ليحببوهم الى دين المسيح ويدخلوا فيه، فاتفق رأيهم على مداخلة الأمم والترخيص لهم والاختلاط بهم، وأكل ذبائحهم، والانحطاط في أهوائهم، والتخلق بأخلاقهم وانشاء شريعة تكون بين شريعة

الانجيل وما عليه الأمم وأنشأوا في ذلك كتاباً، فهذا أحد مجامعهم الكبار. وكانوا كلما أرادوا إحداث شيئاً اجتمعوا مجمعاً وافترقوا فيه على ما يريدون إحداثه الى أن اجتمعوا المجمع الذي لم يجتمع لهم أكبر منه في عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية، وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذي أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد، وكان عدتهم زهاء الفي رجل، فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه، ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم- والنصارى يسمونهم الآباء- فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لاحد منهم نصرانية إلا به، ويسمونه «سنهودس» وهي «الأمانة»!!

[أمانة المثلثة أكبر خيانة]

ولفظها: «نؤمن بالله الأب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى، وبالرب الواحد اليسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء، الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب، وقتل أيام فيلاطس الرومي، ومات ودفن، وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد الى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والاحياء. ونؤمن بالرب الواحد روح القدس روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية سليحية جاثليقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة الى أبد الآبدين» فصرحوا فيها بأن المسيح رب وانه ابن الله، وانه بكره ليس له ولد غيره، وأنه ليس بمصنوع: أي ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق، وانه إله حق استل وولد من إله حق، وانه مساو لأبيه في الجوهر، وانه بيده اتقنت العوالم، وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هي التي ذاقت حر المسامير كما صرحوا به في كتبهم، وهذه ألفاظهم، قالوا: «وقد قال القدوة عندنا: إن اليد التي سمرها اليهود في الخشبة هي اليد التي عجنت طين آدم وخلقته، وهي اليد التي شبرت السماء،

وهي اليد التي كتبت التوراة لموسى»! قالوا وقد وصفوا صنيع اليهود به وهذه ألفاظهم «وإنهم لطموا الاله وضربوه على رأسه» قالوا «وفي بشارة الانبياء به أن الآله تحبل به امرأة عذراء وتلده ويؤخذ ويصلب ويقتل!» قالوا وأما «سنهودس» دون الأمم، قد اجتمع عليه سبعمائة من الآباء وهم القدوة وفيه: «أن مريم حبلت بالاله وولدته وأرضعته وسقته وأطعمته» قالوا: وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه، وابن ولده ابراهيم وربه وخالقه ورازقه، وابن اسرائيل وربه وخالقه ورازقه، وابن مريم وربها وخالقها ورازقها» قالوا: «وقد قال علماؤنا ومن هو القدوة عند جميع طوائفنا: «اليسوع في البدء ولم يزل كلمة، والكلمة لم تزل الله، والله هو الكلمة، فذاك الذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله» هذه ألفاظهم، قالوا: «فالقديم الأزلي خالق السموات والارض هو الذي عاينه الناس بأبصارهم ولمسوه بأيديهم، وهو الذي حبلت به مريم وخاطب الناس من بطنها حيث قال للأعمى: انت مؤمن بالله، قال الأعمى: ومن هو حتى أؤمن به؟ قال: هو المخاطب لك، ابن مريم، فقال: آمنت بك وخر ساجداً» قالوا «فالذي حبلت به مريم هو الله وابن الله وكلمة الله» وقالوا «وهو الذي ولد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه وسمر وبصق في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لاجل خلاص النصارى من خطاياهم». قالوا: «وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولا عبد صالح بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة»، قالوا: «وليس مع أمه بمعنى الخلق والتدبير واللطف والمعونة، فانه لا يكون لها بذلك مزية على سائر الاناث ولا الحيوانات ولكنه معها بحبلها به واحتواء بطنها عليه؛ فلهذا فارقت إناث جميع الحيوانات وفارق ابنها جميع الخلق، فصار الله وابنه الذي نزل من السماء وحبلت به مريم وولدته إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً ورباً واحداً وخالقاً واحدا لا يقع بينهما فرق ولا يبطل الاتحاد بينهما بوجه من الوجوه لا في حبل ولا في ولادة ولا في حال نوم ولا مرض ولا صلب ولا موت ولا دفن بل هو متحد به في حال الحبل، فهو في تلك الحال مسيح واحد وخالق واحد وإله واحد ورب واحد، وفي حال الولادة كذلك، وفي حال الصلب والموت

كذلك» قالوا فمنا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول: مريم حبلت بالآله، وولدت الآله، ومات الآله. ومنا من يمتنع من هذه العبارة لبشاعة لفظها ويعطي معناها وحقيقتها، ويقول: مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة، وولدت المسيح في الحقيقة، وهي أم المسيح في الحقيقة، والمسيح إله في الحقيقة، ورب في الحقيقة، وابن الله في الحقيقة، وكلمة الله في الحقيقة، لا ابن لله في الحقيقة سواه، ولا أب للمسيح في الحقيقة إلا هو. قالوا فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال حبلت بالاله وولدت الاله وقتل الاله وصلب الإله، ومات ودفن، وان منعوا اللفظ والعبارة.

قالوا: وإنما منعنا هذه العبارة التي أطلقها إخواننا، لئلا يتوهم علينا اذا قلنا: حبلت بالاله وولدت الاله وألم الاله ومات الاله أن هذا كله حل ونزل بالاله الذي هو أب ولكنا نقول حل هذا كله ونزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه، فنحن واخواننا في الحقيقة شيء واحد لا فرق بيننا الا في العبارة فقط. قالوا فهذا حقيقة ديننا وإيماننا، والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا ومهدوه وهم أعلم بالمسيح منا. ولا تختلف المثلثة عباد الصليب من أولهم الى آخرهم أن المسيح ليس بنبي ولا عبد صالح ولكنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وانه إله تام من إله تام، وانه خالق السموات والارضين، والاولين والآخرين ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم من القبور وحاشرهم ومحاسبهم ومثيبهم ومعاقبهم، والنصارى تعتقد أن الاب انخلع من ملكه كله وجعله لابنه، فهو الذي يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويدبر أمر السموات والارض، ألا تراهم يقولون في أمانتهم: «ابن الله وبكر أبيه، وليس بمصنوع- الى قولهم- بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء -الى قولهم- وهو مستعد للمجيء تارة أخرى لفصل القضاء بين الاموات والاحياء» ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم «أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا»!!

[المسيح يكذب دعوى ربوبيته وإلهيته]

[ويصرح بأنه نبي بشر..]

وقد تضمن هذا كله تكذيبهم الصريح للمسيح وإن أوهمتهم ظنونهم الكاذبة أنهم يصدقونه فان المسيح قال لهم «إن الله ربي وربكم، وإلهي وإلهكم» فشهد على نفسه أنه عبد لله مربوب مصنوع، كما أنهم كذلك، وانه مثلهم في العبودية والحاجة والفاقة الى الله، وذكر أنه رسول الله الى خلقه كما أرسل الانبياء قبله، ففي انجيل يوحنا أن المسيح قال في دعائه: «ان الحياة الدائمة إنما تجب للناس بان يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وانك أرسلت اليسوع المسيح» وهذا حقيقة شهادة المسلمين أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله وقال لبني إسرائيل: «تريدون قتلي وأنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله» فذكر ما غايته أنه رجل بلغهم ما قاله الله، ولم يقل وانا إله ولا ابن الاله على معنى التوالد، وقال: «اني لم أجيء لاعمل بمشيئة نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني» وقال «ان الكلام الذي تسمعونه مني ليس من تلقاء نفسي، ولكن من الذي أرسلني، والويل لي إن قلت شيئاً من تلقاء نفسي ولكن بمشيئة من أرسلني» وكان يواصل العبادة من الصلاة والصوم ويقول «ما جئت لأُخدَم إنما جئت لأخدِم»» فأنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله الله بها وهي منزلة الخدام، وقال: «لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم، ولكن الذي أرسلني هو الذي يلي ذلك منهم» كل هذا في الانجيل الذي بأيدي النصارى.. وفيه أن المسيح قال: «يا رب قد علموا إنك قد أرسلتني، وقد ذكرت لهم اسمك» فأخبر أن الله ربه وانه عبده ورسوله. وفيه «أن الله الواحد رب كل شيء، أرسل من أرسل من البشر الى جميع العالم ليقبلوا الى الحق». وفيه انه قال؛: «ان الاعمال التي أعمل هي الشاهدات لي بأن الله أرسلني الى هذا العالم». وفيه «ما أبعدني وأتعبني ان أحدثت شيئاً من قبل نفسي، ولكن أتكلم وأجيب بما علمني ربي». وقال «ان الله مسحني وأرسلني، وأنا عبد الله، وإنما اعبد الله الواحد ليوم الخلاص».. وقال «ان الله عز وجل ما أكل ولا يأكل وما شرب ولا يشرب ولم ينم ولا ينام ولا ولد له ولا يلد ولا يولد

ولا رآه أحد ولا يراه أحد إلا مات» وبهذا يظهر لك سر قوله تعالى في القرآن (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام)[1] تذكيراً للنصارى بما قال لهم المسيح. وقال في دعائه لما سأل ربه أن تحيي الميت: «أنا أشكرك وأحمدك لانك تجيب دعائي في هذا الوقت وفي كل وقت، فأسألك أن يحييَ هذا الميت ليعلم بنو اسرائيل أنك أرسلتني وانك تجيب دعائي». وفي الانجيل ان المسيح حين خرج من السامرية ولحق بجلجال قال «لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه» فلم يزد على دعوى النبوة. وفي انجيل لوقا «لم يقتل أحد من الانبياء في وطنه فكيف تقتلونني». وفي انجيل مرقس «ان رجلا أقبل الى المسيح وقال أيها المعلم الصالح أي خير أعمل لأنال الحياة الدائمة؟ فقال له المسيح: لم قلت صالحاً؟ إنما الصالح الله وحده، وقد عرفت الشروط، لا تسرق ولا تزن ولا تشهد بالزور ولا تخن، واكرم أباك وأمك». وفي انجيل يوحنا ان اليهود لما أرادوا قبضه رفع بصره الى السماء وقال «قد دنا الوقت يا إلهي فشرفني لديك، واجعل لي سبيلا أن أملك كل من ملكتني الحياة الدائمة، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلها واحداً وبالمسيح الذي بعثت وقد عظمتك على أهل الارض واحتملت الذي أمرتني به فشرفني» فلم يدع سوى أنه عبد مرسل مأمور مبعوث. وفي انجيل متى «لا تنسبوا أباكم الذي على الارض فان أباكم الذي في السماء وحده، ولا تدعوا معلمين فانما معلمكم المسيح وحده» والاب في لغتهم الرب المربي، أي لا تقولوا إلهكم وربكم في الارض ولكنه في السماء، ثم أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكه وهو ان غايته انه يعلم في الارض وإلههم هو الذي في السماء. وفي انجيل لوقا حين دعا الله فأحيا ولد المرأة فقالوا «ان هذا النبي لعظيم، وان الله قد تفقد أمته». وفي انجيل يوحنا أن المسيح أعلن صوته في البيت وقال لليهود «وقد عرفتموني وموضعي، ولم آت من ذاتي، ولكن بعثني الحق وأنتم تجهلونه، فان قلت إني أجهله كنت كاذباً مثلكم وأنا أعلم وأنتم تجهلون أني منه وهو بعثني» فما زاد في دعواه على ما ادعاه الانبياء فأمسكت المثلثة قوله «إني منه» وقالوا: إله حق من إله حق. وفي القرآن: (رسول الله)[2] وقال هود:

---

(١) المائدة/ ٧٥

(٢) قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم﴾ [الصف: ٦]

(ولكني رسول من رب العالمين)[٣] وكذلك قال صالح! ولكن أمة الضلال كما أخبر الله عنهم يتبعون المتشابه ويردون المحكم. وفي الانجيل أيضاً أنه قال لليهود وقد قالوا له: (نحن أبناء الله)[٤] فقال لهم: «لو كان الله أباكم لأطعتموني لاني رسول منه خرجت مقبلا ولم أقبل من ذاتي ولكن هو بعثني، لكنكم لا تقبلون وصيتي وتعجزون عن سماع كلامي، انما أنتم أبناء الشيطان وتريدون إتمام شهواته» وفي الانجيل «ان اليهود أحاطت به وقالت له الى متى تخفي أمرك ان كنت المسيح الذي ننتظره فاعلمنا بذلك» ولم تقل ان كنت الله أو ابن الله فانه لم يدّع ذلك ولا فهمه عنه أحد من أعدائه ولا أتباعه. وفي الانجيل أيضاً «ان اليهود أرادوا القبض عليه فبعثوا لذلك الأعوان وان الأعوان رجعوا الى قوادهم فقالوا لهم لمَ لمْ تأخذوه، فقالوا ما سمعنا آدمياً أنصف منه، فقالت اليهود وأنتم أيضاً مخدوعون أترون انه آمن به أحد من القواد أو من رؤساء أهل الكتاب؟ فقال لهم بعض أكابرهم: أترون كتابكم يحكم على أحد قبل أن يسمع منه؟ فقالوا له إكشف الكتب ترى انه لا يجيء من جلجال نبي» فما قالت اليهود ذلك إلا وقد أنزل نفسه بالمنزلة التي أنزله بها ربه ومالكه انه نبي، ولو علمت من دعواه الالهية لذكرت ذلك له وأنكرته عليه وكان أعظم أسباب التنفير عن طاعته؛ لان كذبه كان يعلم بالحس والعقل والفطرة واتفاق الأنبياء.

ولقد كان يجب لله سبحانه- لو سبق في حكمته أنه يبرز لعباده، وينزل عن كرسي عظمته، ويباشر بنفسه- أن لا يدخل في فرج امرأة، ويقيم في بطنها بين البول والنجو والدم عدة أشهر، واذ قد فعل ذلك. لا يخرج صبيا صغيرا، يرضع ويبكي، وإذ قد فعل ذلك، لا يأكل مع الناس ويشرب معهم وينام، وإذ قد فعل ذلك فلا يبول ولا يتغوط ويمتنع من الخرأة إذ هي منقصة ابتلي بها الانسان في هذه الدار لنقصه وحاجته، وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، الذي ما وسعته سمواته ولا أرضه؛ وكرسيه وسع السموات والارض، فكيف وسعه فرج

---

(٣) الأعراف/ ٦٧

(٤) المائدة/ ١٨

امرأة. تعالى الله رب العالمين. وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام.

[ما يراد بلفظ «الأب» و «الرب» و «الإله» و «السيد» في كتبهم التي اشتبهت عليهم]

[اسئلة على إلهية المسيح تنتظر الجواب من عباد الصليب]

فيا معشر المثلثة وعباد الصليب! أخبرونا من كان الممسك للسموات والارض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم، فهل بقيت السموات والارض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟!! أم تقولون استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال في التوراة: «ملعون من تعلق بالصليب» أم تقولون: كان هو المدبر لها في تلك الحال، فكيف وقد مات ودفن؟! أم تقولون ـ وهو حقيقة قولكم ـ لا ندري ولكن هذا في الكتب وقد قاله الآباء وهم القدوة والجواب عليهم؟! فنقول لكم وللآباء معاشر المثلثة عباد الصليب! ما الذي دلكم على إلهية المسيح؟ فان كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه وسوقه الى خشبة الصليب وعلى رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع وشدوا يديه ورجليه بالحبال وضربوا فيها المسامير وهو يستغيث وتعلق ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه؛ فما أصحه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام؟ وهم عار على جميع الأنام!! وان قلتم إنما استدللنا على كونه إلهاً بانه لم يولد من البشر ولو كان مخلوقاً لكان مولوداً من البشر، فان كان هذا الاستدلال صحيحاً فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهاً منه لانه لا أم له ولا أب والمسيح له أم، وحواء أيضاً اجعلوها إلهاً خامساً لانها لا أم لها وهي أعجب من خلق المسيح؟!! والله سبحانه قد نوَّع خلق آدم وبنيه إظهاراً لقدرته وانه يفعل ما يشاء، فخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق زوجه حواء من ذكر لا من أنثى، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر،

وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى . وان قلتم : استدللنا على كونه إلهاً بانه أحيا الموتى ، ولا يحييهم إلا الله . فاجعلوا موسى إلهاً آخر ، فانه أتى من ذلك بشيء لم يأت المسيح بنظيره ولا ما يقاربه ، وهو جعل الخشبة حيواناً عظيمًا ثعباناً ، فهذا ابلغ واعجب من اعادة الحياة الى جسم كانت فيه أولا ، فان قلتم هذا غير احياء الموتى فهذا اليسع النبي اتى باحياء الموتى وهم يقرون بذلك ، وكذلك ايليا النبي ايضاً احيا صبياً باذن الله ، وهذا موسى قد أحيا باذن الله السبعين الذين ماتوا من قومه ، وفي كتبكم من ذلك كثير عن الانبياء والحواريين : فهل صار أحد منهم إلّها بذلك؟!! وان قلتم جعلناه إلّها للعجائب التي ظهرت على يديه فعجائب موسى أعجب وأعجب ، وهذا إيليا النبي بارك على دقيق العجوز ودهنها فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق وما في قارورتها من الدهن سبع سنين!! وان جعلتموه إلّها لكونه أطعم من الارغفة اليسيرة آلافا من الناس فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى!! وهذا محمد بن عبد الله قد أطعم العسكر كله من زاد يسير جداً حتى شبعوا وملأوا أوعيتهم ، وسقاهم كلهم من ماء يسير لا يملأ اليد حتى ملأوا كل سقاء في العسكر ، وهذا منقول عنه بالتواتر؟!! وان قلتم جعلناه إلّهاً لانه صاح بالبحر فسكنت أمواجه ، فقد ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان ، وفجر من الحجر الصلد إثني عشر عينا سارحة!! وان جعلتموه إلّها لانه أبرأ الاكمه والابرص فأحياء الموتى أعجب من ذلك ، وآيات موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك!! وان جعلتموه إلّها لانه ادعى ذلك فلا يخلو إما أن يكون الامر كما تقولون عنه أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار وانه مربوب مصنوع مخلوق ، فان كان كما ادعيتم عليه فهو أخو المسيح الدجال وليس بمؤمن ولا صادق فضلا عن أن يكون نبياً كريما وجزاؤه جهنم وبئس المصير ، كما قال تعالى (ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم)[٥] وكل من ادعى الالهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود وأمثالهما من أعداء الله ، فاخرجتم المسيح عن كرامة الله ونبوته ورسالته وجعلتموه من أعظم أعداء الله ، ولهذا

---

(٥) سورة الأنبياء/٢٩

كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب موال!! ومن أعظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعي الالهية فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم فيقتله، ويظهر للخلائق أنه كان كاذبا مفتريا ولو كان إلها لم يقتل فضلا عن أن يصلب ويسمر ويبصق في وجهه!! وان كان المسيح انما ادعى انه عبد ونبي ورسول كما شهدت به الاناجيل كلها ودل عليه العقل والفطرة وشهدتم أنتم له بالالهية ـ وهذا هو الواقع ـ فلم تأتوا على إلهيته ببينة غير تكذيبه في دعواه، وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يصرح بعبوديته وانه مربوب مخلوق، وانه ابن البشر، وانه لم يدع غير النبوة والرسالة، فكذبتموه في ذلك كله وصدقتم من كذب على الله وعليه!! وان قلتم انما جعلناه إلها لأنه اخبر بما يكون بعده من الامور فكذلك عامة الانبياء، وكثير من الناس يخبر عن حوادث في المستقبل جزئية ويكون ذلك كما أخبر به، ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة!! وان قلتم انما جعلناه إلهاً لانه سمى نفسه ابن الله في غير موضع من الانجيل كقوله «إني ذاهب الى أبي» «وإني سائل أبي» ونحو ذلك وابن الاله إله، قيل فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة في غير موضع انه سماه «أباه، وأباهم» كقوله «أذهب الى أبي وأبيكم» وفيه «ولا تسبو أباكم على الارض فان أباكم الذي في السماء وحده» وهذا كثير في الانجيل وهو يدل على أن الاب عندهم الرب!! وان جعلتموه إلها لأن تلاميذه ادعوا ذلك له وهم أعلم الناس به كذبتم أناجيلكم التي بأيديكم فكلها صريحة أظهر صراحة بأنهم ما ادعوا له الا ما ادعاه لنفسه من أنه عبد، فهذا «متى» يقول في الفصل التاسع من انجيله محتجاً بنبوة شعيا في المسيح عن الله عز وجل: «هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذي ارتاحت نفسي له» وفي الفصل الثامن من انجيله «إني أشكرك يا رب» «ويا رب السموات والارض» وهذا «لوقا» يقول في آخر انجيله «ان المسيح عرض له ولآخر من تلاميذه في الطريق ملك وهما محزونان فقال: لهما وهما لا يعرفانه ما بالكم محزونين؟ فقالا: كأنك غريب في بيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الايام من أمر الناصري فانه كان رجلا نبيا قوياً تقيا في قوله وفعله عند الله وعند الامة اخذوه وقتلوه» وهذا كثير جدا في الانجيل!! وان قلتم: انما جعلناه إلهاً لأنه صعد الى

السماء. فهذا أخنوخ والياس قد صعدا الى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة ولا طمع فيهما طامع، والمسلمون مجمعون على أن محمداً صلى الله عليه وسلم صعد الى السماء وهو عبد محض، وهذه الملائكة تصعد الى السماء، وهذه أرواح المؤمنين تصعد الى السماء بعد مفارقتها الابدان ولا تخرج بذلك عن العبودية، وهل كان الصعود الى السماء مخرج عن العبودية بوجه من الوجوه؟!! وان جعلتموه إلهاً لأن الأنبياء سمته إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب، وما زالت الروم والفرس والهند والسريانيون والعبرانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأرباباً، وفي السفر الأول من التوراة «أن بني الله دخلوا على بنات الياس ورأوهن بارعات الجمال فتزوجوا منهن» وفي السفر الثاني من التوراة في قصة المخرج من مصر «إني جعلتك إلهاً لفرعون» وفي المزمور الثاني والثمانين لداود «قام الله لجميع الآلهة» هكذا في العبرانية، وأما من نقله الى السريانية فانه حرفه فقال «قام الله في جماعة الملائكة» وقال في هذا المزمور وهو يخاطب قوماً بالروح: «لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله كلكم» وقد سمى الله سبحانه عبده بالملك، كما سمى نفسه بذلك، وسماه بالرؤوف الرحيم كما سمى نفسه بذلك، وسماه بالعزيز وسمى نفسه بذلك. واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أمة التوحيد، كما يقال هذا رب المنزل ورب الابل ورب هذا المتاع، وقد قال شعيا: «عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف بنو اسرائيل»

وإن جعلتموه إلهاً لانه صنع من الطين صورة طائر ثم نفخ فيها فصارت لحماً ودماً وطائراً حقيقة ولا يفعل هذا إلا الله، قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فانه ألقى عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ثم أمسكها بيده فصارت عصا كما كانت!! وان قلتم: جعلناه إلهاً لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك، قال عزرا حيث سباهم بختنصر الى ارض بابل الى أربعمائة واثنين وثمانين سنة: «يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم» وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح، ومن يطيق تخليص الأمم غير الاله التام، قيل لكم: فاجعلوا جميع الرسل آلهة فانهم خلصوا الامم من الكفر والشرك

وخلصوهم من النار باذن الله وحده، ولا شك أن المسيح خلص من آمن به واتبعه من ذل الدنيا وعذاب الآخرة، كما خلص موسى بني اسرائيل من فرعون وقومه، وخلصهم بالايمان بالله واليوم الآخر من عذاب الآخرة، وخلص الله سبحانه بمحمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله من الأمم والشعوب ما لم يخلصه نبي سواه فان وجبت بذلك الالهية لعيسى فموسى ومحمد أحق بها منه. وان قلتم أوجبنا له بذلك الالهية لقول أرمياء النبي عن ولادته: «وفي ذلك الزمان يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور، يملك الملك، ويقيم الحق والعدل في الأرض، ويخلص من آمن به من اليهود ومن بني اسرائيل ومن غيرهم، ويبقى بيت المقدس من غير مقاتل، ويسمى الاله» فقد تقدم أن اسم الاله في الكتب المتقدمة وغيرها قد أطلق على غيره وهو بمنزلة الرب والسيد والاب ولو كان عيسى هو الله لكان أجل من أن يقال ويسمى الاله وكان يقول وهو الله، فان الله سبحانه لا يعرف بمثل هذا، وفي هذا الدليل الذي جعلتموه به إلهاً أعظم الأدلة على أنه عبد وانه ابن البشر، فانه قال: «يقوم لداود ابن» فهذا الذي قام لداود هو الذي سمي بالاله، فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع مولود لا لرب العالمين وخالق السموات والأرضين.

وان قلتم انما جعلناه إلهاً من جهة قول شعيا النبي: «قل لصهيون يفرح ويتهلل فان الله يأتي ويخلص الشعوب ويخلص من آمن به ويخلص مدينة بيت المقدس ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المتبددين ويجعلهم أمة واحدة، ويبصر جميع أهل الارض خلاص الله لانه يمشي معهم وبين أيديهم ويجمعهم إله اسرائيل» قيل لهم هذا يحتاج «أولا» الى أن يعلم أن ذلك في نبوة اشعيا بهذا اللفظ بغير تحريف للفظه ولا غلط في الترجمة، وهذا غير معلوم، وان ثبت ذلك لم يكن فيه دليل على انه إله تام وأنه غير مصنوع ولا مخلوق فانه نظير ما في التوراة: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» وليس في هذا ما يدل على أن موسى ومحمد إلهين، والمراد بهذا مجيء دينه وكتابه وشرعه وهداه ونوره، وأما قوله: ويظهر ذراعه الطاهر لجميع الأمم المبددين» ففي التوراة مثل هذا وأبلغ منه في غير موضع، وأما قوله: «ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله لانه يمشي معهم ومن بين أيديهم»

فقد قال في التوراة في السفر الخامس لبني اسرائيل: «لا تهابوهم ولا تخافوهم لان الله ربكم السائر بين أيديكم وهو محارب عنكم» وفي موضع آخر قال موسى «ان الشعب هو شعبك، فقال أنا أمضي أمامك، فقال ان لم تمض أنت أمامنا والا فلا تصعدنا من ههنا، فكيف أعلم أنا وهذا الشعب اني وجدت نعمة كذا الا بسيرك معنا» وفي السفر الرابع «اني اصعدت هؤلاء بقدرتك فيقولان لأهل هذه الأرض الذي سمعوا منك الله فيها بين هؤلاء القوم يرونه عيناً بعين وغمامك تغيم عليهم ويعود غماماً يسير بين أيديهم نهاراً ويعود ناراً ليلا» وفي التوراة أيضاً «يقول الله لموسى اني آت اليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك» وفي الكتب الالهية وكلام الانبياء من هذا كثير، وفيها حكى خاتم الأنبياء عن ربه تبارك وتعالى أنه قال «ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي»

وان قلتم جعلناه إلهًا لقول زكريا في نبوته «[٦]صهيون لأني آتيك وأحل فيك وأتراءى، وتؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعباً واحداً، ويحل هو فيهم ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهودا ويملك عليهم الى الابد».. قيل لكم ان اوجبتم له الالهية بهذا فلتجب لابراهيم وغيره من الانبياء؛ فان عند اهل الكتاب وأنتم معهم ان الله تجلى لابراهيم واستعلن له وتراءى له. وأما قوله «وأحل فيك» لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته التي لا تسعها السموات والأرض في بيت المقدس، وكيف تحل ذاته في مكان يكون فيه مقهوراً مغلوباً مع شرار الخلق؟! كيف وقد قال: «ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك»؟! افترى عرفوا قوته بالقبض عليه وشد يديه بالحبال وربطه على خشبة الصليب ودق المسامير في يديه ورجليه ووضع تاج الشوك على رأسه وهو يستغيث ولا يغاث، وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور مستخف في غالب أحواله. ولو صح مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع وصحت ترجمتها كما ذكروه لكان

(٦) في نسخة: أخرجي يا بنت صهيون.

معناها ان معرفة الله والايمان به وذكره ودينه وشرعه حل في تلك البقعة، وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد رفعه حصل فيه من الايمان بالله ومعرفته ما لم يكن قبل ذلك.

«وجماع الأمر» أن النبوات المتقدمة والكتب الالهية لم تنطق بحرف واحد يقتضي أن يكون ابن البشر إلهاً تاماً: إله حق من إله حق، وانه غير مصنوع ولا مربوب، بل لم يخصه إلا بما خص به أخوه وأولى الناس به محمد بن عبد الله في قوله: «انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه» وكتب الانبياء المتقدمة وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك كله يصدق بعضه بعضاً، وجميع ما تستدل به المثلثة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فانها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته أباً وكلمة وروحَ حقٍ وإلهاً، وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه.

[وباء حلولهم أصاب بعض مبتدعة الصوفية وعباد الجهمية]

وقد وقع في نظير شركهم وكفرهم طوائف من المنتسبين الى الاسلام، واشتبه عليهم ما يحل في قلوب العارفين من الايمان به ومعرفته ونوره وهداه فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب، وقد قال تعالى: (المثل الأعلى) وقال: (وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)(٧) وهو ما في قلوب ملائكته وأنبيائه وعباده المؤمنين من الايمان به ومعرفته ومحبته واجلاله وتعظيمه، وهو نظير قوله: (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا)(٨) وقوله: (وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون)(٩) وقوله: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم)(١٠) فأولياء الله يعرفونه ويحبونه ويجلونه، ويقال: هو في

---

(٧) سورة الروم/ ٢٧

(٨) سورة البقرة/ ١٣٧

(٩) سورة الأنعام/٣

(١٠) الزخرف /٨٤

قلوبهم. والمراد محبته ومعرفته والمثل الأعلى في قلوبهم لانفس ذاته وهذا أمر يعتاده الناس في مخاطباتهم ومحاوراتهم يقول الأنسان لغيره: أنت في قلبي, ولا زلت في عيني كما قال القائل.

ومن عجب أني أحن اليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقال آخر

خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وقال آخر

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره

وقال آخر

إن قلت غبت فقلبي لا يصدقني إذ أنت فيه لم تغب
أو قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب فقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال الآخر

احِنّ اليه وهو في القلب ساكن فيا عجباً لمن يحن لقلبه

ومن غلظ طبعه وكثف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من الفاظ الكتب ان ذات الله سبحانه تحل في الصورة البشرية وتتحد بها وتمتزج بها تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

وان قلتم أوجبنا له الالهية من قول شعيا: «من اعجب الأعاجيب ان رب الملائكة سيولد من البشر» قيل لكم هذا مع انه يحتاج الى صحة هذا الكلام عن شعيا وأنه لم يحرف بالنقل من ترجمة الى ترجمة وانه كلام منقطع عما قبله وبعده ببينة، فهو دليل على انه مخلوق مصنوع، وانه ابن البشر مولود منه؛ لا من الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؟!

وان قلتم جعلناه إلهاً من قول متى في انجيله: «ان ابن الانسان يرسل ملائكته

ويجمعون كل الملوك فيلقونهم في أتون النار». . قيل هذا كالذي قبله سواء، ولم يرد أن المسيح هو رب الأرباب ولا انه خالق الملائكة، وحاش لله أن يطلق عليه[١١] أنه رب الملائكة بل هذا من أقبح الكذب والافتراء؛ بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح وتأييده ونصره بشهادة لوقا النبي القائل عندهم: «ان الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك» ثم بشهادة لوقا: «ان الله ارسل له ملكا من السماء ليقويه» هذا الذي نطقت به الكتب، فحرف الكذابون على الله وعلى مسيحه ذلك، ونسبوا الى الأنبياء أنهم قالوا هو رب الملائكة. واذا شهد الانجيل واتفاق الانبياء والرسل ان الله يوصي ملائكته بالمسيح ليحفظوه علم ان الملائكة والمسيح عبيد الله منفذون لأمره ليسوا أربابا ولا آلهة، وقال المسيح لتلامذته: «من قبلكم فقد قبلني، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني» وقال المسيح لتلامذته أيضاً «من أنكرني قدام الناس انكرته قدام ملائكة الله» وقال للذي ضرب عبد رئيس الكهنة «أغمد سيفك ولا تظن أني استطيع أن ادعو الله الاب فيقيم لي اكثر من اثني عشر من الملائكة» فهل يقول هذا من هو رب الملائكة وإلههم وخالقهم؟!

وان اوجبتم له الالهية بما نقلتموه عن شعيا «تخرج عصا من بيت نبي، وينبت منها نور، ويحل فيه روح القدس، روح الله، روح الكلمة والفهم، روح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله، وبه يؤمنون وعليه يتوكلون، ويكون لهم التاج والكرامة الى دهر الداهرين». . قيل لكم هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن شعيا وصحة الترجمة له باللسان العربي وانه لم يحرفه المترجم هو حجة على المثلثة عباد الصليب لا لهم؛ فانه لا يدل على أن المسيح خالق السموات والارض؛ بل يدل على مثل ما دل عليه القرآن، وأن المسيح أيد بروح القدس؛ فانه قال: ويحل فيه روح القدس روح الله، روح الكلمة والفهم، روح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله». ولم يقل تحل فيه حياة الله فضلا عن أن يحل الله فيه ويتحد به ويتخذ حجاباً من ناسوته، وهذه روح تكون مع الأنبياء والصديقين. وعندهم في التوراة «ان الذين كانوا يعملون في قبة الزمان حلت فيهم «روح الحكمة» وروح الفهم والعلم هي ما

(١١) عليه: على المسيح عليه السلام.

يحصل به الهدى والنصر والتأييد، وقوله: «هي روح الله» لا تدل على أنها صفة فضلا عن أن يكون هو الله!! وجبريل يسمى روح الله، والمسيح اسمه روح الله.

«والمضاف» اذا كان ذاتاً قائمة بنفسها فهو إضافة مملوك الى مالك كبيت الله وناقة الله وروح الله؛ ليس المراد به بيت يسكنه، ولا ناقة يركبها، ولا روح قائمة به، وقد قال تعالى: (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه)[١٢] وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا)[١٣] فهذه الروح أيد بها عباده المؤمنين. وأما قوله: «وبه يؤمنون وعليه يتوكلون فهو عائد الى الله لا إلى العصا التي نبت من بيت النبوة، وقد جمع الله سبحانه بين هذين الاصلين في قوله: (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا)[١٤] وقال موسى لقومه: (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)[١٥] وهو كثير في القرآن، وقد أخبر انه أيده بروح العلم وخوف الله، فجمع بين العلم والخشية وهما الأصلان اللذان جمع القرآن بينهما في قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[١٦] وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» وهذا شأن العبد المحض. وأما الاله الحق ورب العالمين فلا يلحقه خوف ولا خشية ولا يعبد غيره، والمسيح كان قائماً بأوراد العبادات لله أتم القيام!!..

وان أوجبتم له الالهية يقول شعيا: «إن غلاماً ولد لنا، واننا أعطيناه كذا وكذا، ورياسته على عاتقيه وبين منكبيه، ويدعي اسمه ملكا عظيما عجيباً إلهاً قوياً مسلطاً رئيساً، قوي السلامه في كل الدهور وسلطانه كامل ليس له فناء».. قيل لكم ليس في هذه البشارة ما يدل على أن المراد بها المسيح بوجه من الوجوه، ولو كان المراد بها المسيح لم يدل على مطلوبهم.. أما «المقام الأول» فدلالتها على محمد بن عبد الله

---

(١٢) المجادلة/٢٢

(١٣) الشورى/ ٥٢

(١٤) (الملك/ ٢٦

(١٥) يونس/ ٨٤

(١٦) فاطر/ ٢٨

أظهر من دلالتها على المسيح، فانه هو الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه من جهتين: من جهة أن خاتم النبوة علا نغض[17] كتفيه، وهو من أعلام النبوة التي أخبرت به الانبياء، وعلامة ختم ديوانهم، ولذلك كان في ظهوره ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه ويرفعه اذا ضرب به على عاتقه، ويدل عليه قوله: «رئيس مسلط قوي السلامة» وهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد المنصور رئيس السلامة، فان دينه الاسلام، ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه، والمسيح لم يسلط على اعدائه كما سلط محمد صلى الله عليه وسلم؛ بل كان أعداؤه مسلطين عليه قاهرين له حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب. فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه؟! وهي مطابقة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من كل وجه، وهو الذي سلطانه كامل ليس له فناء الى آخر الدهور. فان قيل: إنكم لا تدعون محمداً إلهاً بل هو عندكم عبد محض؟ قيل نعم والله إنه لكذلك عبد محض لله، والعبودية أجل مراتبه، واسم «الاله» من جهة التراجم جاء، والمراد به السيد المطاع لا الاله المعبود الخالق الرازق..

وان أوجبتم له الالهية من قول شعيا فيما زعمتم: «ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً يدعى اسمه عمانويل» وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربية «إلهنا معنا» فقد شهد له النبي انه إله.. قيل لكم بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين وخالق السموات والارضين؛ فانه قال تلد ابناً وهذا دليل على انه ابن من جملة البنين ليس هو رب العالمين. وقوله «ويدعى اسمه عمانويل» فانما يدل على انه يسمى بهذا الاسم كما يسمي الناس أبناءهم بأنواع من الصفات والاسماء والافعال والجمل المركبة من اسمين أو اسم وفعل، وكثير من أهل الكتاب يسمون أولادهم عمانويل. ومن علمائكم من يقول المراد بالعذراء ههنا غير مريم، ويذكر في ذلك قصة، ويدل على هذا ان المسيح لا يعرف اسمه «عمانويل» وان كان ذلك اسمه فكونه يسمى إلهنا معنا أو بالله حسبي أو الله وحده ونحو ذلك، وقد حرف

(١٧) النُغض من الكتف: الناغض، وهو أصل العنق حيث ينغض الرأس: أي يتحرك.

بعض المثلثة عباد الصليب هذه الكلمة وقال معناها «الله معنا» ورد عليهم بعض من أنصف من علمائهم وحكم رشده على هواه وهداه الله للحق وبصره من عماه وقال: أهذا هو القائل: «أنا الرب، ولا إله غيري، وأنا أحيي وأميت وأخلق وأرزق؟!» أم هو القائل لله: «انك أنت الاله الحق وحدك الذي أرسلت اليسوع المسيح؟!» قال: والأول باطل قطعاً، والثاني هو الذي شهد به الانجيل، ويجب تصديق الانجيل وتكذيب من زعم أن المسيح إله معبود. قال وليس المسيح مخصوصاً بهذا الاسم فان «عمانويل» اسم تسمى به النصارى واليهود أولادهما، قال: وهذا موجود في عصرنا هذا، ومعنى هذه التسمية بينهم شريف القدر. قال وكذلك السريان يسمون أولادهم «عمانويل» والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل: الله معك. فاذا سمى الرجل بقوله الله معك كان هذا تبركا بمعنى هذا الاسم!!..

وان أوجبتم له الالهية بقول حنقوق فيما حكيتموه عنه «ان الله في الارض يتراءى ويختلط مع الناس ويمشي معهم،» ويقول أرميا أيضا بعد هذا «الله يظهر في الارض وينقلب مع البشر».. قيل لكم هذا بعد احتياجه الى ثبوت نبوة هذين الشخصين أولاً والى ثبوت هذا النقل عنهما، والى مطابقة الترجمة من غير تحريف- وهذه «ثلاث مقامات» يعز عليكم اثباتها- لا يدل على ان المسيح هو خالق السموات والارض، وأنه إله حق ليس بمخلوق ولا مصنوع، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس وأبلغ ولم يدل ذلك على أن موسى إله ولا أنه خارج عن جملة العبيد! وقوله «يتراءى» مثل تجلى وظهر واستعلن، ونحو ذلك من ألفاظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية، وقد ذكر في التوراة «ان الله تجلى وتراءى لابراهيم وغيره من الأنبياء» ولم يدل ذلك على الالهية لاحد منهم، ولم يزل في عرف الناس ومخاطبتهم ان يقولوا فلان معنا وهو بين أظهرنا ولم يمت. اذا كان عمله وسنته وسيرته بينهم ووصاياه يعمل بها بينهم، وكذلك يقول القائل لمن مات والده: ما مات من خلف مثلك، وأنا والدك. واذا رأوا تلميذاً لعالم علمه قالوا: هذا فلان باسم استاذه، كما كان يقال عن عكرمة هذا ابن عباس، وعن أبي حامد: هذا الشافعي. واذا بعث الملك نائبا يقوم مقامه في بلد يقول الناس جاء الملك، وحكم الملك، ورسم الملك. وفي الحديث الصحيح الالهي «يقول الله

عز وجل يوم القيامة عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول يا رب كيف أعودك وانت رب العالمين؟! قال أما إن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، اما لو عدته لوجدتني عنده، عبدي جعت فلم تطعمني، فيقول رب كيف أطعمك وانت رب العالمين!! قال اما علمت ان عبدي فلاناً استطعمك فلم تطعمه، اما لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدي إستسقيتك فلم تسقني، فيقول رب كيف أسقيك وانت رب العالمين؟! فيقول أما إن عبدي فلاناً عطش فاستسقاك فلم تسقه، أما لو سقيته لوجدت ذلك عندي» وأبلغ من هذا قوله تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم)[١٨] ومن هذا قوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[١٩] فلو استحل المسلمون ما استحللتم لكان استدلالهم بذلك على أن محمداً إله من جنس استدلالكم لا فرق بينهما!!

وان أوجبتم له الالهية بقوله في السفر الثالث من أسفار الملوك: «والآن يا رب إله اسرائيل يتحقق كلامك لداود لانه حق أن يكون انه سيسكن الله مع الناس على الارض، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم، ولتنصت الأرض وكل من فيها، فيكون الرب عليها شاهداً، ويخرج من موضعه، وينزل، ويطأ على مشارق الارض في شأن خطيئة بني يعقوب». قيل لكم هذا السفر يحتاج أولاً الى ان يثبت ان الذي تكلم به نبي، وان هذا لفظه، وان الترجمة مطابقة له وليس ذلك بمعلوم. وبعد ذلك فالقول في هذا الكلام كالقول في نظائره مما ذكرتموه وما لم تذكروه، ولبس في هذا الكلام ما يدل على أن المسيح خالق السموات والارض، وأنه إله حق غير مصنوع ولا مخلوق، فان قوله: «ان الله سيسكن مع الناس في الأرض» هو مثل كونه معهم، واذا صار في الأرض نوره وهداه ودينه ونبيه كانت هذه سكناه لا أنه بذاته المقدسة نزل عن عرشه وسكن مع اهل الأرض، ولو قدر تقدير المحالات ان ذلك واقع لم يلزم أن يكون هو المسيح، فقد سكن الرسل والأنبياء قبله وبعده، فما الموجب لأن يكون المسيح هو الاله دون اخوانه من المرسلين؟! اترى ذلك للقوة والسلطان الذي كان له وهو في

---

(١٨) سورة الفتح/ ١٠

(١٩) سورة النساء/ ٨٠

الأرض، وقد قلتم انه قبض عليه وفعل به ما فعل من غاية الاهانة والاذلال والقهر، فهذا ثمرة سكناه في الأرض مع خلقه فان قلتم سكناه في الارض هو ظهوره في ناسوت المسيح. قيل لكم: اما الظهور الممكن المعقول وهو ظهور محبته ومعرفته ودينه وكلامه فهذا لا فرق فيه بين ناسوت المسيح وناسوت سائر الأنبياء والمرسلين، وليس في اللفظ على هذا التقدير ما يدل على اختصاصه بناسوت المسيح، وأما الظهور المستحيل الذي تأباه العقول والفطر والشرائع وجميع النبوات وهو ظهور ذات الرب في ناسوت مخلوق من مخلوقاته واتحاده به وامتزاجه واختلاطه فهذا محال عقلاً وشرعاً، فلا يمكن أن تنطق به نبوة أصلاً؛ بل جميع النبوات من أولها الى آخرها متفقة على أصول.

«**أحدها**» ان الله سبحانه وتعالى قديم واحد لا شريك له في ملكه ولا ند ولا ضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ولا شافع الا من بعد اذنه. «**الثاني**» انه لا والد له ولا ولد ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة. «**الثالث**» انه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج الى شيء مما يحتاج اليه خلقه بوجه من الوجوه. «**الرابع**» انه لا يتغير ولا تعرض له الآفات من الهرم والمرض والسِّنَة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك. «**الخامس**» انه لا يماثل شيئاً من مخلوقاته بل ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. «**السادس**» انه لا يحل في شيء من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شيء منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه. «**السابع**» انه أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء وعال على كل شيء وليس فوقه شيء البتة. «**الثامن**» أنه قادر على كل شيء فلا يعجزه شيء يريده بل هو الفعال لما يريد. «**التاسع**» انه عالم بكل شيء يعلم السر وأخفى ويعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون (وما تسقط من ورقة الا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس)[٢٠] ولا متحرك الا وهو يعلمه على حقيقته. «**العاشر**» انه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة

(٢٠) الأنعام/ ٥٩ .

الظلماء، فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته في جميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسموات. «**الحادي عشر**» انه الشاهد الذي لا يغيب ولا يستخلف أحدا على تدبير ملكه ولا يحتاج الى من يرفع اليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم. «**الثاني عشر**» انه الابدي الباقي الذي لا يضمحل ولا يتلاشى ولا يعدم ولا يموت. «**الثالث عشر**» انه المتكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر، ومجازي المحسن باحسانه، والمسيء باساءته. «**الرابع عشر**» انه الصادق في وعده وخبره، فلا اصدق منه قيلاً، ولا أصدق منه حديثاً، وهو لا يخلف الميعاد. «**الخامس عشر**» انه تعالى صمد[٢١] بجميع الصمدية، فيستحيل عليه ما يناقض صمديته. «**السادس عشر**» انه قدوس سلام، فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص. «**السابع عشر**» انه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه «**الثامن عشر**» انه العدل الذي لا يجور ولا يظلم ولا يخاف عباده منه ظلما. فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلا، فترك المثلثة عباد الصليب هذا كله، وتمسكوا بالمتشابهة من المعاني والمجمل من الالفاظ، واقوال من ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل. وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله اشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة.



---

(٢١) الصَمَد : السيد، لأنه يُصمَد اليه في الحوائج: أي يفتقر اليه ويُقصد. ويقال: صمده: أي قصده.

الفصل الثاني عشر

[لو لم يظهر محمد بن عبد الله لبطلت نبوة سائر الأنبياء]

[بنو اسرائيل قبل موسى وبعده]

(فصل) في أنه لو لم يظهر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الأنبياء: فظهور نبوته تصديق لنبواتهم وشهادة لها بالصدق، فارساله من آيات الأنبياء قبله، وقد اشار سبحانه الى هذا المعنى بعينه في قوله (جاء بالحق وصدق المرسلين)[1] فان المرسلين بشّروا به وأخبروا بمجيئه؛ فمجيئه هو نفس صدق خبرهم، فكان مجيئه تصديقاً لهم إذ هو تأويل ما اخبروا به، ولا تنافي بين هذا وبين القول الآخر: إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم وايمانه بهم فانه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه، وشهد بصدقهم بقوله، ومثل هذا قول المسيح (مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)[2] فان التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقاً لها، ثم بشر برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له، كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة فعادة الله في رسله أن السابق يبشّر باللاحق، واللاحق يصدّق السابق، فلو لم يظهر محمد ابن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره، وقد كان بُشِّر إبراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تّمت ولا ظهرت الا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد بُشِّرت هاجر من ذلك بما لم تبشّر به امرأة من العالمين غير مريم ابنة عمران بالمسيح على أن مريم بُشِّرت به مرة واحدة، وبُشِّرت هاجر بإسماعيل مرتين، وبُشِّر به ابراهيم مراراً، ثم ذكر الله سبحانه هاجر بعد وفاتها كالمخاطب لها على السنة الانبياء، ففي التوراة «ان الله تعالى قال لابراهيم قد اجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وكبرته وعظمته» هكذا في ترجمة

---

(١) سورة الصافات/٣٧

(٢) الصف/٦

بعض المترجمين. واما في الترجمة التي ترجمها اثنان وسبعون حبرا من أحبار اليهود فانه يقول: وسيلد اثنى عشر امة من الأمم» وفيها «لما هربت هاجر من سارة تراءى لها ملك الله، وقال ياهاجر أَمَةَ سارة من أين أقبلتِ وإلى اين تذهبين؟! قالت هربت من سيدتي، فقال لها الملك ارجعي الى سيدتك واخضعي لها، فاني سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة، وها انت تحبلين وتلدين ابناً تسمينه إسماعيل؛ لأن الله قد سمع بذلك خشوعك، وهو يكون عين الناس، ويكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع، ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوانه» وفي موضع آخر قصة إسكانها وابنها اسماعيل في برية فاران، وفيها «فقال لها الملك يا هاجر ليفرح روعك فقد سمع الله تعالى صوت الصبي، قومي فاحمليه وتمسكي به فان الله جاعله لأمة عظيمة، وان الله فتح عليها فاذا ببئر ماء فذهبت وملأت الزادة منه وسقت الصبي منه، وكان الله معها ومع الصبي حتى تربى، وكان مسكنه في برية فاران» فهذه أربع بشارات خالصة لأم إسماعيل: نزلت اثنتان منها على ابراهيم، واثنتان على هاجر. وفي التوراة أيضاً بشارات أخر بإسماعيل وولده وأنهم أمة عظيمة جداً، وأن نجوم السماء تحصى ولا يحصون، وهذه البشارة انما تمت بظهور محمد بن عبد الله وأمته.

فان «بني إسحق» كانوا لم يزالوا مطرودين مشردين خولاً[٣] للفراعنة والقبط حتى أنقذهم الله بنبيه وكليمه موسى بن عمران، وأورثهم أرض الشام فكانت كرسي مملكتهم، ثم سلبهم ذلك وقطعهم في الارض أمماً مسلوباً عزهم وملكهم: قد أخذتهم سيوف السودان، وعلتهم أعلاج الحمران[٤] حتى اذا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم تمت تلك النبوات وظهرت تلك البشارات بعد دهر طويل وعلت بنو إسماعيل على من حولهم فهشموهم هشما، وطحنوهم طحنا، وانتشروا في آفاق الدنيا، ومدت الأمم أيديهم اليهم بالذل والخضوع، وعلوهم علوّ الثريا فيما بين الهند

---

(٣) خَوَل الرجل: حشَمه، الواحد: خائل. وقد يكون الخَوَل واحداً، وهو اسم يقع على العبد والأمَة.

(٤) العِلْج- بوزن العجل-:الواحد من كفار العجم، يجمع على علوج وأعلاج،والحمران: العجم. يقال: أتاني كل أسود واحمر: أي جاء جميعهم عربهم وعجمهم.

والحبشة والسوس الأقصى وبلاد الترك والصقالبة والخزر، وملكوا ما بين الخافقين وحيث ملتقى أمواج البحرين، وظهر ذكر إبراهيم على ألسنة الأمم، فليس صبي من بعد ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرأة ولا حر ولا عبد ولا ذكر ولا أنثى إلا وهو يعرف إبراهيم وآل إبراهيم.

وأما «النصرانية» وان كانت قد ظهرت في أمم كثيرة جليلة فانه لم يكن لهم في محل إسماعيل وأمه هاجر سلطان ظاهر ولا عز قاهر البتة، ولا صارت أيدي هذه الأمة فوق أيدي الجميع ولا امتدت اليهم أيدي الأمم بالخضوع، وكذلك سائر ما تقدم من البشارات التي تفيد بمجموعها العلم القطعي بأن المراد بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأمته، فانه لو لم يقع تأويلها بظهوره صلى الله عليه وسلم لبطلت تلك النبوات؛ ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لا يمكن الايمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالايمان بالنبي الذي بشروا به قالوا نحن في انتظاره ولم يجيء بعد ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه منهم ان هذا النبي في ولد إسماعيل أنكروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه إسماعيل، وان هذا لم يخلقه الله: ولا يكثر على أمة البهت وإخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك، كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا في ديننا وينتقصوا نبينا صلى الله عليه وسلم. ونحن نبين أنهم لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة ولا آية ولا معجزة إلا باقرارهم أن محمداً رسول الله؛ وإلا فمع تكذيبه لا يمكن أن يثبُتَ للمسيح شيء من ذلك البتة..

[لا يمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولا نبوة اذا كفروا بمحمد]

[اليهود اساتذة النصارى في قصة الصلب وأخبار المسيح]

فنقول: إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم، فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة، ومن نقل اليكم عنه آية أو معجزة؟! فانكم إنما تبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم عن منام رؤى فأسرعتم إلى تصديقه، وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود

عيسى في العالم لانه لا يقبل قول اليهود فيه، ولا سيما وهم أعظم أعدائه الذين رموه وامه بالعظائم، فأخبار المسيح والصليب انما شيوخكم فيها اليهود، وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم اختلاف، وانتم مختلفون معهم في أمره، فاليهود تزعم أنهم حين أخذوه حبسوه في السجن أربعين يوماً، وقالوا ما كان لكم أن تحبسوه أكثر من ثلاثة أيام ثم تقتلوه إلا أنه كان يعضده أحد قواد الروم، لأنه كان يداخله في صناعة الطب عندهم. وفي الأناجيل التي بأيديكم «أنه أخذ صبح يوم الجمعة وصلب في الساعة التاسعة من اليوم بعينه» فمتى تتوافقون مع اليهود في خبره، واليهود مجمعون أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت منه لهم آية غير أنه طار يوماً وقد هموا بأخذه فطار على أثره آخر منهم فعلاه في طيرانه فسقط الى الأرض بزعمهم. وفي الانجيل الذي بأيديكم في غير موضع ما يشهد أنه لا معجزة له ولا آية!! فمن ذلك أن فيه منصوصا «أن اليهود قالوا له يوماً ماذا تفعل حتى تنتهى به الى أمر الله تعالى؟ فقال أمر الله أن تؤمنوا بمن بعثه، فقالوا له: وما آيتك التي ترينا ونؤمن بك وأنت تعلم أن آباءنا قد أكلوا المن والسلوى بالمفاوز؟ قال ان كان أطعمكم موسى خبزاً فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً» يريد نعيم الآخرة فلو عرفوا له معجزة ما قالوا ذلك.. وفي الانجيل الذي بأيديكم أن اليهود قالت له «ما آيتك التي نصدقك بها؟» قال «اهدموا البيت أبنه لكم في ثلاثة أيام» فلو كانت اليهود تعرف له آية لم تقل هذا، ولو كان قد أظهر لهم معجزة لذكرهم بها حينئذ.. وفي الانجيل الذي بأيديكم أيضاً «أنهم جاؤا يسألونه آية فقذفهم، وقال: ان القبيلة الفاجرة الخبيثه تطلب آية فلا تعطى ذلك».. وفيه أيضاً «أنهم كانوا يقولون له وهو على الخشبة بظنكم إن كنت المسيح فأنزل نفسك فنؤمن بك يطلبون بذلك آية فلم يفعل» فاذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يتحقق لعيسى ابن مريم آية ولا فضيلة؛ فان أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت اليها لاختلافكم في شأنه أشد الاختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره. وكذلك اجتمعت اليهود على أنه لم يدع شيئاً من الالهية التي نسبتم اليه أنه ادعاها، وكان أقصى مرادهم أن يدعي فيكون أبلغ في تسلطهم عليه، وقد ذكر السبب في استفاضة ذلك عنه وهو أن أحبارهم وعلماءهم لما مضى وبقي ذكره خافوا أن تصير عامتهم اليه

إذ كان على سنن تقبله قلوب الذين لا غرض لهم، فشنعوا عليه أموراً كثيرة، ونسبوا اليه دعوى الالهية تزهيداً للناس في أمره.

[أخبار اليهود والنصارى عن عيسى ونسبه لا يوثق بها..]

ثم ان اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم تيقنهم بشيء من أخباره، فمنهم من يقول أنه كان رجلا منهم ويعرفون أباه وأمه وينسبونه لزانية! وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول التي لم يقرعها فحل قط، قاتلهم الله أنى يؤفكون، ويسمون أباه الزاني البنديرا الرومي، وأمه مريم الماشطة، ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهودا وجد البنديرا عندها على فراشها وشعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها. ومن اليهود من رغب عن هذا القول وقال إنما أبوه يوسف بن يهودا الذي كان زوجاً لمريم، ويذكرون أن السبب في استفاضة اسم الزنا عليه أنه بينا هو يوماً مع معلمه يهشوع بن برخيا وسائر التلاميذ في سفر فنزلوا موضعاً فجاءت امرأة من أهله وجعلت تبالغ في كرامتهم، فقال يهشوع ما أحسن هذه المرأة؟! يريد أفعالها، فقال عيسى بزعمهم لولا عور في عينها، فصاح يهشوع وقال له يا ممزار- ترجمته يا زنيم[٥]- أتزني بالنظر، وغضب غضباً شديداً وعاد الى بيت المقدس وحرم اسمه ولعنه في أربعمائة قرن، فحينئذ لحق ببعض قواد الروم وداخله بصناعة الطب فقوي بذلك على اليهود وهم يومئذ في ذمة قيصر بتاريوش، وجعل يخالف حكم التوراة ويستدرك عليها ويعرض عن بعضها الى أن كان من أمره ما كان. وطوائف من اليهود يقولون غير هذا، ويقولون إنه كان يلاعب الصبيان بالكرة فوقعت منهم بين جماعة من مشايخ اليهود فضعف الصبيان عن استخراجها من بينهم حيَاء من المشايخ، فقوي عيسى وتخطى رقابهم وأخذها، فقالوا له ما نظنك إلا زنيًّا: ، ومن اختلاف اليهود في أمره أنهم يسمون أباه بزعمهم الذي كان خطب مريم يوسف بن يهودا النجار. وبعضهم يقول إنما هو يوسف الحداد. والنصارى تزعم أنها كانت ذات بعل[٦] وان زوجها

---

(٥) الزنيم: المستلحق في قوم ليس منهم، لا يُحتاج إليه، فكأنه فيهم زَنَمَةٌ: وهي شيء يكون للمعز في أذنها كالقرط.
(٦) البعل: الزوج.

يوسف بن يعقوب. وبعضهم يقول يوسف بن آل. وهم يختلفون أيضاً في آبائه وعددهم الى ابراهيم فمن مقل ومن مكثر. فهذا ما عند اليهود وهم شيوخكم في نقل الصلب وأمره وإلا فمن المعلوم أنه لم يحضره أحد من النصارى وإنما حضره اليهود وقالوا قتلناه وصلبناه وهم الذين قالوا فيه ما حكيناه عنهم فان صدقتموهم في الصلب فصدقوهم في سائر ما ذكروه، وان كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ما قتلوه وما صلبوه؛ بل صانه الله وحماه وحفظه، وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود،

[النصارى أشد الأمم افتراقا في دينهم]

[ما اتفقت عليه فرقهم المشهورة]

وأما خبر ما عندكم أنتم فلا نعلم أمة أشد اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها منكم، فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغير جواب الآخر، ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب، وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول، وانه إله في الحقيقة، وأنه هو خالق السموات والارض والملائكة والنبيين، وأنه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات، وأن للعالم إلهاً هو أب والد لم يزل، وان ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار هو وابنها الناسوتي إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً، وحبلت به مريم وولدته، وأخذ وصلب وألم ومات ودفن، وقام بعد ثلاثة أيام وصعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه قالوا والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله، فالقديم الأزلي خالق السموات والارض هو الذي حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر، وهو الذي ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يداه.

[اختلاف فرقهم المشهورة في شخصية المسيح]

ثم اختلفوا: فقالت «اليعقوبية»ـ اتباع يعقوب البرادعي ولقب بذلك لأن لباسه كان من خرق برادع الدواب يرقع بعضها ويلبسهاـ إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين: «احداهما» طبيعة الناسوت، «والأخرى» طبيعة اللاهوت، وان هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً، فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح وهو إله كله، وإنسان كله، وهو شخص واحد، وطبيعة واحدة من طبيعتين. وقالوا: إن مريم ولدت الله، وان الله سبحانه قبض عليه وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك.

وقالت «الملكية»ـ وهم الروم نسبة الى دين الملك لا إلى رجل يدعى ملكانيا هو صاحب مقالتهم كما يقوله بعض من لا علم له بذلكـ ان الابن الازلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملا كسائر أجساد الناس، وركبت في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس، وأنه صار انسانا بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس، وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل، وهو انسان بجوهر الناس مثل ابراهيم وموسى وداود، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه ابن مريم، وهو شخص واحد لم يزد عدده، وطبيعتان، ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة، فله بلاهوته مشيئة مثل الاب، وله بناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم وداود. وقالوا: إن مريم ولدت «المسيح» وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وقالوا: إن الذي مات هو الذي ولدته مريم، وهو الذي وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن، قالوا وهو إله تام بجوهر لاهوته، وانسان تام بجوهر ناسوته، وله المشيئتان: مشيئة اللاهوت، ومشيئة الناسوت. فأتوا بمثل ما أتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الاله الا أنهم بزعمهم نزهوا الاله عن الموت. واذا تدبرت قولهم وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه، فاليعقوبية أطرد لكفرهم لفظاً ومعنى..

وأما «النسطورية» فذهبوا الى القول بان المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وان طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما ارادة واحدة، واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصاناً ولا يمتزج بشيء، والناسوت يقبل الزيادة والنقصان، فكان المسيح بذلك إلها وانسانا، فهو الاله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان، وهو انسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان. وقالوا إن مريم ولدت المسيح بناسوته وان اللاهوت لم يفارقه قط. وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبداً لله وهو لم يستنكف من ذلك، ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله، ومحمد وابراهيم خير منه، وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية، فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك.

.. وقالت «الاريوسية» منهم وهم اتباع أريوس: ان المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل، وهو مربوب مخلوق مصنوع، وكان النجاشي على هذا المذهب. واذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة، وفعلوا به ما يفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب. والكل من تلك الفرق الثلاث عوامهم لا تفهم مقالة خواصهم على حقيقتها؛ بل يقولون ان الله تخطى مريم كما يتخطى الرجل المرأة وأحبلها فولدت له ابناً، ولا يعرفون تلك الهذيانات التي وضعها خواصهم، فهم يقولون: الذي تدندنون حوله نحن نعتقده بغير حاجة منا الى معرفة الاقانيم الثلاثة من الطبيعتين والمشيئتين، وذلك للتهويل والتطويل، وهم يصرحون بان مريم والدة الاله، والله أبوه، وهو الابن فهذا الزوج، والزوجة، والولد (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئاً إدّا، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا، إن كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً، لقد أحصاهم وعدهم عدا، وكلهم آتيه يوم القيمة فردا)(٧)

---

(٧) سورة مريم/ ٨٨- ٩٥. والإدُّ، والإدَّة: بالكسر والتشديد فيهما: الداهية والأمر الفظيع.

[محمد برأ المسيح وأمه من افتراء اعدائهما وأنزله المنزلة العالية]

[ونزه الله عن افتراء المثلثة عليه]

فهذه أقوال اعداء المسيح من اليهود والغالين فيه من النصارى المثلثة عباد الصليب فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بما أزال الشبهة في أمره وكشف الغمة، وبرأ المسيح وأمه من افتراء اليهود وبهتهم وكذبهم عليهما ونزه رب العالمين وخالق المسيح وأمه مما افتراه عليه المثلثة عباد الصليب الذين سبوه أعظم السب، فانزل المسيح أخاه بالمنزلة التي أنزله الله بها وهي أشرف منازله، فآمن به وصدقه، وشهد له بأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول الطاهرة الصديقة سيدة نساء العالمين في زمانها، وقرر معجزات المسيح وآياته، واخبر عن ربه تعالى بتخليد من كفر بالمسيح في النار، وان ربه تعالى اكرم عبده ورسوله ونزهه وصانه أن ينال اخوان القردة منه ما زعمته النصارى أنهم نالوه منه؛ بل رفعه اليه مؤيداً منصوراً لم يشكه أعداؤه بشوكة، ولا نالته أيديهم بأذى، فرفعه اليه وأسكنه سماءه، وسيعيده الى الارض ينتقم به من مسيح الضلال وأتباعه، ثم يكسر به الصليب، ويقتل به الخنزير، ويعلي به الاسلام، وينصر به ملة أخيه وأولى الناس به محمد عليهما افضل الصلاة والسلام. فاذا وضع هذا القول في المسيح في كفة وقول عباد الصليب المثلثة في كفة تبين لكل من له أدنى مُسكة من عقل ما بينهما من التفاوت، وأن تفاوتهما كتفاوت ما بينه وبين قول المغضوب عليهم فيه، وبالله التوفيق. .

فلولا محمد صلى الله عليه وسلم لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذي هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا؛ فان هذا المسيح الذي أثبته اليهود من شرار خلق الله ليس بمسيح الهدى، والمسيح الذي أثبته النصارى من أبطل الباطل لا يمكن وجوده في عقل ولا فطرة، ويستحيل أن يدخل في الوجود أعظم استحالة، ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقول ولم يبق لاحد ثقة بمعقول أصلا؛ فان استحالة وجوده فوق

استحالة جميع المحالات، ولو صح ما يقول لبطل العالم واضمحلت السموات والأرض وعدمت الملائكة والعرش والكرسي ولم يكن بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار. ولا يستعجب من اطباق أمة الضلال الذين شهد الله أنهم أضل من الانعام على ذلك فكل باطل في الوجود ينسب الى أمة من الأمم فانها مطبقة عليه، وقد تقدم ذكر إطباق الامم العظيمة التي لا يحصيها الا الله على الكفر والضلال بعد معاينة الآيات البينات، فلعباد الصليب أسوة باخوانهم من أهل الشرك والضلال!

[النصارى تلقوا أصول دينهم عن اصحاب المجامع]

[١٠ مجامع لعلماء النصارى يكفر فيها بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا]

[قصة المسيح قبل بعثه وبعده الى ان رفع وما لاقى اتباعه من اليهود والقياصرة]

(فصل) في ذكر استنادهم في دينهم الى أصحاب «المجامع» الذين كفّر بعضهم بعضاً وتلقيهم أصول دينهم عنهم، ونحن نذكر الآن الأمر كيف ابتدأ وتوسط، وانتهى، حتى كأنك تراه عيانا.

كان الله سبحانه قد بشر بالمسيح على ألسنة أنبيائه، من لدن موسى الى زمن داود ومن بعده من الأنبياء، واكثر الانبياء تبشيراً به داود، وكانت اليهود تنتظره وتصدق به قبل مبعثه، فلما بعث كفروا به بغيا وحسدا وشردوه في البلاد وطردوه وحبسوه وهموا بقتله مراراً الى أن أجمعوا على القبض عليه وعلى قتله فصانه الله وأنقذه من أيديهم، ولم يهنه بأيديهم، وشُبِّه لهم بأنهم صلبوه ولم يصلبوه، كما قال تعالى: (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله اليه، وكان الله عزيزا حكيمًا)(٨) وقد اختلف في معنى قوله: (ولكن شبه لهم). فقيل المعنى ولكن

(٨) سورة النساء/ ١٥٦ـ ١٥٨

شبه للذين صلبوه بأن ألقي شبَهه علي غيره فصلبوا الشبه، وقيل المعنى ولكن شبه للنصارى أي حصلت لهم الشبهة في أمره وليس لهم علم بانه ما قتل وما صلب؛ ولكن لما قالَ أعداؤه إنهم قتلوه وصلبوه واتفق رفعه من الارض وقعت الشبهة في أمره، وصدقهم النصارى في صلبه لتتم الشناعة عليهم، وكيف ما كان فالمسيح صلوات الله وسلامه عليه لم يقتل ولم يصلب يقينا لا شك فيه.

ثم تفرق الحواريون في البلاد بعد رفعه على دينه ومنهاجه يدعون الأمم الى توحيد الله ودينه والايمان بعبده ورسوله ومسيحه، فدخل كثير من الناس في دينه ما بين ظاهر مشهور ومختف مستور، وأعداء الله اليهود في غاية الشدة والأذى لاصحابه واتباعه، ولقي تلاميذ المسيح وأتباعه من اليهود ومن الروم شدة شديدة من قتل وعذاب وتشريد وحبس وغير ذلك، وكان اليهود في زمن المسيح في ذمة الروم وكانوا ملوكاً عليهم، وكتب نائب الملك ببيت المقدس الى الملك يعلمه بأمر المسيح وتلاميذه وما يفعل من العجائب الكثيرة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، فهم أن يؤمن به ويتبع دينه فلم يتابعه أصحابه، ثم هلك وولى بعده ملك آخر فكان شديداً على تلامذة المسيح.

ثم مات وولى بعده آخر، وفي زمنه كتب «مرقس» انجيله بالعبرانية، وفي زمانه صار الى الاسكندرية فدعا الى الايمان بالمسيح، وهو أول شخص جعل بترَكا على الاسكندرية، وصير معه اثني عشر قسيساً على عدة نقباء بني اسرائيل في زمن موسى وأمرهم اذا مات البترك أن يختاروا من الاثني عشر واحداً يجعلونه مكانه، ويضع الاثني عشر أيديهم على رأسه ويبركونه، ثم يختارون رجلا فاضلا قسيساً يصيرونه تمام العدة، ولم يزل أمر القوم كذلك الى زمن قسطنطين. ثم انقطع هذا الرسم واصطلحوا على أن ينصبوا البترك من أي بلد كان من أولئك القسيسين أو من غيرهم، ثم سموه «بابا» ومعناه ابو الآباء، وخرج «مرقس» الى برقة يدعو الناس الى دين المسيح. ثم ملك آخر فأهاج على اتباع المسيح الشر والبلاء وأخذهم بأنواع العذاب، وفي عصره كتب «بطرس» رئيس الحواريين انجيل مرقس عنه بالرومية، ونسبه الى مرقس .

وفي عصره كتب لوقا «انجيله» بالرومية لرجل شريف من عظماء الروم، وكتب له الابركسيس الذي فيه أخبار التلاميذ. وفي زمنه صلب «بطرس»، وزعموا أن بطرس قال له إن أردت أن تصلبني فاصلبني منكسا لئلا أكون مثل سيدي المسيح فانه صلب قائما، وضرب عنق بولس بالسيف، وأقام بعد صعود المسيح اثنين وعشرين سنة، وأقام «مرقس» بالاسكندرية وبرقة سبع سنين يدعو الناس الى الايمان بالمسيح، ثم قتل بالاسكندرية وأحرق جسده بالنار، ثم استمرت القياصرة ملوك الروم على هذه السيرة الى أن ملك مصر قيصر يسمى «طيطس» فخرب بيت المقدس بعد المسيح بسبعين سنة بعد أن حاصرها وأصاب أهلها جوع عظيم، وقتل من كان بها من ذكر وأنثى حتى كانوا يشقون بطون الحبالى ويضربون بأطفالهن الصخور، وخرب المدينة وأضرم فيها النار، وأحصي القتلى على يده فبلغوا ثلاثة آلاف ألف. ثم ملك ملوك آخرون فكان منهم واحد شديد على اليهود جدا، فبلغوه أن النصارى يقولون إن المسيح ملكهم وان ملكه يدوم الى آخر الدهر فاشتد غضبه وأمر بقتل النصارى وأن لا يبقى في ملكه نصراني، وكان «يوحنا» صاحب الانجيل هناك فهرب، ثم امر الملك باكرامهم وترك الاعتراض عليهم، ثم ملك بعده آخر فأثار على النصارى بلاء عظيما، وقتل بترك انطاكية برومية، وقتل اسقف بيت المقدس وصلبه وله يومئذ مائة وعشرون سنة، وامر باستعباد النصارى فاشتد عليهم البلاء الى أن رحمتهم الروم وقال له وزراؤه إن لهم ديناً وشريعة وانه لا يحل استعبادهم فكف عنهم، وفي عصره كتب يوحنا انجيله بالرومية، وفي ذلك العصر رجع اليهود الى بيت المقدس، فلما كثروا وامتلأت منهم المدينة عزموا على أن يملكوا منهم ملكا فبلغ الخبر قيصر فوجه اليهم جيشاً فقتل منهم من لا يحصى، ثم ملك بعده آخر وأخذ الناس بعبادة الاصنام، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً، ثم ملك بعده ابنه وفي زمانه قتل اليهود ببيت المقدس قتلا ذريعا وخرب بيت المقدس. وهرب اليهود الى مصر والى الشام والجبال والاغوار وتقطعوا في الأرض، وأمر الملك أن لا يسكن بالمدينة يهودي، وأن يقتل اليهود ويستأصلوا، وأن يسكن المدينة اليونانيون، وامتلأت بيت المقدس من اليونانيين، والنصارى ذمة تحت أيديهم، فرأوهم يأتون الى مزبلة هناك فيصلون

فيها فمنعوهم من ذلك، وبنوا على المزبلة هيكلا باسم «الزهرة» فلم يمكن النصارى بعد ذلك قربان ذلك الموضع، ثم هلك الملك وقام بعده آخر فنصب يهودا أسقفا على بيت المقدس، قال ابن البطريق فمن يعقوب أسقف بيت المقدس الأول الى يهودا أسقفه هذا كانت الأساقفة الذين على بيت المقدس كلهم مختونين، ثم ولى بعده آخر وأثار على النصارى بلاءً شديداً وحرباً طويلاً ووقع في أيامه قحط شديد كاد الناس أن يهلكوا فسألوا النصارى أن يبتهلوا الى الههم فدعوا وابتهلوا الى الله فمطروا وارتفع عنهم القحط والوباء. قال ابن البطريق: وفي زمانه كتب بترك الاسكندرية الى أسقف بيت المقدس وبترك انطاكية وبترك رومية في كتاب فصح النصارى وصومهم وكيف يستخرج من فصح اليهود، فوضعوا فيها كتبا على ما هي اليوم، قال وذلك ان النصارى كانوا بعد صعود المسيح اذا عيدوا عيد الغطاس من الغد يصومون اربعين يوماً ويفطرون كما فعل المسيح، لانه لما اعتمد بالاردن خرج الى البرية فأقام بها أربعين يوما، وكان النصارى اذا أفصح اليهود عيدوا هم الفصح، فوضع هؤلاء البتاركة حساباً للفصح ليكون فطرهم يوم الفصح، وكان المسيح يعيد مع اليهود في عيدهم واستمر على ذلك أصحابه الى أن ابتدعوا تغيير الصوم فلم يصوموا عقيب الغطاس بل نقلوا الصوم الى وقت لا يكون عيدهم مع اليهود. ثم مات ذلك الملك وقام بعده آخر، وفي زمنه كان «جالينوس» وفي زمنه ظهرت الفرس وغلبت على بابل وآمد وفارس. وتملك ازدشير بن بابك في اصطخر وهو أول ملك ملَكَ على فارس في المدة الثانية، ثم مات قيصر وقام بعده آخر، ثم آخر وكان شديداً على النصارى عذبهم عذابا عظيمًا وقتل خلقا كثيرا منهم، وقتل كل عالم فيهم، ثم قتل من كان بمصر والاسكندرية من النصارى، وهدم الكنائس، وبنى بالاسكندرية هيكلا وسماه هيكل «الآلهة» ثم قام بعده قيصر آخر، ثم آخر وكانت النصارى في زمنه في هدوء وسلامة، وكانت أمه تحب النصارى. ثم قام بعده آخر فأثار على النصارى بلاءً عظيمًا وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأخذ الناس بعبادة الاصنام، وقتل من الاساقفة خلقاً كثيراً، وقتل بترك انطاكية فلما سمع بترك بيت المقدس بقتله هرب وترك الكرسي ثم هلك، وقام بعده آخر، ثم آخر.

وفي أيام هذا ظهر «ماني» الكذاب وزعم أنه نبي، وكان كثير الحيل والمخاريق، فأخذه بهرام ملك الفرس فشقه نصفين، وأخذ من أتباعه مائتي رجل فغرس رؤسهم في الطين منكسين حتى ماتوا ثم قام من بعده فيلبس فآمن بالمسيح فوثب عليه بعض قواده فقتله، ثم قام بعده «دانقيوس» ويسمى دقيانوس فلقى النصارى منه بلاءً عظيمًا وقتل منهم ما لا يحصى، وقتل بترك رومية، وبنى هيكلاً عظيمًا وجعل فيه الاصنام، وأمر أن يسجد لها ويذبح لها ومن لم يفعل قتل، فقتل خلقاً كثيراً من النصارى وصلبوا على الهيكل، واتخذ من أولاد عظماء المدينة سبعة غلمان فجعلهم خاصته وقدمهم على جميع من عنده، وكانوا لا يسجدون للاصنام فأعلم الملك بخبرهم فحبسهم ثم أطلقهم، وخرج الى مخرج له فأخذ الفتية كل مالهم فتصدقوا به، ثم خرجوا الى جبل فيه كهف كبير فاختفوا فيه وصب الله عليهم النعاس فناموا كالاموات، وأمر الملك أن يبنى عليهم باب الكهف ليموتوا، فأخذ قائد من قواده صفيحة من نحاس فكتب فيها أسماءهم وقصتهم مع دقيانوس وصيرها في صندوق من نحاس ودفنه داخل الكهف وسده. ثم مات الملك.

[بولس أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح]

ثم قام بعده قيصر آخر. وفي زمنه جعل في انطاكية بتركا يسمى «بولس الشمشاطي» وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب، لا يختلف فيه اثنان منهم، فقال بولس هذا ـ وهو أول من أفسد دين النصارى ـ ان سيدنا المسيح خلق من اللاهوت انسانا كواحد منا في جوهره، وأن ابتداء الابن من مريم، وانه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الانسي صحبته النعمة الالهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله. وقال ان الله جوهر واحد واقنوم واحد.

[المجمع الاول]

قال سعيد بن البطريق وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة انطاكية

ونظروا في مقالة «بولس» فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا.

ثم قام قيصر آخر فكانت النصارى في زمنه يصلون في المطامير[٩] والبيوت فزعا من الروم، ولم يكن بترك الاسكندرية يظهَرُ خوفاً أن يقتل، فقام بارون بتركاً فلم يزل يداري الروم حتى بنى بالاسكندرية كنيسة، ثم قام قياصرة أخر منهم اثنان تملكا على الروم احدى وعشرين سنة فأثارا على النصارى بلاءً عظيمًا وعذاباً أليمًا وشدة تجل عن الوصف من القتل والعذاب واستباحة الحريم والاموال وقتل الوف مؤلفة من النصارى، وعذبوا مارجرجس أصناف العذاب ثم قتلوه، وفي زمنهما ضربت عنق بطرس بترك الاسكندرية، وكان له تلميذان، وكان في زمنه «أريوس» يقول: ان الأب وحده الله الفرد الصمد والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، فقال بطرس لتلميذيه: إن المسيح لعن أريوس فاحذرا أن تقبلا قوله؛ فاني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب، فقلت يا سيدي! من شق ثوبك؟ فقال لي «أريوس» فاحذروا أن تقبلوه أو يدخل معكم الكنيسة، وبعد قتل بطرس بخمس سنين صير أحد تلميذيه بتركا على الاسكندرية فأقام ستة أشهر ومات، ولما جرى على أريوس ما جرى أظهر أنه قد رجع عن مقالته فقبله هذا البترك وأدخله الكنيسة وجعله قسيساً، ثم قام قيصراً آخر فجعل يتطلب النصارى ويقتلهم حتى صب الله عليه النقمة فهلك شر هلكة.

ثم قام بعده قيصران: (أحدهما) ملك الشام وأرض الروم وبعض الشرق، (والآخر) رومية وما جاورها، وكانا كالسباع الضارية على النصارى فعلا بهم من القتل والسبي والجلاء ما لم يفعله بهم ملك قبلهما، وملك معهما «قسطنطين» أبو قسطنطين، وكان ديناً يبغض الأصنام محباً للنصارى، فخرج الى ناحية الجزيرة والرها، فنزل في قرية من قرى الرها فرأى امرأة جميلة يقال لها «هيلانة» وكانت قد تنصرت على يدي اسقف الرها وتعلمت قراءة الكتب فخطبها قسطنطين من أبيها

(٩) المطامير: جمع مطمورة، هي الحفيرة تحت الارض تخبأ فيها الحبوب ونحوها. والمطمورة الحبس أيضاً. وأهل شمالي بلاد الشام ك «حلب» وما جاورها. يسمون حصّالة النقود التي تكون عند الغلمان: مطمورة . لأنّ الصبي يخبىء فيها النقود.

فزوجه إياها، فحبلت منه وولدت قسطنطين فتربى بالرها، وتعلم حكمة اليونان، وكان جميل الوجه قليل الشر محباً للحكمة، وكان «عليانوس» ملك الروم حينئذ رجلا فاجراً شديد البأس مبغضاً للنصارى جداً، كثير القتل فيهم، محباً للنساء، لم يترك للنصارى بنتاً جميلة إلا أفسدها وكذلك أصحابه، وكان النصارى في جهد جهيد معه، فبلغه خبر قسطنطين وانه غلام هاد قليل الشر كثير العلم، وأخبره المنجمون والكهنة انه سيملك ملكاً عظيما فهم بقتله فهرب قسطنطين من الرها، ووصل الى أبيه فسلم اليه الملك، ثم مات أبوه، وصب الله على «عليانوس» أنواعاً من البلاء حتى تعجب الناس مما ناله ورحمه أعداؤه مما حل به، فرجع الى نفسه وقال لعل هذا بسبب ظلم النصارى فكتب الى جميع عماله أن يطلقوا النصارى من الحبوس، وان يكرموهم ويسألوهم أن يدعوا له في صلواتهم، فوهب الله له العافية ورجع الى أفضل ما كان عليه من الصحة والقوة، فلما صح وقوي رجع الى شر مما كان عليه، وكتب الى عماله أن يقتلوا النصارى ولا يدعوا في مملكته نصرانياً ولا يسكنوا له مدينة ولا قرية، فكان القتلى يحملون على العجل ويرمى بهم في البحر والصحارى. وأما «قيصر الآخر» الذي كان معه فكان شديداً على النصارى، واستعبد من كان برومية من النصارى، ونهب أموالهم، وقتل رجالهم ونساءهم وصبيانهم.

[أول من ابتدع شارة الصليب قسطنطين]

فلما سمع أهل رومية بقسطنطين وانه مبغض للشر محب للخير وأن أهل مملكته معه في هدوء وسلامة كتب رؤساءهم اليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم، فلما قرأ كتبهم اغتم غمًا شديداً وبقي متحيراً لا يدري كيف يصنع. قال سعيد بن البطريق فظهر له على ما يزعم النصارى نصف النهار في السماء «صليب» من كوكب مكتوباً حوله: «بهذا تغلب.» فقال لأصحابه رأيتم ما رأيت؟ قالوا نعم، فآمن حينئذ بالنصرانية، فتجهز لمحاربة قيصر المذكور، وصنع صليباً كبيراً من ذهب وصيره على رأس البند، وخرج بأصحابه فأعطي النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه، فخرج أهل رومية الى قسطنطين

بالاكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحا عظيما، فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم الى بلادهم بعد النفي والتشريد، وأقام أهل رومية سبعة أيام يُعَيِّدون للملك وللصليب، فلما سمع عليانوس جمع جموعه وتجهز للقتال مع قسطنطين، فلما وقعت العين في العين انهزموا وأخذتهم السيوف، وأُفلِتَ عليانوس فلم يزل من قرية الى قرية حتى وصل الى بلده، فجمع السحرة والكهنة والعرافين الذين كان يحبهم ويقبل منهم فضرب أعناقهم لئلا يقعوا في يد قسطنطين، وأمر ببناء الكنّائس، وأقام في كل بلد من بيت المال الخراج فيما تعمل به أبنية الكنائس، وقام بدين النصرانية حتى ضرب بجرانه في زمانه، فلما تم له خمس عشر سنة من ملكه حاج النصارى في أمر المسيح واضطربوا، فأمر بالمجمع في مدينة نيقية وهي التي رتبت فيها «الأمانة» بعد هذا المجمع، كما سيأتي، فأراد أريوس أن يدخل معهم فمنعه بترك الاسكندرية، وقال أن بطرسا قال لهم ان الله لعن أريوس فلا تقبلوه ولا تدخلوه الكنيسة، وكان على مدينة أسيوط من عمل مصر أسقف يقول بقول أريوس فلعنه أيضا، وكان بالاسكندرية هيكل عظيم على اسم زحل وكان فيه صنم من نحاس يسمى ميكائيل، وكان أهل مصر والاسكندرية في اثني عشر يوما من شهر هتور وهو تشرين الثاني يعيدون لذلك الصنم عيدا عظيما ويذبحون له الذبائح الكثيرة فلما ظهرت النصرانية بالاسكندرية أراد بتركها ان يكسر الصنم ويبطل الذبائح له، فامتنع عليه أهلها، فاحتال عليهم بحيلة، وقال: لو جعلتم هذا العيد لميكائيل ملك الله لكان أولى فان هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فأجابوه الى ذلك، فكسر الصنم وجعل منه صليبا وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل، فلما منع بترك الاسكندرية أريوس من دخول الكنيسة ولعنه خرج أريوس مستعديا عليه ومعه أسقفان فاستغاثوا الى قسطنطين، وقال أريوس انه تعدى عليّ وأخرجني من الكنيسة ظلما، وسئل الملك أن يشخص بترك الاسكندرية يناظره قدام الملك، فوجه قسطنطين برسول الى الاسكندرية فأشخص البترك وجمع بينه وبين أريوس ليناظره، فقال قسطنطين لاريوس اشرح «مقالتك» قال أريوس: أقول ان الأب كان إذ لم يكن الابن، ثم انه احدث الابن فكان كلمة له إلا انه محدث مخلوق، ثم فوض الأمر الى ذلك الابن

المسمى كلمة، فكان هو خالق السموات والأرض وما بينهما، كما قال في إنجيله إنه يقول «وهب لي سلطاناً على السماء والارض» فكان هو الخالق لهما بما اعطى من ذلك، ثم ان الكلمة تجسدت من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً، فالمسيح الآن معنيان كلمة وجسد الا أنهما جميعاً مخلوقان. فأجابه عند ذلك بترك الاسكندرية، وقال: تخبرنا الآن أيما أوجب علينا عندك عبادة من خلقنا أو عبادة من لم يخلقنا؟ قال أريوس بل عبادة من خلقنا، فقال له البترك فان كان خالقنا الابن كما وصفت وكان الابن مخلوقاً فعبادة الابن المخلوق أوجب من عبادة الأب الذي ليس بخالق؛ بل تصير عبادة الاب الذي خلق الابن كفراً وعبادة الابن المخلوق إيمانا، وذلك من أقبح الأقاويل. فاستحسن الملك وكل من حضر مقالة البترك، وشنع عندهم مقالة أريوس، ودارت بينهما أيضاً مسائل كثيرة، فأمر قسطنطين البترك أن يكفر أريوس وكل من قال بمقالته، فقال له بل يوجه الملك بشخص للبتاركة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع فيه قضية ويكفر أريوس ويشرح الدين ويوضحه للناس.

[المجمع الثاني]

[وفيه وضعوا الأمانة]

فبعث قسطنطين الملك الى جميع البلدان فجمع البتاركة والاساقفة فاجتمع في مدينة نيقية بعد سنة وشهرين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً، فكانوا مختلفي الآراء، مختلفي الأديان. فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم «المريمانية» ومنهم من يقول: المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم ينقص الاولى لايقاد الثانية منها. ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور في بطن مريم كما يمر الماء في الميزاب؛ لأن كلمة الله دخلت من أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهذه «مقالة الباد وأشياعه». ومنهم من كان يقول ان المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وان ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجواهر الانسية صحبته النعمة الالهية فحلت منه بالمحبة

والمشيئة فلذلك سمي ابن الله، ويقولون ان الله جوهر واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهذه «مقالة بولص وأشياعه» ومنهم من كان يقول ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما هذه «مقالة مرقيون وأشياعه» ومنهم من يقول: ربنا هو المسيح، وهي مقالة «ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً» قال ابن البطريق: ولما سمع قسطنطين الملك مقالتهم عجب من ذلك وأخلى لهم داراً وتقدم لهم بالاكرام والضيافة، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه، فاتفق منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأى واحد وناظروا بقية الاساقفة المختلفين ففلجوا[١٠] عليهم في المناظرة، وكان باقي الاساقفة مختلفي الآراء والاديان فصنع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً عظيما وجلس في وسطه وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفع ذلك اليهم، وقال لهم قد سلطتكم اليوم على المملكة فاصنعوا ما بدا لكم وما ينبغي لكم أن تضيعوا ما فيه قوام الدين وصلاح الامة، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه[١١]، ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الاساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها، وكان رئيس القوم والمجمع والمقدم فيه بترك الاسكندرية وبترك انطاكية وأسقف بيت المقدس، ووجه بترك رومية من عنده رجلين فاتفق الكل على لعن أريوس وأصحابه ولعنوه وكل من قال بمقالته، ووضعوا «الأمانة» وقالوا ان الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق وان الابن من طبيعة الأب غير مخلوق، واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الاحد ليكون بعد فصح اليهود، وأن لا يكون فصح اليهود مع فصحهم في يوم واحد، ومنعوا أن يكون للاسقف زوجة، وذلك أن الأساقفة منذ وقت الحواريين الى مجمع الثلاثمائة وثمانية عشر كان لهم نساء؛ لأنهم كانوا اذا صيروا واحداً أسقفاً وكانت له زوجة ثبتت معه ولم تتنح عنه ما خلا البتاركة فانهم لم يكن لهم نساء، ولا كانوا أيضاً يصيرون أحداً له زوجة بتركا، قال وانصرفوا مكرمين محظوظين، وذلك في سبعة

---

(١٠) الفَلْج: الظفر والفوز. وفي المثل: من يأت الحَكَم وحده يفلُجْ.
(١١) فعل أمر: أي دافع عنه.

عشر سنة من ملك قسطنطين الملك، ومكث بعد ذلك ثلاث سنين (إحداها) كسر الاصنام وقتل من يعبدها (والثانية) أمر أن لا يثبت في الديوان الا أولاد النصارى، ويكونون هم الامراء والقواد (والثالثة) أن يقيم للناس جمعة الفصح والجمعة التي بعدها لا يعملون فيها عملا ولا يكون فيها حرب، وتقدم قسطنطين الى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب ويبني الكنائس، ويبدأ ببناء القيامة، فقالت هيلانة امه إني نذرت أن أسير الى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة وأبنيها، فدفع اليها الملك أموالا جزيلة، وسارت مع أسقف بيت المقدس، فبنت كنيسة القيامة في موضع الصليب وكنيسة قسطنطين.

ثم اجتمعوا بعد هذا مجمعاً عظيما ببيت المقدس، وكان معهم رجل دسه بترك القسطنطينية وجماعة معه ليسألوا بترك الاسكندرية، وكان هذا الرجل لما رجع الى الملك أظهر أنه مخالف لاريوس، وكان يرى رأيه ويقول بمقالته، فقام الرجل وقال ان «اريوس» لم يقل ان المسيح خلق الانسان ولكن قال به خلقت الاشياء لأنه كلمة الله التي بها خلقت السموات والارض، وانما خلق الله الاشياء بكلمته، ولم تخلق الاشياء كلمته كما قال المسيح في الانجيل «كل بيده كان ومن دونه لم يكن شيء» وقال «به كانت الحياة والحياة نور البشر» وقال «العالم به يكون» فأخبر أن الاشياء به تكونت. قال ابن البطريق فهذه كانت مقالة أريوس ولكن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً تعدوا عليه وحرفوه ظلماً وعدواناً، فرد عليه بترك الاسكندرية وقال أما أريوس فلم تكذب عليه الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولا ظلموه لأنه إنما قال الابن خالق الاشياء دون الاب، واذا كانت الاشياء إنما خلقت بالابن دون أن يكون الأب لها خالقاً فقد أعطى انه ما خلق منها شيئاً، وفي ذلك تكذيب قوله: «الاب يخلق، وأنا أخلق» وقال: إن أنا لم أعمل عمل أبي فلا تصدقوني»وقال «كما ان الاب يحيي من يشاء ويميته كذلك الإبن يحيي من يشاء ويميته» قالوا فدل على انه يحيي ويخلق، وفي هذا تكذيب لمن زعم أنه ليس بخالق وإنما خلقت الاشياء به دون أن يكون خالقاً. واما قولك: إن الاشياء كوّنت به فانا لما قلنا لا شك ان المسيح حي فعال وكان قد دل بقوله «إني أفعل الخلق والحياة» كان قولك: به كونت الاشياء إنما هو

راجع في المعنى الى أنه كونها وكانت به مكونة، ولو لم يكن ذلك لتناقض القولان. قال: واما قول من قال من اصحاب أريوس: ان الاب يريد الشيء فيكونه الابن والارادة للاب والتكوين للابن فان ذلك يفسد ايضاً اذا كان الابن عنده مخلوقا، فقد صار حظ المخلوق في الخلق أوفى من حظ الخالق فيه، وذلك ان هذا اراد وفعل وذلك اراد ولم يفعل فهذا اوفر حظا في فعله من ذلك، ولا بد لهذا أن يكون في فعله لما يريد ذلك بمنزلة كل فاعل من الخلق لما يريد الخالق منه، ويكون حكمه كحكمه في الخير والاختيار، فان كان مجبوراً فلا شيء له في الفعل، وان كان مختاراً فجائز أن يطاع وجائز أن يعصى، وجائز أن يثاب وجائز أن يعاقب. وهذا أشنع في القول، ورد عليه أيضاً وقال: إن كان الخالق إنما خلق خلقه بمخلوق والمخلوق غير الخالق بلا شك فقد زعمتم أن الخالق يفعل بغيره والفاعل بغيره محتاج الى متمم ليفعل به إذ كان لا يتم له الفعل إلا به، والمحتاج الى غيره منقوص والخالق متعال عن هذا كله. قال فلما دحض بترك الاسكندرية حجج اولئك المخالفين وظهر لمن حضر بطلان قولهم، وتحيروا وخجلوا فوثبوا على بترك الاسكندرية فضربوه حتى كاد يموت، فخلصه من أيديهم ابن أخت قسطنطين، وهرب بترك الاسكندرية وصار الى بيت المقدس من غير حضور أحد من الاساقفة، ثم أصلح دهن الميرون وقدس الكنائس ومسحها بدهن الميرون، وسار الى الملك فأعلمه الخبر فصرفه الى الاسكندرية. قال ابن البطريق: وأمر الملك أن لا يسكن يهودي ببيت المقدس ولا يجوز بها ومن لم يتنصر قتل، فظهر دين النصرانية وتنصر من اليهود خلق، فقيل للملك: إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم، فقال كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟ فقال بولس البترك: ان الخنزير في التوراة حرام واليهود لا يأكلون لحم الخنزير، فأمر أن تذبح الخنازير ويطبخ لحومها ويطعم منها فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية، فقال الملك اذا كان الخنزير في التوراة حراماً فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس؟ فقال له بولس: إن سيدنا المسيح قد أبطل كل ما في التوراة، وجاء بنواميس أخر وبتوراة جديدة وهو الانجيل، وفي إنجيله «ان كل ما يدخل البطن فليس بحرام ولا نجس، وإنما ينجس الانسان ما

يخرج من فيه» وقال يونس: إن بطرس رئيس الحواريين بينما هو يصلي في ست ساعات من النهار وقع عليه سبات فنظر الى السماء قد تفتحت، واذا زاد قد نزل من السماء حتى بلغ الارض، وفيه كل ذي أربع قوائم على الارض من السباع والدواب وغير ذلك من طير السماء، وسمع صوتاً يقول له: يا بطرس قم فاذبح وكل، فقال بطرس: يا رب ما أكلت شيئاً نجساً قط ولا دنساً قط، فجاء صوت ثان: كل ما طهره الله فليس بنجس، وفي نسخة أخرى ما طهره الله فلا تنجسه أنت، ثم جاءه الصوت بهذا ثلاث مرات، ثم ان الزاد ارتفع الى السماء، فتعجب بطرس وتحير فيما بينه وبين نفسه، فأمر الملك أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها وتقطع صغاراً وتصير على أبواب الكنائس في كل مملكته يوم أحد الفصح، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنازير، فمن لم يأكل منه يقتل فقتل لاجل ذلك خلق كثير، ثم هلك قسطنطين وقام بعده أكبر اولاده واسمه قسطنطين وفي أيامه اجتمع أصحاب أريوس ومن قال بمقالته اليه فحسنوا لهم دينهم ومقالتهم وقالوا إن الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً الذين كانوا اجتمعوا بنيقية قد أخطأوا وحادوا عن الحق في قولهم إن الابن متفق مع الاب في الجوهر، فأمر أن لا يقال هذا فانه خطأ، فعزم الملك على فعله، فكتب اليه أسقف بيت المقدس أن لا يقبل قول أصحاب أريوس فانهم حائدون عن الحق وكفار، وقد لعنهم الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً ولعنوا كل من يقول بمقالتهم فقبل قوله. قال ابن البطريق: وفي ذلك الوقت أعلنت مقالةأريوس على قسطنطينيةوانطاكيةوالاسكندرية، ، وفي ثاني سنة من ملك قسطنطين هذا صار على أنطاكية بترك أريوسي ثم بعده آخر مثله، قال: وأما أهل مصر والاسكندرية وكان أكثرهم أريوسيين ومانيين فغلبوا على كنائس مصر فأخذوها، ووثبوا على بترك الاسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واستخفى. ثم ذكر جماعة من البتاركة والاساقفة من طوائف النصارى وما جرى لهم مع بعضهم بعضاً، وما تعصبت به كل طائفة لبتركها حتى قتل بعضهم بعضاً واختلف النصارى أشد الاختلاف وكثرت مقالاتهم واجتمعوا عدة مجامع كل مجمع يلعن فيه بعضهم بعضاً ونحن نذكر بعض مجامعهم بعد هذين المجمعين..

[المجمع الثالث]

فكان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الاول بنيقية فاجتمع الوزراء والقواد الى الملك، وقالوا إن مقالة الناس قد فسدت وغلبت عليهم مقالة أريوس ومقدونيس، فاكتب الى جميع الاساقفة والبتاركة أن يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الملك الى سائر بلاده، فاجتمع في قسطنطينية مائة وخمسون أسقفاً، فنظروا وبحثوا في مقالة أريوس فوجدوها أن روح القدس مخلوق ومصنوع ليس بإله، فقال بترك الاسكندرية ليس روح القدس عندنا غير روح الله، وليس روح الله غير حياته، فاذا قلنا ان روح الله مخلوق فقد قلنا إن حياته مخلوقة، واذا قلنا ان حياته مخلوقة فقد جعلناه غير حي، وذلك كفر به. فلعنوا جميعهم من يقول بهذه المقالة ولعنوا جماعة من أساقفتهم وبتاركتهم كانوا يقولون بمقالات أخر لم يرتضوها، وبينوا أن روح القدس خالق غير مخلوق، إله حق من إله حق من طبيعة الاب والابن، جوهر واحد وطبيعة واحدة، وزادوا في الامانة التي وضعتها الثلاثمائة والثمانية عشر «ونؤمن بروح القدس الرب المحيي الذي من الاب منبثق الذي مع الاب والابن وهو مسجود وممجد» وكان في تلك الامانة «وبروح القدس» فقط، وبينوا ان الابن والاب وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاث وجوه وثلاث خواص، وأنها وحدة في تثليث وتثليث في وحدة، وبينوا أن جسد المسيح بنفس ناطقة عقلية فأنفض هذا المجمع وقد لعنوا فيه كثيراً من اساقفتهم وأشياعهم..

[المجمع الرابع]

ثم بعد احدى وخمسين سنة من هذا المجمع كان لهم مجمع رابع على نسطورس، وكان رأيه أن مريم ليست بوالدة الاله على الحقيقة، ولذلك كان اثنان: أحدهما الاله الذي هو موجود من الاب، والآخر انسان وهو الموجود من مريم، وان هذا الانسان الذي نقول إنه المسيح متوحد مع ابن الاله. ويقال له إله وابن الاله ليس على الحقيقة ولكن موهبة، واتفاق الاسمين على طريق الكرامة. فبلغ ذلك

بتاركة سائر البلاد فجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطئته واجتمع منهم مائتا أسقف في مدينة أفسيس وأرسلوا اليه للمناظرة فامتنع ثلاثا مرات فاجمعوا على لعنه فلعنوه ونفوه وبينوا أن مريم ولدت إلهاً وان المسيح إله حق من إله حق وهو انسان وله طبيعتان فلما لعنوا نسطورس تعصب له بترك انطاكية فجمع الاساقفة فلم يزل الملك حتى الذين قدموا معه وناظرهم وقطعهم فتقاتلوا وتلاعنوا وجرى بينهم شر فتفاقم أمرهم أصلح بينهم فكتب أولئك صحيفة أن مريم القديسة ولدت إلهاً وهو ربنا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ومع الناس في الناسوت وأقروا بطبيعتين وبوجه واحد وأقنوم واحد وأنفذوا لعن نسطورس فلما لعنوه ونفي سار الى مصر وأقام في أخميم سبع سنين ومات ودفن بها، وماتت مقالته إلى أن أحياها إبن صرما مطران نصيبين وبثها في بلاد المشرق فاكثر نصارى المشرق والعراق نسطورية فانفض ذلك المجمع الرابع ايضا وقد اطبقوا على لعن نسطورس وأشياعه ومن قال بمقالته.

[المجمع الخامس]

ثم كان لهم بعد هذا المجمع مجمع خامس، وذلك أنه كان بالقسطنطينية طبيب راهب يقال له أوطيسوس يقول: إن جسد المسيح ليس هو مع أجسادنا بالطبيعة، وان المسيح قبل التجسد من طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة، وهو أول من أحدث هذه المقالة وهي «مقالة اليعقوبية» فرحل اليه بعض الاساقفة فناظره وقطعه ودحض حجته، ثم صار الى قسطنطينية فاخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فارسل بترك القسطنطينية اليه فاستحضره وجمع جمعاً عظيما وناظره، فقال أوطيسوس: إن قلنا أن للمسيح طبيعتين فقد قلنا بقول سطورس، ولكنا نقول إن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد؛ لأنه من طبيعتين كانتا قبل التجسد، فلما قبل التجسد زالت عنه وصار طبيعة واحدة واقنوماً واحداً، فقال له بترك القسطنطينية: إن كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هي الطبيعة المحدثة، وان كان القديم هو المحدث فالذي لم يزل هو الذي لم يكن، ولو جاز أن يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والحار هو البارد، فأبى أن يرجع عن مقالته فلعنوه، فاستعدى

الى الملك وزعم أنهم ظلموه وسأله أن يكتب الى جميع البتاركة للمناظرة، فاستحضر الملك البتاركة والاساقفة من سائر البلاد الى مدينة أفسيس، فثبت بترك الاسكندرية مقالة أوطيسوس، وقطع بتارك القسطنطينية وانطاكية وبيت المقدس وسائر البتاركة والاساقفة، وكتب إلى بترك رومية والى جماعة الكهنة فحرمهم ومنعهم من القربان إن لم يقبلوا مقالة أوطيسوس، ففسدت الامانة وصارت مقالة أوطيسوس خاصة بمصر والاسكندرية وهو مذهب اليعقوبية، فافترق هذا المجمع الخامس وكل فريق يلعن الآخر ويحرمه ويبرأ من مقالته..

[المجمع السادس]

ثم كان لهم بعد هذا «مجمع سادس» في مدينة حلقدون، فانه لما مات الملك ولي بعده مرقيون فاجتمع اليه الاساقفة من سائر البلاد فاعلموه ما كان من ظلم ذلك المجمع وقلة الانصاف، وان مقالة أوطيسوس قد غلبت على الناس وأفسدت دين النصرانية، فأمر الملك باستحضار سائر البتاركة والمطارنة والاساقفة الى مدينة حلقدون فاجتمع فيها ستمائة وثلاثون أسقفاً فنظروا في مقالة أوطيسوس وبترك الاسكندرية الذي قطع جميع البتاركة فافسد الجميع مقالتهما ولعنوهما، وأثبتوا أن المسيح إله وإنسان في المكان مع الله باللاهوت وفي المكان معنا بالناسوت، يعرف بطبيعتين تام باللاهوت وتام بالناسوت ومسيح واحد، وثبتوا أقوال الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، وقبلوا قولهم بان الابن مع الله في المكان نور من نور إله حق من إله حق، ولعنوا أريوس، وقالوا إن روح القدس إله، وان الاب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحدة وأقانيم ثلاثة، وثبتوا قول المجمع الثالث في مدينة أفسيس أعني المائتي أسقف على نسطورس، وقالوا ان مريم العذراء ولدت إلها ربنا اليسوع المسيح الذي هو مع الله بالطبيعة ومع الناسوت بالطبيعة، وشهدوا ان للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداً، ولعنوا نسطورس وبترك الاسكندرية، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بافسيس، ثم المجمع الثالث والمئتي أسقف بمدينة أفسيس أول مرة، ولعنوا نسطورس، وبين نسطورس الى مجمع حلقدون أحد وعشرون سنة، فانفض هذا

المجمع وقد لعنوا من مقدميهم وأساقفتهم من ذكرنا وكفروهم وتبرءوا منهم ومن مقالاتهم . .

[المجمع السابع]

ثم كان لهم بعد هذا المجمع «مجمع سابع» في أيام أنسطاس الملك، وذلك ان سورس القسطنطيني كان على رأي أوطيسوس، فجاء الى الملك فقال إن المجمع الحلقدوني الستمائة وثلاثين قد أخطأوا في لعن أوطيسوس وبترك الاسكندرية، والدين الصحيح ما قالاه فلا يقبل دين من سواهما؛ ولكن أكتب الى جميع عمالك أن يلعنوا الستمائة وثلاثين ويأخذوا الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وأقنوم واحد، فأجابه الملك الى ذلك، فلما بلغ ذلك إيليا بترك بيت المقدس جمع الرهبان ولعنوا أنسطاس الملك وسورس ومن يقول بمقالتهما، فبلغ ذلك أنسطاس ونفاه الى أيلة، وبعث يوحنا بتركا على بيت المقدس لان يوحنا كان قد ضمن له أن يلعن المجمع الحلقدوني الستمائة وثلاثين، فلما قدم الى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا إياك أن تقبل من سورس ولكن قاتل عن المجمع الحلقدوني ونحن معك، فضمن لهم ذلك وخالف أمر الملك، فبلغ ذلك الملك فأرسل قائداً وأمره أن يأخذ يوحنا بطرح المجمع الحلقدوني، فان لم يفعل ينفيه عن الكرسي، فقدم القائد وطرح يوحنا في الحبس فصار اليه الرهبان في الحبس وأشاروا عليه بان يضمن للقائد أن يفعل ذلك، فاذا حضر فليقر بلعنة من لعنة الرهبان ففعل ذلك، واجتمع الرهبان وكانوا عشرة آلاف راهب ومعهم مدرس وسابا ورؤساء الديرات فلعنوا، أوطيسوس وسورس ونسطورس ومن لا يقبل المجمع الحلقدوني، وفزع رسول الملك من الرهبان، وبلغ ذلك الملك فهم بنفي يوحنا، فاجتمع الرهبان والاساقفة فكتبوا الى أنسطاس الملك أنهم لا يقبلون مقالة سورس ولا أحد من المخالفين ولو أهريقت دماؤهم وسألوه أن يكف اذاه عنهم، وكتب بترك رومية الى الملك يقبح فعله ويلعنه، فانفض هذا المجمع أيضاً وقد تلاعنت فيه هذه الجموع على ما وصفنا!! وكان لسورس تلميذ يقال له يعقوب يقول بمقالة سورس، وكان يسمى يعقوب البرادعي واليه تنسب «اليعاقبة» فافسد

أمانة النصارى، ثم مات أنسطاس وولى قسطنطين فرد كل من نفاه أنسطاس الملك الى موضعه، واجتمع الرهبان وأظهروا كتاب الملك وعيدوا عيداً حسناً بزعمهم، واثبتوا المجمع الخلقدوني بالستمائة وثلاثين أسقفاً، ثم ولي ملك آخر وكانت اليعقوبية قد غلبوا على الاسكندرية وقتلوا بتركا لهم يقال له بولس كان ملكيا، فارسل قائداً ومعه عسكر عظيم الى الاسكندرية، فدخل الكنيسة في ثياب البترك، وتقدم وقدس فرموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه فانصرف، ثم أظهر له من بعد ثلاثة أيام أنه قد أتاه كتاب الملك، وضرب الجرس ليجتمع الناس يوم الاحد في الكنيسة فلم يبق أحد بالاسكندرية حتى حضر لسماع كتاب الملك، وقد جعل بينه وبين جنده علامة اذا هو فعلها وضعوا السيف في الناس، فصعد المنبر وقال: يا معشر أهل اسكندرية! إن رجعتم الى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة والا لن تأمنوا أن يرسل اليكم الملك من يسفك دماءكم، فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه أن يقتل، فاظهر العلامة فوضعوا السيف على كل من في الكنيسة فقتل داخلها وخارجها أمم لا تحصى كثرة حتى خاض الجند في الدماء، وهرب منهم خلق كثير، وظهرت «مقالة الملكية..»

[المجمع الثامن]

ثم كان لهم بعد ذلك «مجمع ثامن» بعد المجمع الخلقدوني الذي لعن فيه اليعقوبية بمائة سنة وثلاث سنين، وذلك أن أسقف منبج ـ وهي بلدة شرقي حلب بالقرب منها، وهي مخسوفة الآن ـ كان يقول بالتناسخ وان ليس قيامة، وكان أسقف الرها وأسقف المصيصة وأسقف آخر يقولون إن جسد المسيح خيال غير حقيقة، فحشرهم الملك الى قسطنطينية، فقال لهم بتركها إن كان جسده خيالا فيجب أن يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد يعاين لاحد من الناس أو فعل أو قول فهو كذلك، وقال لأسقف منبج: إن المسيح قد قام من الموت وأعلمنا أنه كذلك يقوم الناس من الموت يوم الدينونة، وقال في «انجيله»: «لن تأتي الساعة حتى ان كل من في القبور اذا سمعوا قول ابن الله يجيبوا» فكيف تقولون ليس قيامة؟! فاوجب عليهم

الخزي واللعن، وأمر الملك أن يكون لهم مجمع يلعنون فيه، واستحضر بتاركة البلاد، فاجتمع في هذا المجمع مائة وأربعة وستون أسقفاً، فلعنوا أسقف منبج وأسقف المصيصة، وثبتوا على قول أسقف الرها. أن جسد المسيح حقيقة لا خيال، وانه إله تام وانسان تام معروف بطبيعتين ومشيئتين وفعلين أقنوم واحد، وثبتوا المجامع الاربعة التي قبلهم بعد المجمع الخلقدوني، وان الدنيا زائلة، وان القيامة كائنة، وان المسيح يأتي بمجد عظيم فيدين الاحياء والاموات كما قال الثلاثمائة والثمانية عشر..

[المجمع التاسع]

ثم كان لهم «مجمع تاسع» في أيام معاوية بن أبي سفيان تلاعنوا فيه، وذلك أنه كان برومية راهب قديس يقال له مقسلمس وله تلميذان، فجاء الى قسطا الوالي فوبخه على قبح مذهبه وشناعة كفره، فأمر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه ونزع لسانه، وفعل باحد التلميذين مثله، وضرب الآخر بالسياط ونفاه، فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فارسل اليه ان يوجه اليه من أفاضل الاساقفة ليعلم وجه هذه الحجة ومن الذي كان ابتدأها لكيما يطرح جميع الآباء القديسين كل من استحق اللعنة، فبعث اليه مائة واربعين أسقفاً وثلاث شمامسة[١٢] فلما وصلوا الى قسطنطينية جمع الملك مائة وثمانية وستين أسقفاً فصاروا ثلاثمائة وثمانية، واسقطوا الشمامسة في البرطحة، وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية، ولم يكن لبيت المقدس والاسكندرية بترك، فلعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم، وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة، ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة، ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فلخصوا الامانة المستقيمة بزعمهم، فقالوا: «نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الابن الوحيد الذي هو الكلمة الازلية الدائم، المستوي مع الاب الاله في الجوهر، الذي هو ربنا اليسوع المسيح بطبيعتين تامتين، وفعلين، ومشيئتين، في

(١٢) الشمامسة: جمع شمّاس: دون القسيس. والكلمة من السريانية، ومعناها: الخادم.

أقنوم واحد ووجه واحد، يعرف تاما بلاهوته تاما بناسوته، وشهدت كما شهد مجمع الخلقدونية على ما سبق أن الاله الابن في آخر الايام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً انسانا بنفسين، وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل، ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الانسان أن يعمله في طبيعته وما يشبه الاله أن يعمل في طبيعته الذي هو الابن الوحيد والكلمة الازلية المتجسدة الى أن صارت في الحقيقة لحماً كما يقول الانجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الازلي، وليست بمتغيرة لكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلهيّ، وإنسيّ الذي بهما يكون القول الحق، وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها، مشيئتين غير متضادتين ولا متضارعتين، ولكن مع المشيئة الانسية في المشيئة الالهية القادرة على كل شيء» هذه شهادتهم وأمانة المجمع السادس من المجمع الخلقدوني، وثبتوا ما ثبته الخمس مجامع التي كانت قبلهم ولعنوا من لعنوه، وبين المجمع الخامس الى هذا المجمع مائة سنة..

[المجمع العاشر]

ثم كان لهم «مجمع عاشر» لما مات الملك وولى بعده ابنه، واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل، فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم، وثبتوا قول المجامع الخمسة، ولعنوا من لعنوا وانصرفوا. فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصارى وقدماؤهم وناقلوا الدين الى المتأخرين واليهم يستند من بعدهم، وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الاساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضا، فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون.

[لو عرض دين النصرانية على قوم لم يعرفوا لهم إلهاً لامتنعوا من قبوله]

فاذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخبارهم

فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ما كانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى، ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لا يثبت لهم قدم، ولا يتحصل لهم قول في معرفة معبودهم؛ بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه، وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه، فما الظن بحثالة الماضين، ونفاية الغابرين، وزبالة الحائرين، وذرية الضالين، وقد طال عليهم الامد، وبعد العهد، وصار دينهم ما يتلقونه عن الرهبان. وقوم اذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالانعام، وإن كانوا في صور الانام، بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلا (إن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا)[13] وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)[14] ومن أمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم، وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً، وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوه» هذا والكتاب واحد، والرب واحد، والنبي واحد، والدعوى واحدة، وكلهم يتمسك بالمسيح وانجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا الاختلاف المتباين، فمنهم من يقول إنه إله، ومنهم من يقول ابن الله، ومنهم من يقول ثالث ثلاثة، ومنهم من يقول إنه عبد، ومنهم من يقول إنه أقنوم وطبيعة، ومنهم من يقول أقنومان وطبيعتان، الى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم، وكل منهم يكفر صاحبه. فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله. فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الانبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها: (إن الدين عند الله الاسلام)[15].

---

(١٣) سورة الفرقان/ ٤٤

(١٤) المائدة/ ٧٧

(١٥) آل عمران/ ١٩

الفصل الثالث عشر

[يستحيل الايمان بنبي من الانبياء مع جحد نبوة محمد..]

[معجزات محمد أعظم وأدل]

(فصل) في أنه لا يمكن الايمان بنبي من الانبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من جحد نبوته فهو لنبوة غيره من الأنبياء أشد جحداً. وهذا يتبين بوجوه.

(أحدها) أن الانبياء المتقدمين بشروا بنبوته وأمروا أممهم بالايمان به، فمن جحد نبوته فقد كذب الانبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الايمان به، والتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم، واذا انتفى اللازم انتفى ملزومه قطعاً وبيان الملازمة ما تقدم من الوجوه الكثيرة التي تفيد بمجموعها القطع على أنه صلى الله عليه وسلم قد ذكر في الكتب الالهية على ألسن الانبياء، واذا ثبتت الملازمة فانتفاء اللازم موجب لانتفاء ملزومه.

(الوجه الثاني) أن دعوة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه هي دعوة جميع المرسلين قبله من أولهم الى آخرهم، فالمكذب بدعوته مكذب بدعوة إخوانه كلهم، فان جميع الرسل جاؤوا بما جاء به، فاذا كذبه المكذب فقد زعم أن ما جاء به باطل، وفي ذلك تكذيب كل رسول ارسله الله وكل كتاب أنزله الله، ولا يمكن أن يعتقد أن ما جاء به صدق وانه كاذب مفتر على الله، وهذا في غاية الوضوح وهذا بمنزلة شهود شهدوا بحق فصدقهم الخصم، وقال هؤلاء كلهم شهود عدول صادقون، ثم شهد آخر على شهادتهم سواء فقال الخصم هذه الشهادة باطلة وكذب لا أصل لها، وذلك تكذيب بشهادة جميع الشهود قطعاً، ولا ينجيه من تكذيبهم اعترافه بصحة شهادتهم وانها شهادة حق مع قوله ان الشاهد بها كاذب فيما شهد به. فكما أنه لو لم يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوات الانبياء قبله فكذلك إن لم

يصدق لم يمكن تصديق نبي من الانبياء قبله.

(الوجه الثالث) ان الآيات والبراهين التي دلت على صحة نبوته وصدقه أضعاف أضعاف آيات من قبله من الرسل، فليس لنبي من الانبياء آية توجب الايمان به إلا ولمحمد صلى الله عليه وسلم مثلها او ما هو في الدلالة مثلها وان لم يكن من جنسها، فايات نبوته أعظم وأكبر وأبهر وأدل، والعلم بنقلها قطعي، لقرب العهد، وكثرة النقلة، وإختلاف أمصارهم وأعصارهم، واستحالة تواطئهم على الكذب، فالعلم بآيات نبوته كالعلم بنفس وجوده وظهوره وبلده، بحيث لا تمكن المكابرة في ذلك، والمكابر فيه في غاية الوقاحة والبهت، كالمكابرة في وجود ما يشاهده الناس ولم يشاهده هو من البلاد والاقاليم والجبال والانهار، فان جاز القدح في ذلك كله، فالقدح في وجود عيسى وموسى وآيات نبوتهما أجوز وأجوز، وان امتنع القدح فيهما وفي آيات نبوتهما فامتناعه في محمد صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته أشد؛ ولذلك لما علم بعض علماء أهل الكتاب أن الايمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد ابداً كفر بالجميع، وقال (ما أنزل الله على بشر من شيء)[1] كما قال تعالى: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟ تجعلونه قراطيس، تبدونها وتخفون كثيراً، وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم؟ قل: الله. ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)[1] قال سعيد بن جبير: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر[2] السمين؟! وكان حبراً سميناً، فغضب عدو الله وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه الذين معه: ويحك ولا موسى؟ فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) الآية، وهذا قول عكرمة، قال محمد بن كعب: «جاء ناس من اليهود

---

(١) الأنعام/ ٩١

(٢) الحبر- بفتح الحاء وكسرها-: واحد الأحبار من اليهود.

الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب[٣]، فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله عز وجل؟ فأنزل الله عز وجل: (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك)[٤] الآية. وجاء رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً، ما أنزل الله على بشر من شيء، فحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته، وجعل يقول: «ولا على أحد؟!!» وذهب جماعة منهم مجاهد، الى أن الآية نزلت في مشركي قريش، فهم الذين جحدوا أصل الرسالة، وكذبوا بالرسل، وأما أهل الكتاب فلم يجحدوا نبوة موسى وعيسى، وهذا اختيار ابن جرير، قال: وهو أولى الأقاويل بالصواب، لأن ذلك في سياق الخبر عنهم، فهو أشبه من أن يكون خبراً عن اليهود، ولم يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا، مع ما في الخبر عن من أخبر الله عنه في الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً من الكتب، وليس ذلك مما تدين به اليهود، بل المعروف من دين اليهود الاقرار بصحف ابراهيم، وموسى، وزبور داود، والخبر من أول السورة الى هذا الموضع خبر عن المشركين من عبدة الأوثان، وقوله: (وما قدروا الله حق قدره) موصول به غير مفصول عنه، قلت: ويقوى قوله؛ أن السورة مكية، فهي خبر عن زنادقه العرب، المنكرين لاصل النبوة. ولكن بقي أن يقال: فكيف يحسن الرد عليهم بما لا يقرون به من إنزال الكتاب الذي جاء به موسى؟ وكيف يقال لهم: (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً)؟! ولا سيما على قراءة من قرأ بتاء الخطاب؟ وهل ذلك صالح لغير اليهود؟ فانهم كانوا يخفون من الكتاب ما لا يوافق أهواءهم وأغراضهم، ويبدون منه ما سواه، فاحتج عليهم بما يقرون به من كتاب موسى، ثم وبخهم بأنهم خانوا الله ورسوله فيه، فأخفوا بعضه وأظهروا بعضه، وهذا استطراد من ذكر جحدهم النبوة بالكلية، وذلك إخفاء لها وكتمان الى جحد ما أقروا به كتابهم باخفائه وكتمانه، فتلك سجية لهم معروفة لا تنكر، إذ من أخفى بعض كتابه الذي

---

(٣) الاحتباء: ان يجلس الرجل جامعاً بين ظهره وساقيه بعمامة أو ثوب ونحوهما. ويقال: احتبى بالثوب: اشتمل به.
(٤) سورة النساء/١٥٣

يقر بأنه من عند الله، كيف لا يجحد أصل النبوة؟! ثم احتج عليهم، بأنهم قد علموا بالوحي ما لم يكونوا يعلمونه هم ولا آباؤهم، ولولا الوحي الذي أنزله على أنبيائه ورسله لم يصلوا اليه، ثم أمر رسوله أن يجيب عن هذا السؤال، وهو قوله: (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى)؟ فقال (قل الله): أي الله الذي انزله، أي إن كفروا به وجحدوه فصدق به انت وأَقِرَّ بِهِ (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون). جواب هذا السؤال أن يقال: ان الله سبحانه احتج عليهم بما يقر به أهل الكتابين وهم أولو العلم دون الأمم التي لا كتاب لها، أي إن جحدتم أصل النبوة وأن يكون الله انزل على بشر شيئاً فهذا كتاب موسى تقر به اهل الكتاب وهم أعلم منكم فاسألوهم عنه، ونظائر هذا في القرآن كثيرة يستشهد سبحانه بأهل الكتاب على منكري النبوات والتوحيد، والمعنى إنكم إن انكرتم أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً فمن أنزل كتاب موسى؟ فان لم تعلموا ذلك فاسألوا أهل الكتاب وأما قوله تعالى (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا) فمن قرأها بالياء فهو إخبار عن اليهود بلفظ الغيبة، ومن قرأها بلفظ التاء للخطاب فهو خطاب لهذا الجنس الذي فعلوا ذلك أي تجعلونه يامن أنزل عليه كذلك، وهذا من أعلام نبوته أن يخبر اهل الكتاب بما اعتمدوه في كتابهم، وانهم جعلوه قراطيس وابدوا بعضه واخفوا كثيراً منه، وهذا لا يعلم من غير جهتهم إلا بوحي من الله، ولا يلزم ان يكون قوله (تجعلونه قراطيس) خطاباً لمن حكى عنهم أنهم قالوا (ما انزل الله على بشر من شيء) بل هذا استطراد من الشيء الى نظيره وشبهه ولازمه، وله نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى: (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة)[٥] الى آخر الآية، فاستطرد من الشخص المخلوق من الطين وهو آدم الى النوع المخلوق من النطفة وهم أولاده، واوقع الضمير على الجميع بلفظ واحد، ومثله قوله تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها، فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به، فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكوننَّ من الشاكرين. فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما، فتعالى الله

---

(٥) المؤمنون/ ١٢ـ ١٤

عما يشركون)[٦] الى آخر الآيات، ويشبه هذا قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم. الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون، والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها)[٧] الى آخر الآيات، وعلى التقديرين فهؤلاء لم يتم لهم إنكار نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومكابرتهم إلا بهذا الجحد والتكذيب العام، ورأوا أنهم إن اقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ظهر تناقضهم وتفريقهم بين المتماثلين، وأنهم لا يمكنهم الايمان بنبي وجحد نبوة من نبوته اظهر وآياتها اكثر واعظم ممن أقروا به. واخبر سبحانه أن من جحد ان يكون قد ارسل رسله وانزل كتبه لم يقدره حق قدره، وانه نسبه الى ما لا يليق به بل يتعالى ويتنزه عنه، فان في ذلك انكار دينه وإلهيته وملكه وحكمته ورحمته، والظن السيء به أنه خلق خلقه عبثا باطلا، وانه خلاهم سدىً مهملا وهذا ينافي كماله المقدس وهو متعال عن كل ما ينافي كماله، فمن أنكر كلامه وتكليمه وإرساله الرسل الى خلقه فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق عظمته، كما ان من عبد معه إلها غيره لم يقدره حق قدره معطل جاحد لصفات كماله ونعوت جلاله وإرسال رسله وإنزال كتبه، ولا عظّمه حق عظمته.

[انكار النبوات معناه جحد الخالق والجهل بالحقائق]
[ما وقع للفلاسفة والمجوس والنصارى واليهود من ذلك]

ولذلك كان جحد نبوة خاتم انبيائه ورسله وإنزال كتبه وتكذيبه انكارا للرب تعالى في الحقيقة وجحوداً له، فلا يمكن الاقرار بربوبيته وإلهيته وملكه بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وقد أشرنا الى ذلك في المناظرة التي تقدمت، فلا يجامع الكفر برسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرار بالرب تعالى وصفاته أصلا، كما لا يجامع الكفر بالمعاد واليوم الآخر الاقرار بوجود الصانع أصلا.

---

(٦) الأعراف/ ١٨٩- ١٩٠

(٧) الزخرف/ ٩-١٠

وقد ذكر سبحانه ذلك في موضعين من كتابه في سورة الرعد في قوله: (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم)[٨] والثاني في سورة الكهف في قوله تعالى: (ودخل جنته، وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا، وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا، لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا)[٩] فالرسول صلوات الله وسلامه عليه إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله والتعريف بحقوقه على عباده، فمن أنكر رسالاته فقد أنكر الرب الذي دعا اليه وحقوقه التي أمر بها؛ بل نقول لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هي عليه مع تكذيب رسوله، وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض وأديانهم.

فان «الفلاسفة» لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة والجن والمبدأ والمعاد وتفاصيل صفات الرب تعالى وأفعاله مع إنكار النبوات؛ بل والحقائق المشاهدة التي لا يمكن إنكارها لم يثبتوها على ما هي عليه ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ما هي عليه البتة، وهذا ثمرة إنكارهم النبوات فسلبهم الله إدراك الحقائق التي زعموا أن عقولهم كافية في ادراكها، فلم يدركوا منها شيئاً على ما هو عليه، حتى ولا الماء ولا الهواء ولا الشمس ولا غيرها. فمن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها وان عرفوا من ذلك بعض ما خفى على غيرهم.

واما «المجوس» فأضل وأضل. واما «عباد الأصنام» فلا عرفوا الخالق ولا عرفوا حقيقة المخلوقات، ولا ميزوا بين الشياطين والملائكة وبين الأرواح الطيبة والخبيثة، وبين أحسن الحسن وأقبح القبيح، ولا عرفوا كمال النفس وما تسعد به ونقصها وما تشقى به.

وأما «النصارى» فقد عرفت ما الذي أدركوه من معبودهم وما وصفوه به وما

---

(٨) الرعد/ ٥

(٩) الكهف/ ٣٥- ٣٨

الذي قالوه في نبيهم، وكيف لم يدركوا حقيقته البتة، ووصفوا الله بما هو من اعظم العيوب والنقائص، ووصفوا عبده ورسوله بما ليس له بوجه من الوجوه، وما عرفوا الله ولا رسوله، والمعاد الذي اقروا به لم يدركوا حقيقته ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته، إذ لا أكل عندهم في الجنة ولا شرب ولا زوجة هناك ولا حور عين يلذ بهن الرجال كلذاتهم في الدنيا، ولا عرفوا حقيقة أنفسهم وما تسعد به وتشقى، ومن لم يعرف ذلك فهو اجدر أن لا يعرف حقيقة شيء كما ينبغي البتة، فلا لأنفسهم عرفوا ولا لفاطرها وبارئها، ولا لمن جعله الله سبباً في فلاحها وسعادتها، ولا للموجودات وأنها جميعها فقيرة مربوبة مصنوعة ناطقها وصامتها آدميها وجنيها وملكها، فكل من في السموات والأرض عبده وملكه، وهو مخلوق مصنوع مربوب فقير من كل وجه، ومن لم يعرف هذا لم يعرف شيئاً.

[غباوة اليهود ونقضهم للعهود وتحريفهم وحسدهم.. هو الغاية]
[اليهود قتلة الانبياء، واكلة الربا والمنفردون بغاية الخبث والبهت..]

واما «اليهود» فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم وغباوتهم وضلالهم ما يدل على ما وراءه من ظلمات الجهل التي بعضها فوق بعض، ويكفي في ذلك عبادتهم العجل الذي صنعته ايديهم من ذهب، ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة ابلد الحيوان وأقله فطانة الذي يضرب المثل به في قلة الفهم، فانظر الى هذه الجهالة والغباوة المتجاوزة للحد كيف عبدوا مع الله إلهاً آخر وقد شاهدوا من أدلة التوحيد وعظمة الرب وجلاله ما لم يشاهده سواهم؟!! وإذ قد عزموا على اتخاذ إله دون الله فاتخذوه ونبيهم حي بين اظهرهم لم ينتظروا موته! وإذ فعلوا فلم يتخذوه من الملائكة المقربين ولا من الاحياء الناطقين بل اتخذوه من الجمادات! واذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس والقمر والنجوم بل من الجواهر الأرضية! وإذ فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر التي خلقت فوق الارض عالية عليها كالجبال ونحوها بل من جواهر لا تكون إلا تحت الارض والصخور والأحجار عالية عليها! وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من جوهر يستغني عن الصنعة وإدخال النار وتقليبه وجوهاً مختلفة وضربه

بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج الى نيل الأيدي له بضروب مختلفة وإدخاله النار وإحراقه واستخراج خبثه! وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال ملك كريم ولا نبي مرسل ولا على تمثال جوهر علوي لا تناله الأيدي بل على تمثال حيوان ارضي! وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال اشرف الحيوانات واقواها واشدها امتناعاً من الضيم كالأسد والفيل ونحوهما بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان وأقبله للضيم والذل بحيث يحرث عليه الارض ويسقى عليه بالسواقي والدواليب ولا له قوة يمتنع بها من كبير ولا صغير. فأي معرفة لهؤلاء بمعبودهم ونبيهم وحقائق الموجدات؟!!! وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهاً فيعبد إلهاً مجعولا بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات أن لا يعرف حقيقة الاله ولا اسماءه وصفاته ونعوته ودينه، ولا يعرف حقيقة المخلوق وحاجته وفقره. ولو عرف هؤلاء معبودهم ورسولهم لما قالوا لنبيهم: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)[10] ولا قالوا له: (اذهب انت وربك فقاتلا)[11] ولا قتلوا نفساً وطرحوا المقتول على ابواب البرآء من قتله ونبيهم حي بين اظهرهم وخبر السماء والوحي يأتيه صباحاً ومساء، فكأنهم جوّزوا أن يخفى هذا على الله كما يخفى على الناس؟! ولو عرفوا معبودهم لما قالوا في بعض مخاطباتهم له: «يا ابانا انتبه من رقدتك، كم تنام» ولو عرفوه لما سارعوا الى محاربة انبيائه وقتلهم وحبسهم ونفيهم ولما تحيلوا على تحليل محارمه واسقاط فرائضه بأنواع الحيل. ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم وانهم من الأغبياء، ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة أن يأمر بالشيء في وقت لمصلحة ثم يزيل الأمر به في وقت آخر لحصول المصلحة وتبدله بما هو خير منه وينهى عنه ثم يبيحه في وقت آخر لاختلاف الاوقات والاحوال في المصالح والمفاسد، كما هو مشاهد في احكامه القدرية الكونية التي لا يتم نظام العالم ولا مصلحته الا بتبديلها واختلافها بحسب الاحوال والاوقات والاماكن، فلو اعتمد طبيب أن لا يغير الادوية والاغذية بحسب اختلاف الزمان والاماكن والاحوال لأهلك الحرث والنسل وعد من الجهال، فكيف يحجر على طبيب القلوب والاديان

(١٠) سورة البقرة/ ٥٥

(١١) المائدة/ ٢٤

أن تتبدل احكامه بحسب اختلاف المصالح؟! وهل ذلك إلا قدح في حكمته ورحمته وقدرته وملكه التام وتدبيره لخلقه؟!! ومن جهلهم بمعبودهم ورسوله وأمره أنهم أمروا أن يدخلوا باب المدينة التي فتحها الله عليهم سجداً ويقولوا حطة، فيدخلوا متواضعين لله سائلين منه أن يحط عنهم خطاياهم، فدخلوا يزحفون على أستاههم بدل السجود لله، ويقولون: «هنطا سقمانا» أي حنطة سمراء، فذلك سجودهم وخشوعهم، وهذا استغفارهم واستقالتهم من ذنوبهم.

ومن «جهلهم وغباوتهم» أن الله سبحانه أراهم من آيات قدرته وعظيم سلطانه وصدق رسوله ما لا مزيد عليه، ثم أنزل عليهم بعد ذلك كتابه وعهد اليهم فيه عهده وأمرهم أن يأخذوه بقوة فيعبدوه بما فيه كما خلصهم من عبودية فرعون والقبط فأبوا أن يقبلوا ذلك وامتنعوا منه، فنتق الجبل العظيم فوق رؤسهم على قدرهم، وقيل لهم ان لم تقبلوا أطبقته عليكم فقبلوه من تحت الجبل. قال ابن عباس: رفع الله الجبل فوق رؤوسهم وبعث ناراً من قبل وجوههم، وأتاهم البحر من تحتهم، ونودوا إن لم تقبلوا أرضختكم بهذا، وأحرقتكم بهذا، وأغرقتكم بهذا، فقبلوه، وقالوا سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك ولما أمنوا بعد ذلك قالوا (سمعنا وعصينا)[١٢]. ومن جهلهم أنهم شاهدوا الآيات ورأوا العجائب التي يؤمن على بعضها البشر ثم قالوا بعد ذلك (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)[١٣] وكان الله سبحانه قد أمر موسى أن يختار من خيارهم سبعين رجلا لميقاته فاختارهم موسى وذهب بهم الى الجبل، فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل، وقال للقوم ادنوا ودنى القوم حتى اذا دخلوا في الحجاب وقعوا سجداً، فسمعوا الرب تعالى وهو يكلم موسى ويأمره وينهاه ويعهد اليه، فلما انكشف الغمام قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة). ومن جهلهم أن هارون لما مات ودفنه موسى قالت بنو اسرائيل لموسى أنت قتلته لأنك حسدته على خلقه ولينه ومحبة بني اسرائيل له، قال فاختاروا سبعين رجلا فوقفوا على قبر هارون، فقال موسى يا هارون أقتلت أم مت. قال بل

(١٢) البقرة/ ٩٣ والنساء/٤٦

(١٣) سورة البقرة/٥٥

مت وما قتلني أحد. فحسبك من جهالة أمة وجفائهم أنهم اتهموا نبيهم ونسبوه الى قتل أخيه فقال موسى ما قتلته فلم يصدقوه حتى أسمعهم كلامه وبراءة أخيه مما رموه به. ومن جهلهم أن الله سبحانه شبههم في حملهم التوراة وعدم الفقه فيها والعمل بها بالحمار يحمل أسفاراً، وفي هذا التشبيه من النداء على جهالتهم وجوه متعددة: (منها) أن الحمار من أبلد الحيوانات التي يضرب بها المثل في البلادة. و (منها) أنه لو حمل غير الاسفار من طعام أو علف أو ماء لكان له به شعور بخلاف الاسفار. و (منها) أنهم حملوها لا أنهم حملوها طوعا واختيارا بل كانوا كالمكلفين لما حملوه لم يرفعوا به رأساً. و (منها) أنهم حيث حملوها تكليفا وقهراً لم يرضوا بها ولم يحملوها رضا واختيارا وقد علموا أنهم لا بد لهم منها، وأنهم إن حملوها اختيارا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة. و (منها) أنها مشتملة على مصالح معاشهم ومعادهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فإعراضهم عن التزام ما فيه سعادتهم وفلاحهم الى ضده من غاية الجهل والغباوة وعدم الفطانة. ومن جهلهم وقلة معرفتهم أنهم طلبوا عوض المن والسلوى اللذين هما أطيب الأطعمة وأنفعها وأوفقها للغذاء الصالح البقل والقثاء والثوم والعدس والبصل، ومن رضي باستبدال هذه الأغذية عوضاً عن المن والسلوى لم يكثر عليه أن يستبدل الكفر بالايمان والضلالة بالهدى والغضب بالرضى والعقوبة بالرحمة، وهذه حال من لم يعرف ربه ولا كتابه ولا رسوله ولا نفسه.

وأما نقضهم ميثاقهم، وتبديلهم أحكام التوراة، وتحريفهم الكلم عن مواضعه، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم الرشا، واعتداؤهم في السبت حتى مسخوا قردة وقتلهم الأنبياء بغير حق، وتكذيبهم عيسى بن مريم رسول الله، ورميهم له ولأمه بالعظائم، وحرصهم على قتله، وتفردهم دون الأمم بالخبث والبهت، وشدة تكالبهم على الدنيا وحرصهم عليها، وقسوة قلوبهم، وحسدهم وكثرة سخرهم: فاليه النهاية. وهذا وأضعافه من الجهل وفساد العقل قليل على من كذب رسل الله وجاهر بمعاداته ومعاداة ملائكته وأنبيائه وأهل ولايته، فأي شيء عرف من لم يعرف الله ورسله؟! وأي حقيقة أدرك من فاتته هذه الحقيقة؟! وأي علم

أو عمل حصل لمن فاته العلم بالله، والعمل بمرضاته، ومعرفة الطريق الموصلة اليه، ومآله بعد الوصول اليه.

[اشراق الأرض بالنبوة وظلمتها بفقدها]
[المعرض عنها يتقلب في ظلمات والمؤمن في أنوار]

فأهل الارض كلهم في ظلمات الجهل والغي الا من أشرق عليه نور النبوة، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول جف القلم على علم الله» ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور، فمن أجابهم خرج الى الفضاء والنور والضياء، ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها، وهي: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها. فهذه جملتها ظلمات خلق فيها العبد، فبعث الله رسله لاخراجه منها الى العلم والمعرفة والايمان والهدى الذي لا سعادة للنفس بدونه البتة، فمن أخطأه هذا النور اخطأه حظه وكماله وسعادته وصار يتقلب في ظلمات بعضهافوق بعض؛ فمدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، وقوله ظلمة، وعمله ظلمة، وقصده ظلمة، وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم،؛ لأنه يبقى على الظلمة الأصلية، ولا يناسبه من الاقوال والاعمال والإرادات والعقائد الا ظلماتها، فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة أشراق الشمس على بصائر الخفاش.

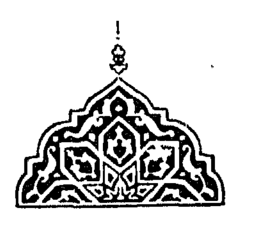
بصائر أعشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يعمي تلك البصائر ويخطفها لشدته وضعفها، فتهرب الى الظلمات لموافقتها لها وملائمتها إياها. والمؤمن عمله نور، وقوله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وقصده نور، فهو يتقلب في النور في جميع أحواله، قال الله تعالى: (الله

نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقَدُ من شجرة مباركة زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)[١٤] ثم ذكر حال الكفار وأعمالهم وتقلبهم في الظلمات فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسَبُه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً، ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب. أو كظلمات في بحر لُجّيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)[١٥].

والحمد لله أولا وآخر وباطنا وظاهرا، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين.

تمّ الكتاب بعون الله



(١٤) سورة النور/ ٣٥

(١٥) سورة النور/ ٣٦، والقيعة: ومثلها القاع: الارض المستوية. تجمع على : قيعان وأقواع وأقوُع.



الفهرس



طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
تليفون ٢٣١٩٣٠ ص. ب ١٣٩٠

